مجمع الفقه الإسلامي - الهند

سبق الغايات في نسق الآيات

مؤلف وجيز يبحث عن ارتباط آيات القرآن وسورها بعضها ببعض



تأليف

المفسر النحرير الشيخ أشرف علي التهانوي

١٢٨٠هـ - ١٣٦٢هـ

تحقيق

محمد عبيد الله الأسعدي

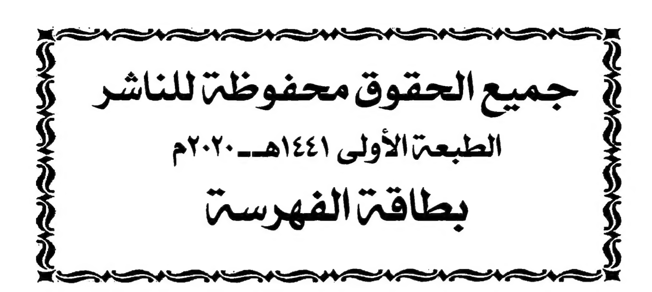
عضو هيئة التدريس بالجامعة العربية هتورا - باندة - الهند

الدار المغربية

دار الكلمة للنشر و التوزيع

سَبْقُ الغَايَاتِ فِي نَسَقِ الآيَاتِ

مؤلف وجيز يبحث عن ارتباط آيات القرآن وسورها بعضها ببعض



الطبعة الأولى ١٤٤١هـ ـ ٢٠٢٠م

بطاقة الفهرسة

الأسعدي ، محمد عبيد الله

سبق الآيات في نسق الغايات تحقيق محمد عبيد الله الأسعدي ، ط١ . - المنصورة :

دار الكلمة للنشر والتوزيع ، ٢٠٢٠م

٤٤٨ ص ، ٢٤سم

رقم الإيداع : -١٣٩١٨ / ٢٠١٦

تدمك : ٤٧ - ٥٦ - ٣١١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

دار الكلمة للنشر والتوزيع مصر - القاهرة

القاهرة . محمول : ٠١٠٠٩٧٠٧٤٩٥

E-mail:mmaggour@hotmail.com
E-mail:daralkalema_pdp@hotmail.com
www.facebook.com/DarAlkalema



مؤلف وجيز يبحث عن ارتباط آيات القرآن وسورها بعضها ببعض

تأليف

المفسر النحرير الشيخ أشرف علي التهانوي
١٢٨٠هـ - ١٣٦٢هـ

تحقيق

محمد عبيد الله الأسعدي
عضو هيئة التدريس بالجامعة العربية هتورا - باندة - الهند

دار الكلمة
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

ظلت بلاد الهند منطقة خصبة للعلم وأهله، وأنجبت كبار العلماء والمفكرين وأصحاب دعوة وعزيمة، ولكن القرنين الثالث عشر والرابع عشر حافلان برجال العلم والطموح، وكأنهما فصل ربيع علمي ودعوي في الهند، وكان ذلك طبيعيًا؛ فإن هذا العهد الذي أفل فيه نجم إمبراطورية المسلمين من أفقها وكسرت شوكتهم، وسيطر الاستعمار البريطاني على جميع أنحائها، وكانت حملة التنصير جاثمة على عقيدة المسلمين وكادت تلتقمها، ولم تكن المنظمات الهندوسية العنصرية المتطرفة بمعزل عن هذا الميدان، وتحاول بقوة تهنيد المسلمين وتحويل ديانتهم وردتهم، وكانت المجالس العلمية الإسلامية تحولت إلى خراب، والزوايا التي كانت تكتظ بالناس في زمان أصبحت كأن لم تغن بالأمس، وتحولت كثير من المساجد إلى اسطبلات وحظائر لخيول الإنجليز.

في مثل هذه الأوضاع الحالكة كان المسلمون بأمس حاجة للحفاظ على دينهم وهويتهم في هذه البلاد إلى شخصيات يجمعون بين التفقه في الدين والبصيرة النافذة في الشؤون الإسلامية، ويقومون بمهمة الدفاع عن الدين الحق، ويكون لهم نصيب وافر في الإخلاص والعلاقة بربهم سبحانه وتعالى، والذين يحملون عواطف نادرة لبذل كل غال ونفيس في سبيل نشر الإسلام والذود عن حياضه، والذين يتململون على تدهور حال الأمة تململ السليم، والذين يضطربون لغواية الأمة وعدم اهتدائها سواء الصراط، فقيض الله في هذين القرنين المنصرمين شخصيات عديدة لتصدي الفتن والجهاد في سبيل الله بالقلم واللسان والسيف والسنان، فبذلوا قصارى جهودهم في خدمة الدين، وصبروا على أن ينزع من المسلمين السلطة

والحكومة وعلى أن يحكم عليهم بالشنق والإعلام، ولكنهم لم يصبروا على أن يحرموا عقيدتهم وإيمانهم، وأن يسلبوا الحمية والأنفة والإباء.

كان من هذه الشخصيات الفذة العملاقة العلامة أشرف علي التهانوي (م:١٩٤٢م)، كانت شخصيته جامعة بين الصفات المتباينة، كان متبحرًا في العلوم الإسلامية كلها، ومؤلفاته تروي الغليل في كل فن من الفنون الإسلامية، وكان مرشدًا روحيًا ارتبط به كبار الشخصيات الذين كانت لهم مكانة مرموقة وكلمة مسموعة، وكلهم استفادوا منه وارتووا من هذا النبع العذب الفياض، وكان الشيخ التهانوي يكتب حول مواضيع علمية وفكرية بالإضافة إلى مواضيع دعوية وتوجيهية، وكلها لبٌّ دون قشر، وكانت بعض مؤلفاته صغيرة في الحجم؛ ولكنها كبيرة الفائدة عميقة المعنى، وكان حقًا فقيه النفس، لم يكن يقتنع بالفروع فحسب في حل القضايا وإنما كان يهتم بالأصول والقواعد، ويندر نظيره في التمسك بمبدأ التوسط والاعتدال بين علماء عصره، ومن ميزاته البارزة وصوله إلى عمق المسائل والحوادث وروحها ومغزاها، وهذا لا يتأتى لأحد بقوة المطالعة فحسب، وإنما يحصل كل هذا بالقوة الفكرية النادرة، ومن ثم لقبه علماء الهند بـ «حكيم الأمة» ويصدق عليه هذا اللقب مائة في المائة.

ومن أشهر كتبه «بيان القرآن» في التفسير، فقد قام بعض أهل العلم في عصره بترجمة القرآن الكريم إلى الأردية، وكانت ترجمة سلسة واضحة ولكنها لا توافق ألفاظ القرآن بل ربما ابتعدت عن مرادها كثيرًا، وكانت ترجمة سر سيد أحمد خان قد ظهرت قبل ذلك، وفيه ما فيه من شرح كلمات القرآن على أساس العقل والاكتشافات العلمية، وخرج من مراد الآيات القرآنية إلى ما لم يفهمه غيره من المتقدمين والمتأخرين من المعاني، وسلك مسلك التأويل البعيد في المعجزات، ويبدو أنه اعتمد كثيرًا على تفسير المعتزلة، هذه كانت خلفية تأليفه «بيان القرآن» والذي يحتوي على ترجمة القرآن وتفسيره، وكل ذلك بأسلوب موجز ومقنع، وتعرّض

خلال تفسير الآيات لاستنباط الأحكام ومسائل النحو والصرف وعلم المعاني والبلاغة، والتصوف والتزكية بالإضافة إلى ذكر أسباب النزول، وقد طبعت على هامشه رسالة موجزة مفيدة له حول تناسق الآيات بعضها ببعض باسم «سبق الغايات في نسق الآيات».

والحقيقة أن العلماء اختلفت آراؤهم في ارتباط الآيات والسور وتناسقها بعضها ببعض، فمنهم من ذهبوا إلى أن آيات القرآن أنزلت في مناسبات مختلفة ونظرًا إلى الأوضاع والظروف المتباينة، وكأنها توجيهات بوقائع منوعة حدثت حينًا لآخر، فالبحث عن الترابط بينها غير معقول، ويؤيد وجهة النظر هذه أن الله عز شأنه غير متقيد بأساليب كلام خلقه، فالإنسان مفتقر في تأليف كتبه إلى أن يربط كلامه بعضه ببعض، وليس من شأن الإله الحق أن يسير على هذا النمط في إنزال كتابه، وإنما مثله كمثل «المنشور الملكي» الذي لا يبحث فيه عن التناسق والنظم، ولكن الجمهور يرون أن الله أنزل كتابه على أسلوب مألوف لدى الإنسان فروعي فيه بقواعد النحو والصرف وأصول البلاغة والمعاني، وهكذا روعي فيه التناسق بين السور والآيات، غير أن هذا لا يدرك أحيانًا لدى العامة من الناس لدقته وبداعته، كما قال العلامة برهان الدين البقاعي (م:٨٨٥هـ): «إن صلة علم التفسير بعلم المناسبات مثل صلة علم النحو بعلم البيان» (نظم الدرر١/ ٦). فعني به بعض المفسرين عناية فائقة، ويمكن أن يذكر كمثال لكتب التفسير التي تراعي بهذا الجانب كتاب «مفاتيح الغيب» للعلامة فخر الدين الرازي، كما جاء بعده من المفسرين من نهج هذا المنهج، ومن أبرزهم العلامة برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (م:٨٨٥هـ -١٤٠٩م) فإنه ألف «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» في اثنتين وعشرين مجلدًا، والظاهر من اسم الكتاب أنه يبحث خاصة في هذا الموضوع.

إن اللغة العربية تسعد بأنها ذاخرة بخدمة القرآن الكريم مع قصر عمرها، ومعظم علماء شبه القارة الهندية الذين ألفوا كتب التفسير ركزوا على تناسب

الآيات والسور، وعلى مقدمتهم الشيخ محمد حميد الدين الفراهي فكان له منهج خاص في هذا الفن، قدمه في كتابه «نظام القرآن» ونسج على منواله تلميذه الشيخ أمين أحسن الإصلاحي في كتابه «تدبر القرآن».

ومن أبرزهم الشيخ أشرف علي التهانوي فإنه كتب حول التناسب والتناسق بأسلوب موجز وممتع ولكنه لم يتكلف في هذا وتجنب التصنع في ربط الآيات والسور بعضها ببعض، فألف رسالة مستقلة باسم «سبق الغايات في نسق الآيات» طبعت على هامش تفسيره «بيان القرآن»، ولكن الكتب التي تطبع على الهوامش تفقد نفعها وتصبح مطمورة، فلم تطبع هذه الرسالة حتى الآن على حدة، بارك الله في حياة الشيخ محمد عبيد الله الأسعدي الذي قام بتحقيق هذه الرسالة واعتنى بها، فازدادت أهميته وقيمته، لأجل أنها تطبع كرسالة مستقلة، والشيخ الأسعدي مؤلف قدير ناجح وموفق من الله.

وقد قدم إلى أهل العلم من قبل مؤلفات قيمة في فنون مختلفة من أصول الحديث، وأصول الفقه والفقه الإسلامي والسير والتراجم وما إلى ذلك، وله جهود مشكورة في تحقيق تراث السلف، وهذا الكتاب خير نموذج لذلك.

من حسن نصيب «مجمع الفقه الإسلامي بالهند» وسعادة نصيبه أنه يقدم واحدًا من مؤلفات الشيخ أشرف علي التهانوي في صورة أحسن من ذي قبل، وبذلك يمكن للعلماء العرب أيضًا أن يستفيدوا منه، فقد صدر من قلم عالم نحرير ومؤلف قدير، تقبل الله هذا الكتاب وجزى المؤلف والمحقق خيرًا وجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

خالد سيف الله الرحماني
الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي بالهند
٢٥/ صفر ١٤٣٣هـ
٢٠/ يناير ٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، أما بعد!

فإن الشيخ أشرف علي التهانوي المعروف بحكيم الأمة رحمه الله تعالى كان من أعلام الهند ونوابغ الرجال في القرن الرابع عشر الهجري وممن أكرمه الله تعالى في القرن الماضي بخدمة العلم والدين وقيادة الأمة والعناية بأحوالها من نواحي شتى كما سيعرف ذلك القراء من ترجمته المختصرة التي زينا الكتاب بها.

وكان رحمه الله تعالى سباق الغايات في عدة مجالات من العلم فكان إمامًا في التفسير يشهد له بذاك تفسيره «بيان القرآن»، وإمامًا في الفقه يشهد له بذاك مجموع فتاواه ورسائله الفقهية وكتاب «أحكام القرآن وإعلاء السنن» وإمامًا في التصوف والسلوك أيضًا جنبًا بجنب يشهد له كتابه «مسائل السلوك من كلام ملك الملوك» وغيره من مجهوداته.

وله رحمه الله في التفسير عدة أشياء ومن أهمها هذا الكتاب الذي بأيديكم والكتاب من أفراده في الموضوع فإنه مع أن صنفوا كثيرًا وكثيرًا في علوم القرآن إلا أن العلم الذي هو موضوع هذا الكتاب، ألا وهو علم الارتباط فيما بين الآيات وبين السور بعضها مع بعض لم يتعرض له كثير أحد من العلماء والمفسرين إلا النذر اليسير.

وقد ذكر من ذلك أشياء المفسر المفلق في هذا الباب وفي هذا الفن الشريف صاحب الكتاب وهو العلامة برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، ورأينا أن نأخذ من بداية كتابه نبذًا نافعًا ونلحقه بهذا السفر.

وقد توجه إليه واعتنى به العلامة على المهائمي (ت ٨٣٥هـ) في تفسيره «تبصير

الرحمن» ولعل أول من توسع فيه هو الإمام الرازي في تفسيره الكبير ثم تلا تلوه من جاء بعده وقد ذكر هذا العلم عدد من فحول علماء القرآن وتبسط فيه بعض نوابغ مفسري القرآن.

ولما كان الشيخ التهانوي بحيث إنه قد فتحت له العلوم من جنابه سبحانه وتعالى وأكرم منه تعالى بسعة النظر ودقته في علوم القرآن كانت له عناية خاصة بهذه الناحية وكان يتكلم بذاك اهتمامًا وزين تفسيره «بيان القرآن» بذاك وعد هذا من ميزاته.

ولم يكتف الشيخ بهذا بل ألف في الموضوع مؤلفًا خاصًا واهتم بطبعه ونشره باسم «سبق الغايات في نسق الآيات» والكتاب نال القبول بين الأوساط العلمية في الهند، ألفه المؤلف سنة ١٣٢٦هـ وألفه في مدة شهرين وأسبوعين شهر صفر المظفر وشهر ربيع الأول وربيع الآخر نصفه وما كتبه في الارتباط بين السور فرغ منه ٣ جمادى الأخرى من نفس السنة فكأنه اشتغل بهذا العمل لمدة شهر ونصف تقريبًا.

إلا أن الكتاب مع أهميته وميزته لم يخرج من الهند إلى الخارج ومع الأسف منذ أمد بعيد أنه غائب من السوق ولم يحظ بطبعه في حلة جديدة تناسب العصر الحالي.

فجزى الله تعالى الخير إخوة توجهوا إلى ذلك ليعم علمه ويتم نفعه، واهتموا بطبعه بالكمبيوتر في أحسن حلة، مزينًا بالإحالة إلى مأخذه الأصلية من «التفسير الكبير وتفسير أبي السعود».

وقد أكرمني الله أيضًا بخدمة هذا الكتاب بهذا الصدد والسبيل وساعدني في ذلك بعض الإخوة من طلاب الجامعة العربية بهتورا الهند ومن أساتذتها حتى قدرت على استخراج النصوص من مأخذها مع المقابلة بالنسخة المطبوعة من

الكتاب.

وجزى الله أحسن الجزاء المسؤولين لمؤسسة إيفا للطبع والنشر بدلهي الهند – على العناية والاهتمام بطبع هذا الكتاب ونشره فلهم الشكر الجزيل منا والأجر الجميل عند ربنا.

وأنا العبد

محمد عبيد الله الأسعدي

عضو هيئة التدريس بالجامعة العربية

هتورا، بانده، الهند

(٢١/ ١/ ١٤٣٣هـ)

بيان وجيز في تعريف
علم مناسبات السور والآيات وأهمية هذا العلم
وفي بعض أهم المصادر والكتب فيه[١]

قال البقاعي: علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علله وترتيب أجزائه وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو.

وقال الزركشي في «البرهان في علوم القرآن» في ذكر النوع الثاني من علوم القرآن وهو علم المناسبة: قد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي.

وقال الرازي في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط، وقال أيضًا في تفسير قوله تعالى آمن الرسول الآية (من البقرة):

«من تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجزة بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو معجزة أيضًا بسبب ترتيبه ونظم آياته.

ولعل الذين قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه، أرادوا ذلك.

---

(١) إنما أخذنا هذا البحث من بداية كتاب ومقدمته وهو كتاب : (نظم الدرر في مناسبات الآيات والسور) للمفسر برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي .

إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الأسرار وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل:

والنجم تستصغر الأبصار صورته فالذنب للطرف لا للنجم في الصغر

وقال القاضي أبو بكر ابن العربي في(سراح المريدين): ارتباط آية القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسعة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله لأ لنا فيه فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ما حاصله: المناسبة علم حسن لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع علي أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلًا عن أحسنه فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض.

وقال الزركشي: قال بعض مشائخنا المحققين وهو العارف محمد بن أحمد الملوي المنفلوطي: قد وهم من قال: لا يطلب للآية الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرقة.

وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلًا وعلى حسب الحكمة ترتيبًا وتأصيلًا، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوفيق كما أنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها تكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جم. انتهى.

قال البقاعي: وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين أحدهما نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب والأول أقرب تناولًا وأسهل ذوقًا.

وقال أيضًا: وبذلك أيضًا يوقف على الحق من معاني آيات حار فيها المفسرون لتضييع هذا الباب من غير ارتياب منها قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾ [١٣٣] الآيتين (وغيرها من الآيات).

وقال أيضًا: فرب آية أقمت في تأملها شهورًا منها ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ [١٢١] في آل عمران ومنها ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ [١٢٧] في النساء.

وقال أيضًا: لا تنكشف هذه الأغراض أتم انكشاف إلا لمن خاض غمرة هذا الكتاب وصار من أوله وآخره وأثناءه على ثقة وصواب ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة:٢٦٩].

وقال أيضًا: قال أبو القاسم محمد المشدالي المغربي المالكي (ت٨٦٥هـ) و﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ [النساء:١٧٦] :

الأمر الكلي المفيد بعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن.

وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله تعالى وجه النظم مفصلًا بين كل آية وآية في كل سورة وسورة والله الهادي انتهى.

وقد عقد في بيان هذا العلم فصلًا، العلامة الزركشي في كتابه «البرهان في علوم القرآن» وذكر فيه:

أول من أظهر ببغداد علم المناسبة، هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسافوري الفقيه الشافعي (ت٣٢٤هـ).

أما الكتب في هذا العلم الشريف والفن المنيف فقد ذكر منه أشياء البقاعي في تفسيره مما كان أمامه من بداية عمله الجليل ومما وقف عليه أثناء الرحيل في شعاب هذا العلم وقد قضى فيه ومكث لأمد طويل فجزاه الله تعالى خير الجزاء.

(١) أهمه وأوسعه وأشهره وأكثره تناولًا وأسهله استفادة تفسير «نظم الدرر في تناسب الآية والسور» للإمام المفسر برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ). قال فيه مؤلفه: هذا كتاب عجاب، رفيع الجناب في فن ما رأيت من سبقني إليه.

(٢) (البرهان في ترتيب سور القرآن) هو للعلامة أبي جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفي العاصمي الأندلسي (ت٨٠٧هـ) (وفيه بيان مناسبات السور فقط).

(٣) مفتاح الباب المفصل لفهم القرآن المنزل.

(٤) كتاب العروة لهذا المفتاح.

(٥) التوشية والتوفية.

وهذه الثلاثة: للإمام الرباني أبي الحسن علي بن أحمد بن الحسن التجيبي الحرالي

المغربي نزيل حماة من بلاد الشام.

(٦) وللشيخ المذكور تفسير بسيط يعتني فيه بذلك اعتناءًا كاملًا.

(٧) تفسير ابن النقيب الحنفي

وهو في نحو ستين مجلدًا يذكر فيه المناسبة لكن بالنسبة إلى بعض الآيات والقصص لا جميع الآيات.

(٨) التفسير الكبير للإمام الرازي (ت٦٠٦هـ).

(٩) (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) المعروف بتفسير أبي السعود لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١٩هـ).

وقد استكثر منهما بل انحصر فيهما مؤلف هذا السفر الشيخ التهانوي لأنه لم يقف ولم يصل إلى غيره من كتب هذا العلم وله وللشيخ المفتي محمد شفيع الديوبندي والشيخ محمد إدريس الكاندهلوي عناية بالغة بهذا العلم في تفاسيرهم وتفاسير الثلاثة مع الأسف بالأردية ولم ينقل إلى العربية أحد منها إلى الآن.

***

مولانا أشرف علي التهانوي

الشيخ العالم أشرف علي بن عبد الحق الحنفي التهانوي الواعظ المعروف بالفضل والأثر.

ولد بتهانه بهون قرية من أعمال مظفرنغر لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ثمانين ومائتين بعد الألف.

وقرأ المختصرات على مولانا فتح محمد التهانوي والمولوي منفعت علي الديوبندي، وقرأ أكثر كتب المنطق والحكمة وبعض الفقه والأصول على مولانا محمود حسن الديوبندي المحدث، وأكثر كتب الفقه والأصول وبعض الحديث والفنون الرياضية والمواريث على الشيخ السيد أحمد الدهلوي، والحديث والتفسير على مولانا يعقوب بن مملوك العلي النانوتوي، كلها في المدرسة العالية بديوبند.

ثم سافر إلى الحجاز فحج وزار وأخذ الطريقة عن الشيخ الكبير إمداد الله التهانوي المهاجر إلى مكة المباركة، وصحبه زمانًا ثم رجع إلى الهند.

ودرس مدة طويلة في مدرسة جامع العلوم بكانفور مع اشتغاله بالأذكار والأشغال، حتى غلبت عليه الحالة فترك التدريس وسافر إلى أقطار الهند وراح إلى الحجاز مرة ثانية وصحب شيخه مدة.

ثم عاد إلى الهند وأقام بموطنه في آخر صفر سنة خمس عشرة وثلاث مائة وألف، فلم يغادره إلا نادرًا للتداوي أو الاضطرار.

وصار مرجعًا في التربية والإرشاد وإصلاح النفوس وتهذيب الأخلاق، تشد إليه الرحال ويقصد الراغبون في ذلك من أقاصي البلاد وأدانيها، وانتهت إليه الرياسة في تربية المريدين وإرشاد الطالبين، والاطلاع على غوائل النفوس ومداخل

الشياطين، ومعالجة الأدواء الباطنة والأسقام النفسية.

وهو ملتزم لمكانه يقصد ولا يقصد، يؤتي ولا يأتي، وللإقامة في زاويته والاستفادة من مجالسه قيود والتزامات، يحتملها الطالبون، لا يلتزم ضيافة القاصدين، شأن الزوايا بل يقومون بذلك بأنفسهم، ويخص بعض الفضلاء وخاصة الزائرين بالضيافة، ومع ذلك يؤمه الطالبون من أنحاء بعيدة، ويتحملون نفقاتهم.

وكانت أوقاته مضبوطة منظمة، لا يخل بها ولا يستثنى فيها إلا في حالات اضطرارية، وكان إذا انصرف من صلاة الصبح اشتغل بذات نفسه عاكفًا على الكتابة والتأليف منفردًا عن الناس، لا يطمع فيه طامع إلى أن يتغدى ويقيل ويصلي الظهر، فإذا صلى الظهر جلس للناس يكتب الردود على الرسائل، ويقرأ بعضها للناس ويتحدث إليهم، ويؤنسهم بنكته ولطائفه.

وكان حديثه نزهة للأذهان، وفاكهة للجلساء، بحيث لا يملون ولا يضيقون، فإذا صلى العصر انفرد عن الناس واشتغل بشؤون بيته إلى أن يصلي العشاء، فلا يطمع فيه طامع.

وقد كان من كبار العلماء الربانيين الذين نفع الله بمواعظهم ومؤلفاتهم، وقد بلغ عدد مجالس وعظه التي دونت في الرسائل وجمعت في المجامع إلى أربع مائة مجلس، وقد كان نفع كتبه ومجالس وعظه عظيمًا في إصلاح العقيدة والعمل، واستفاد منه ألوف من المسلمين، ورفض عدد لا يحصيه إلا الله العادات والتقاليد الجاهلية والرسوم والبدع التي دخلت في حياة المسلمين وفي بيوتهم وأفراحهم وأحزانهم بسبب الاختلاط الطويل بالكفار وأهل البدع والأهواء، وقد كان له فضل كبير في تيسير الطريقة وتقريبها، وتنقيح الغايات من الوسائل، واللباب من

القشور والزوائد.

كانت له اليد الطولى في المعارف الإلهية، ومهارة جيدة في التصنيف والتذكير، ورزق من حسن القبول ما لم يرزق غيره من العلماء والمشائخ في العصر الحاضر.

وله مصنفات كثيرة ممتعة ما بين صغير وكبير وجزء لطيف ومجلدات ضخمة، أحصاه بعض أصحابه فبلغت إلى نحو ثمان مائة.

منها نحو اثني عشر كتبًا بالعربية، منها «أنوار الوجود في أطوار الشهود»، و«التجلي العظيم في أحسن تقويم» و«سبق الغايات في نسق الآيات» وغيرها.

ومن مصنفاته في غير العربية «الإكسير في ترجمة التنوير» و«التأديب لمن ليس له في العلم والأدب نصيب»، و«تحذير الإخوان عن تزوير الشيطان» و «القول البديع في اشتراط المصر للتجميع» و«القول الفاصل بين الحق والباطل»، و «تنشيط الطبع في إجراء القراءات السبع»، و«بيان القرآن» في الترجمة والتفسير في ثلاثين جزءًا و«التكشف عن مهمات التصوف»، و«تربية السالك وتنجية الهالك» و«حياة المسلمين» و«تعليم الدين» و«البوادر والنوادر» و«إصلاح الرسوم» ومجاميع كثيرة لمجالسه وكلامه ولمواعظه أيضًا.

وقد كان لكتابه «بهشتي زيور» الذي ألفه أصلًا لتعليم البنات وضمنه المسائل الفقهية التي تشتد إليها الحاجة رواج وذيوع قلما بلغهما كتاب آخر من الكتب الدينية في هذا العصر، وطبع مرارًا كثيرة يصعب إحصاؤها.

وكان مشكلًا منور الشبيه، أبيض مشرب الحمرة، ربعة من الرجال، حسن الثياب في غير إسراف وتجمل.

حلو المنطق، لطيف العشرة، فيه دعابة مع مهابة، ووقار وسكينة ورزانة، كثير المحفوظ، حسن الاستشهاد بالأبيات، كثير الإنشاد لأشعار المثنوي لمولانا جلال

الدين الرومي في المواعظ وفي المجالس في محالها، شديد العناية كثير الحسبة على أداء الحقوق إلى أصحابها وإصلاح المعاملات مع الناس، لا يحتمل في ذلك تساهلًا وتغافلًا.

توفي إلى رحمة الله تعالى لست عشرة خلون من رجب سنة اثنتين وستين وثلاث مائة وألف وقد بلغ من العمر اثنتين وثمانين سنة، ودفن في (تهانة بهون).

قد نال كثير من مؤلفاته القبول العام بين الأنام من الخواص والعوام ويعد بعضها سندًا وعمدة في الموضوع، منها مجموع فتاواه المعروف به «إمداد الفتاوى» في ست مجلدات ضخمة وتفسير «بيان القرآن» ألفه بالأردية لكن أعجب به واستفاد العلماء البارعون والفضلاء النوابغ.

***

آثار المؤلف
في علوم القرآن وتفسيره

(١) تجويد القرآن .

(٢) جمال القرآن .

(٣) تنشيط الطبع في إجراء السبع .

(٤) رفع الخلاف في حكم الأوقاف .

(٥) آداب القرآن .

(٦) يادغار قرآن (تذكار القرآن) .

(٧) متشابهات القرآن لتراويح رمضان .

(٨) وجوه المثاني مع توجيه الكلمات والمعاني .

(٩) زيادات على كتب الروايات (التاسع والثامن في روايات القراءة، الأول في المشهورة منها والثاني في غير المشهور) .

(١٠) سبق الغايات في نسق الآيات .

(١١) تصوير المقطعات لتيسير بعض العبارات (شرح ما جاء في تفسير البيضاوي من البيان والكلام في الحروف المقطعات) .

(١٢) ظهور القرآن مع صدور البيان .

(١٣) رفع البناء في نفع السماء .

(١٤) تمهيد الفرش في تحديد العرش (في تفسير بحث الاستواء) .

(١٥) التواجه بما يتعلق بالتشابه .

(١٦) إلقاء السكينة في تحقيق إبداء الزينت .

(١٧) ملاحة البيان في فصاحة القرآن .

(١٨) دفع الاعتساف عن آية الاستخلاف .

(١٩) العنوان في آيتي سورة الامتحان .

(٢٠) تنزيه علم الرحمن عن سمة النقصان .

(٢١) أحسن التفهيم بمقوله سيدنا إبراهيم .

(٢٢) التقصير في التفسير .

(٢٣) الهادي للحيوان في وادي تفصيل البيان .

(٢٤) إصلاح ترجمة دهلوية .

(٢٥) إصلاح ترجمة سيرت .

(٢٦) مسائل السلوك من كلام ملك الملوك (في التفسير الإشاري الصوفي) .

- (وله غير ذلك من المباحث والفتاوى والأبحاث في ما يتعلق بالقرآن وترجمته وتفسيره) :

(٢٧) أحكام القرآن .

- (هذا الكتاب من ترتيب ومؤلفات تلاميذه وأصحابه الخلص الخصص لكن لا يخلو من إفاداته وارشاداته) :

(٢٨) بيان القرآن .

وهو تفسير كامل، در يتيم وفرد فريد في بابه وموضوعه مع أنه بالأردية لكن

فيه ما يستفيد به المولعون بالعربية ويستنير منه الغواصون في بحر المعاني القرآنية وأمهات مصادر تفسير الكتب الربانية.

يقول فيه الشيخ محمد يوسف البنوري (صاحب معارف السنن شرح السنن للإمام الترمذي):

كابد فيه مطالعة كتب المفسرين ولخص فيه أمورًا مفيدة وحل مواضع مشكلة غامضة بوجه أنيق وزاد نفعها بفوائد العربية، (يتيمة البيان في شيء من علوم القرآن ص ٤٥،٥١).

وقال الشيخ الفقيه محمد تقي العثماني (صاحب تكملة فتح الملهم شرح الصحيح الصحيح للإمام مسلم):

له تفسير بديع باللغة الأردية باسم بيان القرآن في أربع مجلدات ضخمة من القطع الكبير يحوي مباحث علمية هامة من التفسير والنحو والبلاغة والفقه والكلام والتصوف - أخذًا من المطولات - من كتب التفسير فإنه يجمع لبها ومغزاها بعبارة مميزة علمية جامعة، (من مقدمته لكتاب إعلاء السنن١/ ١١).

وراجع للتعريف الوجيز البليغ بالمؤلف كتاب «أشرف علي التهانوي حكيم الأمة وشيخ مشائخ العصر في الهند» لمؤلفه محمد رحمة الله الندوي (ص٣٥٦/ ٣٨٤/ من الكتاب).

ليلاحظ أن أكثر مؤلفاته وآثاره في العلوم القرآنية بالعربية وكثير منه بالأردية[1].

---

(١) ولكاتب هذه السطور مقال بسيط ولغيره أيضًا من بعض العلماء أبحاث في خدماته القرآنية والتفسيرية طبعت هذه البحوث بباكستان ضمن مجموع أبحاث خاصة بالشيخ التهانوي ومواهبه العلمية وخدماته العلمية وذلك باسم «اشرف المقالات» طبعه مجلس صيانة المسلمين بلاهور، باكستان .

كلمة عما جاء في الكتاب

وليعلم أن ما جاء في الكتاب من معلومات الموضوع ومن أقوال المناسبات فهو كما ذكره المؤلف في مقدمته من نوعين نوع أخذه من غيره ونوع من عند نفسه مما ألقى في روعه وخطر بباله.

أ) فما أخذه من غيره فهو ما أخذه من كتابين فقط أحدهما كتاب «التفسير الكبير» للإمام الرازي (ت٦٠٦هـ) والآخر كتاب «تفسير أبي السعود» لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ) فما أخذه من التفسير الكبير فهو أكثر بالنسبة إلى ما أخذه من تفسير أبي السعود، ولذا فإنه لا يصرح باسم التفسير الكبير فيما يأخذه منه وينقله وما أخذه من تفسير أبي السعود يصرح باسمه لكن في بعض المواضع لم يصرح باسمه[(١)].

إلا أنه ربما يذكر بعض ما يستفيد من أحد الكتابين معزيًا إلى نفسه بقوله: قال المسكين لكن يقول معه: أخذًا من الكبير أو أبي السعود، وعنده من ذلك غير قليل.

كما أنه لا يصرح باسم أبي السعود أحيانًا حينما يتسلسل من نقل أقواله قولًا بعد قول، وكذا يصرح باسم الكبير حينما ينقل منه شيئًا بعد ذكر قول أبي السعود.

وليلاحظ أن المؤلف يأخذ ويذكر نص الكبير وأبي السعود ولفظهما وربما يختصر منه وينتقي فيترك وتارة يأتي بلفظ مناسب غير ما هو في الأصل كما أنه ربما يزيد من عند نفسه أشياء فيذكرها في الهامش لكنه يسير غير كثير وقد يذكره في الأصل وصلب الكتاب[(٢)].

---

(١) راجع لذلك الآيات ٦، ١٦، ٩٢ و ٩٣ من سورة البقرة.

(٢) مثل ما قاله تحت الآية ٤٨ من سورة القصص وقد نبهت عليه.

ربما ينقل من كل منهما فيقدم الكبير وقد يؤخره أيضًا[١]، كما أنه قد يزيد من عند نفسه مع إفادة[٢]، وقد يخالف أيضًا[٣].

ب) أما النوع الثاني وهو مما ألقى في روعه وألهم في قلبه من لدن ربه تبارك وتعالى فهو أيضًا كثير غير قليل ورب تسلسل في بعض السور كما أنه اكتفى به في بعض السور لا سيما ما جاء في الكتاب من مناسبات السور بعضها ببعض فكله أو جلها من هذا القبيل ولله در المؤلف.

غالب ما جاء في سور المفصلات من المناسبات، من المؤلف مما ألقى في روعه كما أنه ما كتب في سورة الأحزاب من المناسبات كلها من هذا القبيل وكذا معظم ما كتب في سورة بني إسرائيل (الإسراء).

وفي بعض السور معظم المناسبات مأخوذة من تفسير أبي السعود مثل سورة «ص» وفي بعض السور المناسبات كلها من أبي السعود ومن عند المؤلف مثل سورة «القصص».

وليعلم أيضًا أن الكتاب موضوعه بيان مناسبات الآيات بعضها ببعض لكنه تكلم في مناسبة السور بعضها ببعض أيضًا إلا أنه ما ذكر من ذلك في الكتاب وضعه في الغالب في الهامش وما وضعه في أصل الكتاب ومتنه فنبه عليه وأشار إليه في الهامش بقوله وكأنه جعل ذلك كتابًا آخر غير كتاب نسق الآيات ولذا فإنه كما كتب خاتمة «سبق الغايات ونسق الآيات» كتب خاتمة مناسبات السور أيضًا بقوله:

وعند ذلك ختم الكتاب قال صاحب المنهيات عفا الله عنه جميع السيئات: هذا

---

(١) راجع لذلك الآية ٩٣، ١٩٩ من آل عمران والآية ٥١ من الحجر.

(٢) راجع لذلك الآية ١٩ من الأنعام والآية ٣٨ من الأنعام.

(٣) راجع لذلك الآية ٩٠ من المائدة والآية ٢٦ من آل عمران.

آخر ما أردنا في الارتباط بين السور القرآنية، وقع الفراغ فيه ثالث جمادى الأخرى ١٣١٦ الهجرية النبوية على صاحبها ألف ألف سلام وتحية.

وليلاحظ أنه ما جاء من المناسبات تحت الآية ١٠٩ من الأنعام والآية ٤٨ من سورة العنكبوت والآية ١٥ من الزخرف لم أجدها في أحد المأخذين والمؤلف لم ينسبه إلى نفسه وكذا ما ذكره في بداية سورة مريم.

فلا أدري هذا من قلة تتبعي وخطأ نظري وفحصي أم ذاك من عند المؤلف.

***

كلمة المحقق
حول عمل التحقيق

بعد الحمد لله تعالى والصلاة والسلام على نبيه ذي الصفات العلى.

أشكر الله تعالى على أن أكرمني بخدمة هذا السفر الجليل الكاشف عن أحد من أهم علوم كتابه والحق أنه في موضوعه كتاب نبيل، وذلك بمناسبة طبعه الجديد طبعًا يناسب هذا العصر - بالكمبيوتر ولوازمه بعد أن كان يطبع سابقًا بالحديد.

ويجدر بي وهو المعمول والمعروف من أعمال المحققين أن أبدى ما تأتي فيه بعنايتي وجهودي في هذا الطبع.

(١) إني قرأت نص الكتاب فجعلته في قطعات وفقرات كل آية في فقرة وربما جاءت آية في فقرتين فصاعدًا إذا ذكر المؤلف لقطعة وقطعة من آية مناسبات مفرده مفرزة.

(٢) ذكرت أرقام الآيات.

(٣) ذكرت الإحالات لكل ما ذكره ونقله المؤلف من التفسيرين الكبير أو تفسير أبي السعود وذلك ببيان الأجزاء والصفحات.

(٤) صححت النص إذا وجدت فيه الأخطاء بدون تنبيه على الأغلاط المطبعية.

(٥) وإذا وقفت على سقط زدته وجعلته بين القوسين فالقوسان إشارة إلى زيادة من المحقق.

(٦) وكذا ما جاء في الكتاب بهوامشه من مناسبات السور أو من غيرها

توضيحًا جعلته بين القوسين فالقوسان هنا إشارة إلى تصرف من المحقق.

وقد نبهت في كل موضع على هذا بأن كتبت: هذا في الأصل بالهامش أو هذا من الهامش وربما قلت: زيادة من المؤلف وبنحو هذا ولم أهتم وأتقيد بلفظ واحد في كل مكان.

(٧) وجدت بعض المناسبات لبعض الآيات بحيث إنه متصل ببيان مناسبة ما قبلها بدون ذكر الآية المتعلق بها هذه المناسبة فذكرت الآية وجعلت مناسبتها متصلة بها[(١)].

(٨) الآيات ذكرها المؤلف بدون لفظ قوله تعالى فلما جعلت الكتاب في فقرات رأيت من المناسب زيادة «قوله تعالى» وفي كل موضع ذكر المؤلف أو نقل -: فقال الخ ونحوه ففي مثل هذه المواضع لم أذكر لفظ قوله تعالى لأن نص الكتاب مستغنى عن هذا.

(٩) وإني لم أزد من عند نفسي شيئًا في الأصل ولا في الهوامش إلا ما كان ضروريًا وقد ذكرته.

غير أني اضطررت إلى أن أكتب هامشًا وذلك تصحيحًا لخطأ وزيادة للإيضاح وذلك في سورة البقرة آية رقم ٣٣، والباعث لذلك مكتوب وموجود هناك يستطيع القاري أن يقف عليه بمراجعة الموضع المذكور[(٢)].

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، وصلى الله على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا ونبينا محمد المصطفى رسوله الكريم.

---

(١) وذلك مثل الآية ١١٨ من سورة المؤمن قل رب اغفرلي.

(٢) راجع الآية ٢٣٣ من سورة البقرة: «والوالدات يرضعن أولادهن» الحكم الثاني عشر الرضاع الخ، والآية ٢٤١ وللمطلقات متاع بالمعروف.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا مثاني، على نبيه وصفيه الذي أوتي جوامع الكلم قليلة المباني كثيرة المعاني، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين دانت لهم الأمم من الأقاصي والأداني.

أما بعد!

فهذا كتاب وجيز في بيان الارتباط فيما بين الآيات القرآنية والمعاني الفرقانية، اشتدت إليه الحاجة في هذا الزمان لكثرة من يفتش عن هذا الشأن، ملتقط أكثره من «الكبير» ومن ثم لم يحتج إلى التصريح بالنسبة إليه، وبعضها من «تفسير أبي السعود» وقد أحيل عليه، وفي مواضع شتى مما ورد على هذا المهين وقد أفصح عنه بقال المسكين هذا وقد سمى بـ «سبق الغايات في نسق الآيات».

اللهم اجعله خالصًا لوجهك الكريم وانفع به خدام القرآن الكريم، واجعلنا ممن يتمسك – إلى الأجل – بهذا الصراط المستقيم.

***

سورة الفاتحة

اعلم أن مراتب أحوال الخلق خمسة: أولها الخلق، وثانيها التربية في مصالح الدنيا، وثالثها التربية في تعريف المبدأ، ورابعها التربية في تعريف المعاد، وخامسها نقل الأرواح من عالم الأجساد إلى دار المعاد.

فاسم الله تعالى منبع الخلق والإيجاد والتكوين والإبداع، واسم الرب يدل على التربية بوجوه الفضل والإحسان، واسم الرحمن يدل على التربية في معرفة المبدأ، واسم الرحيم في معرفة المعاد، حتى يحترز عما لا ينبغي ويقدم على ما ينبغي، واسم الملك يدل على أنه ينقلهم من دار الدنيا إلى دار الجزاء.

ثم عند وصول العبد إلى هذه المقامات انتقل الكلام من الغيبة إلى الحضور فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ كأنه يقول إنك إذا انتفعت بهذه الأسماء الخمسة في هذه المراتب الخمس وانتقلت إلى دار الجزاء صرت بحيث ترى الله فحينئذ تكلم معه على سبيل المشاهدة لا على سبيل المغايبة.

ثم قل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ كأنه قال إياك نعبد لأنك الله الخالق، وإياك نستعين لأنك الرب الرازق، إياك نعبد لأنك الرحمن وإياك نستعين لأنك الرحيم، إياك نعبد لأنك الملك وإياك نستعين لأنك المالك.

واعلم أن قوله : ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤﴾ دل على أن العبد منتقل من دار الدنيا إلى دار الآخرة ومن دار الشرور إلى دار السرور فقال: لا بد لذلك اليوم من زاد واستعداد وذلك هو العبادة فلا جرم قال : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ .

ثم قال العبد: الذي اكتسبته بقوتي وقدرتي قليل لا يكفيني في ذلك اليوم

الطويل، فاستعان بربه فقال: ما معي قليل فأعطني من خزائن رحمتك ما يكفيني في ذلك اليوم الطويل فقال: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

ثم لما حصل الزاد ليوم المعاد قال: هذا سفر طويل شاق والطرق كثيرة والخلق قد تاهوا في هذه البادية فلا طريق إلا أن اطلب الطريق ممن هو بإرشاد السالكين حقيق فقال: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾.

ثم إنه لا بد لسالك الطريق من رفيق ومن بدرقة ودليل فقال: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ والذين أنعم الله عليهم هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، فالأنبياء هم الأدلاء، والصديقون هم البدرقة، والشهداء والصالحون هم الرفقاء.

ثم قال: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ وذلك لأن الحجب عن الله قسمان: الحجب النارية وهي عالم الدنيا ثم الحجب النورية وهي عالم الأرواح فاعتصم بالله سبحانه وتعالى من هذين الأمرين وهو أن لا يبقى مشغول السر لا بالحجب النارية ولا بالحجب النورية[1].

***

(١) التفسير الكبير ١/ ٢٨٩، ٢٩٠.

سورة البقرة

وجه المناسبة بين آخر الفاتحة وأول البقرة أن العبد لما سأل الهداية من الله تعالى بقوله: اهدنا الصراط المستقيم أجاب الله تعالى سؤاله فقال:

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ أي خذ ما سألت من الهداية فهذا الكتاب هو الهداية الكبرى(١).

قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:١-٢].

إنه نبه أولًا على أنه الكلام المتحدي به ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي ثم نفي أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة بكماله ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينًا لا يحوم الشك حوله(٢).

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة:٣].

الأقرب أن تكون هذه الأشياء تفسيرًا لكونهم متقين وذلك لأن كمال السعادة لا يحصل إلا بترك ما لا ينبغي وفعل ما ينبغي، فالترك هو التقوى، والفعل إما فعل القلب وهو الإيمان أو فعل الجوارح وهو الصلاة والزكاة(٣).

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة:٤].

---

(١) هذا في الأصل بهامش الكتاب وكذلك في بداية كل سورة ما جاء من كلام المؤلف وقع في الهامش وأدرجناه في أصل الكتاب.

(٢) التفسير الكبير ٢/ ٢٢.

(٣) التفسير الكبير ٢/ ٢٣.

اعلم أن قوله: الذين يؤمنون بالغيب عام يتناول كل من آمن بمحمد ﷺ سواء كان قبل ذلك مؤمنًا بموسى وعيسى عليهما السلام أو ما كان مؤمنًا بهما، ودلالة اللفظ العام على بعض ما دخل فيه التخصيص أضعف من دلالة اللفظ الخاص على ذلك البعض لأن العام يحتمل التخصيص والخاص لا يحتمله.

فلما كانت هذه السورة مدنية وقد شرف الله تعالى المسلمين بقوله: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ فذكر بعد ذلك أهل الكتاب الذين آمنوا بالرسول كعبد الله بن سلام وأمثاله بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ لأنه في هذا التخصيص بالذكر مزيد تشريف لهم كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:٩٧] .

ثم تخصيص عبد الله بن سلام وأمثاله بهذا التشريف ترغيب لأمثاله في الدين فهذا هو السبب في ذكر هذا الخاص بعد ذلك العام(١) .

قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة:٥] .

في كيفية تعلق هذه الآية بما قبلها وجوه ثلاثة:

أحدها: أن ينوي الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب وذلك لأنه لما قيل هدى للمتقين فخص المتقين بأن الكتاب هدى لهم كان لسائل أن يسأل فيقول ما السبب في اختصاص المتقين بذلك فوقع قوله: الذين يؤمنون بالغيب إلى قوله: وأولئك هم المفلحون جوابًا عن السوال كأنه قيل الذي يكون مشتغلًا بالإيمان وإقامة الصلاة

---

(١) التفسير الكبير ٢/ ٣٠/ ٣١ .

وإيتاء الزكاة والفوز بالفلاح والنجاة لا بد وأن يكون على هدى من ربه.

وثانيها: أن لا ينوي الابتداء به بل يجعله تابعًا للمتقين ثم يقع الابتداء من قوله أولئك على هدى من ربهم كانه قيل أي سبب في أن صار الموصوفون بهذه الصفات مختصين بالهدى فأجيب بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلًا وبالفلاح آجلًا.

وثالثها: أن يجعل الموصول الأول صفة المتقين ويرفع الثاني على الابتداء وأولئك خبره ويكون المراد جعل اختصاصهم بالفلاح والهدى تعريضًا بأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله ﷺ وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند الله تعالى(١).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة:٦].

كلام مستأنف سيق لشرح أحوال الكفرة الغواة المردة العتاة إثر بيان أحوال أضدادهم المتصفين بنعوت الكمال الفائزين بمباغيهم في الحال والمآل(٢).

قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة:٧].

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية أنهم لا يؤمنون أخبر في هذه الآية بالسبب الذي لأجله لم يؤمنوا وهو الختم(٣).

---

(١) التفسير الكبير٢/ ٣٣.

(٢) تفسير أبي سعود١/ ٣٥.

(٣) التفسير الكبير٢/ ٤٨.

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ﴾ الآية [البقرة:٨] .

اعلم أن المفسرين أجمعوا على أن ذلك في وصف المنافقين، قالوا وصف الله الأصناف الثلاثة من المؤمنين والكافرين والمنافقين فبدء المؤمنين المخلصين الذين صحت سرائرهم وسلمت ضمائرهم ثم اتبعهم بالكافرين الذين من صفتهم الإقامة على الجحود والعناد ثم وصف حال من يقول بلسانه إنه مؤمن وضميره يخالف ذلك[(١)] .

قوله تعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ الخ [البقرة:٩] .

اعلم أن الله تعالى ذكر من قبائح أفعال المنافقين أربعة أشياء، أحدها ما ذكره في هذه الآية وهو أنهم يخادعون الله والذين آمنوا[(٢)] .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة:١١] .

اعلم أن هذا هو النوع الثاني من قبائح أفعال المنافقين[(٣)] .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ ﴾ الخ [البقرة:١٣] .

اعلم أن هذا هو النوع الثالث من قبائح أفعال المنافقين وذلك لأنه سبحانه لما نهاهم في الآية المتقدمة عن الفساد في الأرض أمرهم في هذه الآية بالإيمان لأن كمال حال الإنسان لا يحصل إلا بمجموع الأمرين أولهما ترك ما لا ينبغي وهو قوله: لا تفسدوا وثانيهما فعل ما ينبغي وهو قوله: آمنوا[(٤)] .

---

(١) التفسير الكبير ٢/ ٥٨ .

(٢) التفسير الكبير ٢/ ٦٤ .

(٣) التفسير الكبير ٢/ ٦٦ .

(٤) التفسير الكبير ٢/ ٦٧ .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ الآية [البقرة:١٤].

هذا هو النوع الرابع من أفعالهم القبيحة[١].

قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ ﴾ الآية [البقرة:١٦].

الجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وبيان لكمال جهالتهم فيما حكى عنهم من الأقوال والأفعال بإظهار غاية سماجتها وتصويرها ما لا يكاد يتعاطاه من له أدنى تمييز فضلًا عن العقلاء[٢].

قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ ﴾ الآية [البقرة:١٧].

لما بين حقيقة صفات المنافقين عقبهما بضرب مثلين زيادة في الكشف والبيان أحدهما هذا المثل[٣].

قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ الخ [البقرة:١٩].

اعلم أن هذا هو المثل الثاني للمنافقين[٤].

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ ﴾ الخ[البقرة:٢١].

إن الله تعالى لما قدم أحكام الفرق الثلاثة اعني المؤمنين والكفار والمنافقين اقبل عليهم بالخطاب من باب الالتفات[٥].

قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ ﴾ الخ [البقرة:٢١].

---

(١) التفسير الكبير٢/ ٦٨.

(٢) تفسير أبي السعود١/ ٤٨.

(٣) التفسير الكبير٢/ ٧٣.

(٤) التفسير الكبير٢/ ٧٧.

(٥) التفسير الكبير٢/ ٨٢.

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما أقام الدلائل القاهرة على إثبات الصانع وأبطل القول بالشريك عقبه بما يدل على النبوة ولما كانت نبوة محمد ﷺ مبنية على كون القرآن معجزًا أقام الدلالة على كونه معجزًا(١).

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الخ [البقرة:٢٥].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما تكلم في التوحيد والنبوة تكلم بعدهما في المعاد وبين عقاب الكافر وثواب المطيع ومن عادة الله تعالى أنه إذا ذكر آية في المواعيد أن يعقبها بآية في الوعد(٢).

قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾ الخ [البقرة:٢٦].

اعلم أنه تعالى لما بين بالدليل كون القرآن معجزًا ذكر ههنا شبهة أوردها الكفار قدحًا في ذلك وأجاب عنها وتقرير الشبهة أنه جاء في القرآن ذكر النحل والذباب والعنكبوت والنمل وهذه الأشياء لا يليق ذكرها بكلام الفصحاء فاشتمال القرآن عليها يقدح في فصاحته فضلًا عن كونه معجزًا فأجاب الله تعالى عنه بأن صغر هذه الأشياء لا يقدح في الفصاحة إذا كان ذكرها مشتملًا على حكم بالغة(٣).

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ الخ [البقرة:٢٨].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما تكلم في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد إلى هذا الموضع فمن هذا الموضع إلى قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:٤٠] في شرح النعم التي عمت جميع المكلفين وهي أربعة أولها نعمة الإحياء

---

(١) التفسير الكبير ٢/ ١١٥.

(٢) التفسير الكبير ٢/ ١٢٢.

(٣) التفسير الكبير ٢/ ١٣١، ١٣٢.

وهي المذكورة في هذه الآية[١].

قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم ﴾ الخ [البقرة:٢٩].

اعلم أن هذا هو النعمة الثانية التي عمت المكلفين بأسرهم وما أحسن ما راعى الله سبحانه وتعالى هذا الترتيب فإن الانتفاع بالأرض والسماء إنما يكون بعد حصول الحياة فلهذا ذكر الله أمر الحياة أولا ثم اتبعه بذكر السماء والأرض[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ الخ [البقرة:٣٠].

اعلم أن هذه الآية دالة على كيفية خلقة آدم عليه السلام وعلى كيفية تعظيم الله تعالى إياه فيكون ذلك إنعامًا عامًا على جميع بني آدم فيكون هذا هو النعمة الثالثة من تلك النعم العامة التي أوردها في هذا الموضع[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ ﴾ الخ [البقرة:٣١].

اعلم أن الملائكة لما سألوا عن وجه الحكمة في خلقة آدم عليه السلام وذريته وإسكانه تعالى إياهم في الأرض وأخبر الله تعالى عن وجه الحكمة في ذلك على سبيل الإجمال بقوله: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ أراد تعالى أن يزيدهم بيانًا وأن يفصل لهم ذلك المجمل فبين تعالى لهم من فضل آدم عليه السلام ما لم يكن ذلك معلوما لهم وذلك بأن علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم عليه ليظهر بذلك كمال فضله وقصورهم عنه في العلم فيتأكد ذلك الجواب الإجمالي بهذا الجواب التفصيلي[٤].

---

(١) التفسير الكبير ٢/ ١٤٩.

(٢) التفسير الكبير ٢/ .

(٣) التفسير الكبير ٢/ ١٥٩.

(٤) التفسير الكبير ٢/ ١٧٥.

قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ ﴾ الخ [البقرة:٣٢].

استيناف واقع موقع الجواب كأنه قيل: فماذا قالوا حينئذ هل خرجوا من عهدة ما كلفوه أولًا؟ فقيل قالوا[١].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ ﴾ الخ [البقرة:٣٤].

اعلم أن هذا هو النعمة الرابعة من النعم العامة على جميع البشر وهو أنه سبحانه وتعالى جعل أبانا (آدم) مسجودًا للملائكة وذلك لأنه تعالى ذكر تخصيص آدم بالخلافة أولًا ثم تخصيصه بالعلم الكثير ثانيًا ثم بلوغه في العلم إلى أن صارت الملائكة عاجزين عن بلوغ درجته في العلم وذكر الآن كونه مسجودًا للملائكة[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ ﴾ الخ[البقرة:٣٥].

إن الله تعالى لما أمر الكل بالسجود لآدم وأبى إبليس السجود صيره الله ملعونًا ثم أمر آدم بأن يسكن الجنة مع زوجته[٣].

قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ﴾ الخ [البقرة:٤٠].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما أقام دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أولًا ثم عقبها بذكر الإنعامات العامة لكل البشر عقبها بذكر الإنعامات الخاصة على أسلاف اليهود كسرًا لعنادهم ولجاجهم بتذكير النعم السالفة واستمالة لقلوبهم بسببها وتنبيها على ما يدل على نبوة محمد ﷺ من حيث كونها إخبارًا عن الغيب.

---

(١) تفسير أبي السعود١/ ٨٥.

(٢) التفسير الكبير٢/ ٢١٢.

(٣) التفسير الكبير٣/ ٢.

واعلم أنه سبحانه ذكر تلك النعم أولًا على سبيل الإجمال فقال: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ وفرع على ذكرها الأمر بالإيمان بمحمد ﷺ فقال: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ﴾ [البقرة:٤١] ثم عقبها بذكر الأمور التي تمنعهم عن الإيمان به ثم ذكرهم تلك النعم على سبيل الإجمال ثانيًا بقوله مرة أخرى ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ تنبيهًا على شدة غفلتهم ثم أردف هذا التذكير بالترغيب البالغ بقوله ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:٤٧] مقرونًا بالترهيب البالغ بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ إلى آخر الآية [البقرة:٤٨] ثم شرع بعد ذلك في تعديد تلك النعم على سبيل التفصيل ومن تأمل وأنصف علم أن هذا هو النهاية في حسن الترتيب لمن يريد الدعوة وتحصيل الاعتقاد في قلب المستمع[١].

قوله تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ﴾ الخ [البقرة:٤١].

اعلم أن قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ﴾ أمر بترك الكفر والضلال وقوله: ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [البقرة:٤٢] أمر بترك الإغواء والإضلال.

واعلم أن إضلال الغير لا يحصل إلا بطريقين وذلك لأن الغيران كان قد سمع دلائل الحق فإضلاله لا يمكن إلا بتشويش تلك الدلائل عليه وإن كان ما سمعها فإضلاله إنما يمكن بإخفاء تلك الدلائل عنه ومنعه من الوصول إليها فقوله: ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ إشارة إلى القسم الأول وهو تشويش الدلائل عليه وقوله:

---

(١) التفسير الكبير ٣/ ٢٩.

﴿وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ﴾ إشارة إلى القسم الثاني وهو منعه من الوصول إلى الدلائل[١].

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الخ [البقرة:٤٣].

اعلم أن الله سبحانه وتعالى لما أمرهم بالإيمان أولًا ثم نهاهم عن لبس الحق بالباطل وكتمان دلائل النبوة ثانيًا ذكر بعد ذلك بيان ما لزمهم من الشرائع، وذكر من جملة الشرائع ما كان كالمقدم والأصل فيها وهو الصلاة التي هي أعظم العبادات البدنية والزكاة التي هي أعظم العبادات المالية[٢].

قوله تعالى: ﴿۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾ الخ [البقرة:٤٤].

تجريد للخطاب وتوجيه له إلى بعض بعد توجيهه إلى الكل.

هذا الربط لهذه الآية من أبي السعود[٣].

واعلم أنه سبحانه وتعالى لما أمر بالإيمان والشرائع بناء على ما خصهم به من النعم رغبهم في ذلك بناء على مأخذ آخر وهو أن التغافل عن أعمال البر مع حث الناس عليها مستقبح في العقول إذ المقصود من أمر الناس بذلك إما النصيحة أو الشفقة وليس من العقل أن يشفق الإنسان على غيره أو أن ينصح غيره ويهمل نفسه فحذرهم الله تعالى من ذلك بأن قرعهم بهذا الكلام[٤].

قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ الخ [البقرة:٤٥].

---

(١) التفسير الكبير٣/ ٤٣ .

(٢) التفسير الكبير٣/ ٤٣ و٤٤ .

(٣) أبو سعود٢/ ٩٧ .

(٤) التفسير الكبير٣/ ٤٦ .

لما أمرهم بالإيمان وبترك الإضلال وبالتزام الشرائع وهي الصلاة والزكاة وكان ذلك شاقًا عليهم لما فيه من ترك الرياسات والإعراض عن المال والجاه لا جرم عالج الله تعالى هذا المرض فقال: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة:٤٥] كأنه قيل واستعينوا على ترك ما تحبون من الدنيا والدخول فيما تستثقله طباعكم من قبول دين محمد ﷺ بالصبر أي بحبس النفس عن الملذات فإنكم إذا كلفتم أنفسكم ذلك مرنت عليه وخف عليها ثم إذا ضممتم الصلاة إلى ذلك تم الأمر لأن المشتغل بالصلاة لا بد وأن يكون مشتغلًا بذكر الله ﷻ وذكر جلاله وقهره وذكر رحمته وفضله فإذا تذكر رحمته صار مائلًا إلى طاعته وإذا تذكر عقابه ترك معصيته فيسهل عند ذلك اشتغاله بالطاعة وتركه للمعصية[1].

قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ﴾ الخ [البقرة:٤٧].

اعلم أنه سبحانه وتعالى إنما أعاد هذا الكلام مرة أخرى توكيدًا للحجة عليهم وتحذيرًا من ترك اتباع محمد ﷺ ثم قرنه بالوعيد وهو قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا﴾ [البقرة:٤٨] كأنه قال: إن لم تطيعوني لأجل سوالف نعمتي عليكم فأطيعوني للخوف من عقابي في المستقبل[2].

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم﴾ الخ [البقرة:٤٩].

اعلم أنه تعالى لما قدم ذكر نعمه على بني إسرائيل إجمالًا بين بعد ذلك أقسام تلك النعم على سبيل التفصيل ليكون أبلغ في التذكير وأعظم في الحجة فكأنه قال اذكروا نعمتي واذكروا إذ نجينكم واذكروا إذ فرقنا بكم البحر وهي إنعامات

---

(١) التفسير الكبير ٣/ ٤٩، ٤٩.

(٢) التفسير الكبير ٣/ ٥٢.

والمذكور في هذه الآية هو الإنعام الأول[١].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ الخ [البقرة:٥٠].

هذا هو النعمة الثانية[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا ﴾ الخ [البقرة:٥١].

هذا هو الإنعام الثالث[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا ﴾ الخ [البقرة:٥٣].

اعلم أن هذا هو الإنعام الرابع[٤].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ ﴾ الخ [البقرة:٥٤].

اعلم أن هذا هو الإنعام الخامس[٥].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ ﴾ الخ [البقرة:٥٥].

اعلم أن هذا هو الإنعام السادس[٦].

قوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا ﴾ الخ [البقرة:٥٧].

اعلم أن هذا هو الإنعام السابع[٧].

---

(١) التفسير الكبير ٣/ ٦٦، ٦٧.

(٢) التفسير الكبير ٣/ ٧٠.

(٣) التفسير الكبير ٣/ ٧٣.

(٤) التفسير الكبير ٣/ ٧٧.

(٥) التفسير الكبير ٣/ ٧٩.

(٦) التفسير الكبير ٣/ ٨٣.

(٧) التفسير الكبير ٣/ ٨٧.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ ﴾ الخ [البقرة:٥٨] .

اعلم أن هذا هو الإنعام الثامن(١) .

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ ﴾ الخ [البقرة:٦٠] .

اعلم أن هذا هو الإنعام التاسع(٢) .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ ﴾ الخ [البقرة:٦١] .

تذكير لجناية أخرى لأسلافهم وكفرانهم لنعمة الله لأ وإخلادهم إلى ما كانوا فيه من الدنائة والخساسة (ربط هذه الآية من أبي السعود)(٣) .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ الخ [البقرة:٦٢] .

واعلم أن عادة الله إذا ذكر وعدًا أو وعيدًا أعقبه بما يضاده ليكون الكلام تامًا فههنا لما ذكر حكم الكفرة من أهل الكتاب وما حل بهم من العقوبة أخبر بما للمؤمنين من الأجر العظيم والثواب دالًا على أنه سبحانه وتعالى يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته(٤) .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ ﴾ الخ [البقرة:٦٣] .

اعلم أن هذا هو الإنعام العاشر وذلك لأنه تعالى إنما أخذ ميثاقهم لمصلحتهم

---

(١) التفسير الكبير٣/ ٨٨ .

(٢) التفسير الكبير٣/ ٩٤ .

(٣) أبو سعود١/ ١٠٦ .

(٤) التفسير الكبير٣/ ١٠٤ .

فصار ذلك من إنعامه عليهم[(١)] .

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ﴾ الخ [البقرة:٦٥] .

اعلم أنه تعالى لما عدد وجوه إنعامه عليهم أولًا ختم ذلك بشرح بعض ما وجه إليهم من التشديدات وهذا هو النوع الأول[(٢)] .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ ﴾ الخ [البقرة:٦٧] .

اعلم أنه هذا هو النوع الثاني من التشديدات[(٣)] .

قوله تعالى: ﴿ ۞أَفَتَطْمَعُونَ ﴾ الخ [البقرة:٧٥] .

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما ذكر قبائح أفعال أسلاف اليهود إلى ههنا شرع من ههنا قبائح أفعال اليهود الذين كانوا في زمن محمد ﷺ[(٤)] .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ الخ [البقرة:٧٦] .

اعلم أن هذا هو النوع الثاني من قبائح أفعال اليهود الذين كانوا في زمن محمد ﷺ[(٥)] .

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ﴾ الخ [البقرة:٧٨] .

اعلم أن المراد بقوله ومنهم أميون اليهود لأنه تعالى لما وصفهم بالعناد وأزال

---

(١) التفسير الكبير ٣/ ١٠٦ .

(٢) التفسير الكبير ٣/ ١٠٩ .

(٣) التفسير الكبير ٣/ ١١٤ .

(٤) التفسير الكبير ٣/ ١٣٢ .

(٥) التفسير الكبير ٣/ ١٣٦ .

الطمع عن إيمانهم بين فرقهم فالفرقة الأولى هي الفرقة الضالة المضلة وهم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه والفرقة الثانية المنافقون والفرقة الثالثة الذين يجادلون المنافقين والفرقة الرابعة هم المذكورون في هذه الآية وهم العامة الأميون الذين لا معرفة عندهم بقراءة ولا كتابة وطريقتهم التقليد وقبول ما يقال لهم فبين تعالى إن الذين يمتنعون عن قبول الإيمان ليس سبب ذلك الامتناع واحدًا بل لكل قسم منهم سبب آخر(١).

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ ﴾ الخ [البقرة:٨٠].

اعلم أن هذا النوع الثالث من قبائح أقوالهم وأفعالهم وهو جزمهم بأن الله تعالى لا يعذبهم إلا أيامًا قليلة(٢).

قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ ﴾ الخ [البقرة:٨١].

جواب عن قولهم المحكي وإبطال له من جهته تعالى وبيان لحقيقة الحال في ضمن تشريع كلي شامل لهم ولسائر الكفرة بعد إظهار كذبهم إجمالًا (ربط هذه الآية من أبي السعود)(٣).

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [البقرة:٨٢].

اعلم أنه سبحانه وتعالى ما ذكر في القرآن آية في الوعيد إلا وذكر بجنبها آية في الوعد(٤).

---

(١) التفسير الكبير ٣/ ١٣٨.

(٢) التفسير الكبير ٣/ ١٤١.

(٣) أبو سعود ١/ ١٢١.

(٤) التفسير الكبير ٣/ ١٦٢.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ الخ [البقرة:٨٣] .

اعلم أن هذا نوع آخر من أنواع النعم التي خصهم الله تعالى بها وذلك لأن التكليف بهذه الأشياء موصل إلى أعظم النعم وهو الجنة والموصل إلى النعمة نعمة فهذا التكليف لا محالة من النعم(١) .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ ﴾ الخ [البقرة:٨٤] .

اعلم أن هذه الآية تدل على نوع آخر من نعم الله تعالى عليهم وهو أنه تعالى كلفهم هذا التكليف وأنهم أقروا بصحته ثم خالفوا العهد فيه(٢) .

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الخ [البقرة:٨٧] .

اعلم أن هذا نوع آخر من النعم التي أفاضها الله عليهم ثم أنهم قابلوه بالكفر والأفعال القبيحة(٣) .

قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ الخ [البقرة:٨٩] .

اعلم أن هذا نوع من قبائح أفعال اليهود(٤) .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ الخ [البقرة:٩١] .

اعلم أن هذا النوع أيضًا من قبائح أفعالهم(٥) .

---

(١) التفسير الكبير٣/ ١٦٤ .

(٢) التفسير الكبير٣/ ١٧٠ .

(٣) التفسير الكبير٣/ ١٧٥ .

(٤) التفسير الكبير٣/ ١٨٠ .

(٥) التفسير الكبير٣/ ١٨٠ .

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ ﴾ الخ [البقرة:٩٢].

من تمام التبكيت والتوبيخ داخل تحت الأمر لا تكرير لما قص في تضاعيف تعداد النعم التي من جملتها العفو عن عبادة العجل[١].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ ﴾ الخ [البقرة:٩٣].

توبيخ من جهة الله تعالى وتكذيب لهم في ادعائهم الإيمان بما أنزل عليهم بتذكير جناياتهم الناطقة بكذبهم[٢].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ ﴾ الخ [البقرة:٩٤].

اعلم أن هذا نوع آخر من قبائحهم وادعائهم أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ ﴾ الخ [البقرة:٩٦].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما أخبر عنهم في الآية المتقدمة أنهم لا يتمنون الموت أخبر في هذه الآية أنهم في غاية الحرص على الحياة[٤].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾ الخ [البقرة:٩٧].

اعلم أن هذا النوع أيضًا من أنواع قبائح اليهود ومنكرات أقوالهم وأفعالهم[٥].

---

(١) أبو سعود١/ ١٣٠ .

(٢) أبو سعود١/ ١٣١ .

(٣) التفسير الكبير٤/ ١٨٨ .

(٤) التفسير الكبير٣/ ١٩٢ .

(٥) التفسير الكبير٣/ ١٩٤ .

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾ الخ [البقرة:٩٩].

اعلم أن هذا نوع آخر من قبائحهم وفضائحهم(١).

قوله تعالى: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ ﴾ الخ [البقرة:١٠٠].

اعلم أنه هذا نوع آخر من قبائحهم(٢).

قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ﴾ الخ [البقرة:١٠٢].

اعلم أن هذا نوع آخر من قبائح أفعالهم وهو اشتغالهم بالسحر وإقبالهم عليه ودعائهم الناس إليه(٣).

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ﴾ الخ [البقرة:١٠٣].

إنه تعالى لما بين فيهم الوعيد بقوله: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ ﴾ [البقرة:١٠٢] اتبعه بالوعد جامعًا بين الترهيب والترغيب لأن الجمع بينهما ادعى إلى الطاعة والعدول عن المعصية(٤).

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ ﴾ الخ [البقرة:١٠٤].

اعلم أن الله تعالى لمّا شرح قبائح أفعالهم قبل مبعث محمد عليه الصلاة والسلام أراد من ههنا أن يشرح قبائح أفعالهم عند مبعث محمد ﷺ وجدهم واجتهادهم في

---

(١) التفسير الكبير٣/ ١٩٩.

(٢) التفسير الكبير٣/ ٢٠٠.

(٣) التفسير الكبير٣/ ٢٠٣.

(٤) التفسير الكبير٣/ ٢٢٢.

القدح فيه والطعن في دينه وهذا هو النوع الأول من هذا الباب[١].

قوله تعالى: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الخ [البقرة:١٠٥].

واعلم أنه تعالى لما بين حال اليهود والكفار في العداوة والمعاندة حذر المؤمنين منهم فقال: ما يود الذين كفروا فنفي عن قلوبهم الود والمحبة لكل ما يظهر به فضل المؤمنين[٢].

قوله تعالى: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ الخ [البقرة:١٠٦].

اعلم أن هذا هو النوع الثاني من طعن اليهود في الإسلام فقالوا ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولًا وغدًا يرجع عنه فنزلت هذه الآية[٣].

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ﴾ الخ [البقرة:١٠٧].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما حكم بجواز النسخ عقبه ببيان أن ملك السموات والأرض له لا لغيره وهذا هو التنبيه على أنه سبحانه وتعالى إنما حسن منه الأمر والنهي لكونه مالكًا للخلق[٤].

قوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ ﴾ الخ [البقرة:١٠٨].

لما حكم بجواز النسخ في الشرائع فلعلهم كانوا يطالبونهم بتفاصيل ذلك الحكم فمنعهم الله تعالى عنها وبين أنهم ليس لهم أن يشتغلوا بهذه الأسئلة كما أنه ما

---

(١) التفسير الكبير ٣/ ٢٢٣.

(٢) التفسير الكبير ٣/ ٢٢٥.

(٣) التفسير الكبير ٣/ ٢٢٦.

(٤) التفسير الكبير ٣/ ٢٣٤.

كان لقوم موسى أن يذكروا أسئلتهم الفاسدة(١).

قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ الخ [البقرة:١٠٩].

اعلم أن هذا هو النوع الثالث من كيد اليهود مع المسلمين(٢).

قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ الخ [البقرة:١١٠].

اعلم أنه الله تعالى أمر بالعفو والصفح عن اليهود ثم عقبه بقوله تعالى: أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة تنبيهًا على أنه كما ألزمهم لحظ الغير وصلاحه العفو والصفح فكذلك ألزمهم لحظ أنفسهم وصلاحها القيام بالصلاة والزكاة الواجبتين ونبه بهما على ما عداهما من الواجبات(٣).

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ﴾ الخ [البقرة:١١١].

اعلم أن هذا هو النوع الرابع من تخليط اليهود وإلقاء الشبه في قلوب المسلمين(٤).

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ ﴾ الخ [البقرة:١١٣].

بيان لتضليل كل فريق صاحبه بخصوصه إثر بيان تضليله كل من عداه على وجه العموم (ربط هذه الآية من أبي السعود)(٥).

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ ﴾ الخ [البقرة:١١٤].

---

(١) التفسير الكبير٣/ ٢٣٦.

(٢) التفسير الكبير٣/ ٢٣٦.

(٣) التفسير الكبير٣/ ٢.

(٤) التفسير الكبير٤/ ٢.

(٥) أبو سعود١/ ١٤٨.

في كيفية اتصال هذه الآية بما قبلها وجوه فأما من حملها على النصارى وخراب بيت المقدس قال: تتصل بما قبلها من حيث أن النصارى ادعوا أنهم من أهل الجنة فقط فقيل لهم: كيف تكونون كذلك مع أن معاملتكم في تخريب المساجد والسعي في خرابها هكذا وأما من حمله على المسجد الحرام وسائر المساجد قال جري ذكر مشركي العرب في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ﴾ [البقرة:١١٣] وقيل جري ذكر جميع الكفار وذمهم فمرة وجه الذم إلى اليهود والنصارى ومرة إلى المشركين(١).

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ﴾ الخ [البقرة:١١٥].

فإن منعتم من إقامة العبادة في المسجد الأقصى أو المسجد الحرام فأينما تولوا أي ففي أي مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة فثم وجه الله أي هناك جهته التي أمر بها (ربط هذه الآية من أبي السعود)(٢).

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ﴾ الخ [البقرة:١١٦].

اعلم أن هذا هو النوع العاشر من مقابح أفعال اليهود والنصارى والمشركين(٣).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ الخ [البقرة:١١٨].

اعلم أن هذا هو النوع الحادي عشر من قبائح اليهود والنصارى والمشركين(٤).

---

(١) التفسير الكبير ٤/ ١٠.

(٢) أبو سعود ١/ ١٥٠.

(٣) التفسير الكبير ٤/ ٢٣.

(٤) التفسير الكبير ٤/ ٢٨.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ الخ [البقرة:١١٩].

اعلم أن القوم لما أصروا على العناد واللحاج الباطل واقترحوا المعجزات على سبيل التعنت بين الله تعالى لرسوله ﷺ أنه لا مزيد على ما فعله في مصالح دينهم من إظهار الأدلة وكما بين ذلك بين أنه لا مزيد على ما فعله الرسول في باب الإبلاغ والتنبيه لكيلا يكثر غمه بسبب إصرارهم على كفرهم[١].

قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ﴾ الخ [البقرة:١٢٠].

بيان لكمال شدة شكيمة هاتين الطائفتين خاصة إثر بيان ما يعمهما والمشركين من الإصرار على ما هم عليه إلى الموت وفيه من المبالغة في إقناطه ﷺ من إسلامهم ما لا غاية وراءه (ربط هذه الآية من أبي السعود)[٢].

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ الخ [البقرة:١٢١].

لما ذم طريقتهم وحكى عنهم سوء أفعالهم اتبع ذلك بمدح من ترك طريقتهم بل تأمل التوراة وترك تحريفها وعرف منها صحة نبوة محمد ﷺ[٣].

قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ ﴾ الخ [البقرة:١٢٢].

وتخصيصهم بتكرير التذكير وإعادة التحذير للمبالغة في النصح والإيذان بأن ذلك فذلكة القضية والمقصود من القصة لما أن نعم الله لأ عليهم أعظم وكفرهم بها أشد وأقبح (ربطها من أبي السعود)[٤].

---

(١) التفسير الكبير٤/ ٣٠.

(٢) أبو سعود١/ ١٥٢.

(٣) التفسير الكبير٤/ ٣٢.

(٤) أبوسعود١/ ١٥٤.

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ الخ [البقرة:١٢٤] .

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما استقصي في شرح وجوه نعمه على بني إسرائيل ثم في شرح قبائحهم في أديانهم وأعمالهم وختم هذا الفصل بما بدء به وهو قوله: يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي إلى قوله: ولا هم ينصرون شرع سبحانه ههنا في نوع آخر من البيان وهو أن ذكر قصة إبراهيم وكيفية أحواله.

والحكمة فيه أن إبراهيم عليه السلام شخص يعترف بفضله جميع الطوائف والملل فالمشركون كانوا معترفين بفضله متشرفين بأنهم من أولاده ومن ساكني حرمه وخادمي بيته وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا أيضًا مقرين بفضله متشرفين بأنهم من أولاده فحكي الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام امورًا توجب على المشركين وعلى اليهود والنصارى قبول قول محمد ﷺ والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه[1] .

وفي أبي السعود: شروع في تحقيق أن هدي الله هو ما عليه النبي ﷺ من التوحيد والإسلام الذي هو ملة إبراهيم عليه السلام وإن ما عليه أهل الكتابين أهواء زائغة وأن ما يدعونه من أنهم على ملته عليه السلام فرية بلا مرية ببيان ما صدر عن إبراهيم وأبنائه الأنبياء عليهم السلام من الأقاويل والأفاعيل الناطقة بحقيقة التوحيد والإسلام وبطلان الشرك وبصحة نبوة النبي ﷺ وبكونه ذلك النبي الذي استدعاه إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام بقولهما: ربنا وابعث فيهم رسولًا منهم الآية[2] .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً ﴾ الخ [البقرة:١٢٥] .

---

(١) التفسير الكبير ٤/ ٣٣ .

(٢) أبو سعود ١/ ١٥٤ .

اعلم أنه تعالى بين كيفية حال إبراهيم ﷺ حين كلفه بالإمامة وهذا شرح التكليف الثاني وهو التكليف بتطهير البيت[١].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ ﴾ الخ [البقرة:١٢٦].

اعلم أن هذا هو النوع الثالث من أحوال إبراهيم ﷺ التي حكاها الله تعالى ههنا[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ﴾ الخ [البقرة:١٢٧].

اعلم أن هذا هو النوع الرابع من الأمور التي حكاها الله تعالى عن إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام، وهو أنهما عند بناء البيت ذكرا ثلاثة من الدعاء[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ ﴾ الخ [البقرة:١٣٠].

إنكار واستبعاد لأن يكون في العقلاء من يرغب عن ملته التي هي الحق الصريح والدين الصحيح (ربطها من أبي السعود)[٤].

قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ ﴾ الخ [البقرة:١٣١].

اعلم أن هذا هو النوع الخامس من الأمور التي حكاها الله تعالى عن إبراهيم ﷺ[٥].

---

(١) التفسير الكبير ٤/ ٤٥.

(٢) التفسير الكبير ٤/ ٥٣.

(٣) التفسير الكبير ٤/ ٥٧.

(٤) أبو سعود ١/ ١٦٢.

(٥) التفسير الكبير ٤/ ٧١.

قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ ﴾ الخ [البقرة:١٣٢] .

اعلم أن هو النوع السادس من الأمور المستحسنة التي حكاها الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام[(١)].

قوله تعالى: ﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ ﴾ الخ [البقرة:١٣٣] .

اعلم أنه تعالى لما حكي عن إبراهيم عليه السلام أنه بالغ في وصية بنيه في الدين والإسلام ذكر عقيبه أن يعقوب وصى بنيه بمثل ذلك تأكيدًا للحجة على اليهود والنصارى ومبالغة في البيان[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا ﴾ الخ [البقرة:١٣٥] .

اعلم أنه تعالى لما بين بالدلائل التي تقدمت صحة دين الإسلام حكى بعدها أنواعًا من شبه المخالفين الطاعنين في الإسلام، الشبهة الأولى حكى عنهم أنهم قالوا: ﴿ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ ﴾[(٣)].

وفي أبي السعود: شروع في بيان فن آخر من فنون كفرهم وهو إضلالهم لغيرهم إثر بيان ضلالهم في أنفسهم[(٤)].

قوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ الخ [البقرة:١٣٦] .

لما أجاب بالجواب الجدلي أولًا ذكر بعده جوابًا برهانيًا في هذه الآية وهو أن الطريق إلى معرفة نبوة الأنبياء عليهم السلام ظهور المعجز عليهم ولما ظهر المعجز

---

(١) التفسير الكبير ٤/ ٧٢ .

(٢) التفسير الكبير ٤/ ٧٤ .

(٣) التفسير الكبير ٤/ ٨٠ .

(٤) أبو سعود ٢/ ١٦٥ .

على يد محمد ﷺ وجب الاعتراف بنبوته والإيمان برسالته(١).

وفي أبي السعود: خطاب للمؤمنين بعد خطابه عليه السلام برد مقالتهم الشنعاء على الإجمال وإرشادهم إلى طريق التوحيد والإيمان على ضرب من التفصيل أي قولوا لهم بمقابلة ما قالوا تحقيقًا وإرشادًا ضمنيًا لهم إليه(٢).

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾ الخ [البقرة:١٣٧].

اعلم أنه تعالى لما بين الطريق الواضح في الدين وهو أن يعترف الإنسان بنبوة من قامت الدلالة على نبوته وأن يحترز في ذلك عن المنافقية رغبهم في مثل هذا الإيمان فقال: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾(٣).

قوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ الخ [البقرة:١٣٨].

اعلم أنه تعالى لما ذكر الجواب الثاني وهو أن ذكر ما يدل على صحة هذا الدين ذكر بعده ما يدل على أن دلائل هذا الدين واضحة جلية فقال: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾(٤).

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا ﴾ الخ [البقرة:١٣٩].

في أبي السعود: تجريد الخطاب للنبي ﷺ عقيب الكلام الداخل تحت الأمر الوارد بالخطاب العام لما أن المأمور به من الوظائف الخاصة به عليه الصلاة والسلام(٥).

---

(١) التفسير الكبير ٤/ ٨٢.

(٢) أبو سعود ١/ ١٦٦.

(٣) التفسير الكبير ٤/ ٨٣.

(٤) التفسير الكبير ٤/ ٨٦.

(٥) أبو سعود ١/ ١٦٨.

قوله تعالى: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الخ [البقرة:١٤٠].

في أبي السعود: إما معادلة للهمزة في قوله تعالى: ﴿ أَتُحَاجُّونَنَا ﴾ [البقرة:١٣٩] داخلة في حيز الأمر على معنى أي الأمرين تأتون إقامة الحجة وتنوير البرهان على حقية ما أنتم عليه والحال ما ذكر أم التشبث بذيل التقليد والافتراء على الأنبياء وتقولون: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الخ وإما منقطعة مقدرة والهمزة دالة على الإضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة إلى التوبيخ على الافتراء على الأنبياء عليهم السلام(١).

قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ الخ [البقرة:١٤١].

في أبي السعود: تكرير للمبالغة في الزجر عما هم عليه من الافتخار بالآباء والإتكال على أعمالهم، وقيل الخطاب السابق لهم وهذا لنا تحذيرًا عن اقتدائهم وقيل المراد بالأمة الأولى الأنبياء عليهم السلام وبالثانية أسلاف اليهود(٢).

قوله تعالى: ﴿ ۞ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ ﴾ الخ [البقرة:١٤٢].

اعلم أن هذا هو الشبهة الثانية من الشبه التي ذكرها اليهود والنصارى طعنًا في الإسلام(٣).

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ ﴾ الخ [البقرة:١٤٣].

في أبي السعود: توجيه للخطاب إلى المؤمنين بين الخطابين المختصين

---

(١) أبو سعود١/ ١٦٩.

(٢) أبو سعود١/ ١٧٠.

(٣) التفسير الكبير٤/ ٩٠.

بالرسول ﷺ لتائيد ما في مضمون الكلام من التشريف[(١)].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ﴾ الخ [البقرة:١٤٣].

في أبي السعود: جرد الخطاب للنبي ﷺ رمزًا إلى أن مضمون الكلام من الأسرار الحقيقة بأن يخص معرفته به عليه السلام[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ ﴾ الخ [البقرة:١٤٥].

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أن الذين أوتوا الكتاب يعلمون أن هذه القبلة حق، بين بعد ذلك أن صفتهم لا تتغير في الاستمرار على المعاندة[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الخ [البقرة:١٤٦].

إنه تعالى في الآية المتقدمة لما حذر أمة محمد ﷺ عن اتباع اليهود والنصارى بقوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ ﴾ [البقرة:١٤٥] أخبر المؤمنين بحاله عليه السلام في هذه الآية فقال: اعلموا يا معاشر المؤمنين أن علماء أهل الكتاب يعرفون محمدًا وما جاء به وصدقه ودعوته وقبلته لا يشكون فيه كما لا يشكون في أبنائهم[(٤)].

قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ ﴾ الخ [البقرة:١٤٨].

والمراد منه أن للشرائع مصالح فلا جرم اختلفت الشرائع بحسب اختلاف الأشخاص وكما اختلفت بحسب اختلاف الأشخاص لم يبعد أيضًا اختلافها

---

(١) أبو سعود١/ ١٧١ و١٧٢.

(٢) أبو سعود١/ ١٧٣.

(٣) التفسير الكبير ٤/ ١٢٤.

(٤) التفسير الكبير ٤/ ١٢٨، ١٢٩.

بحسب اختلاف الزمان بالنسبة إلى شخص واحد فلهذا صح القول بالنسخ والتغيير[(١)].

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ ﴾ الخ [البقرة:١٤٩].

في أبي السعود: تأكيد لحكم التحويل وتصريح بعدم تفاوت الأمر في حالتي السفر والحضر، والتكرير لما أن القبلة لها شأن يؤكد والنسخ من مظان الشبهة والفتنة فبالحري أن يؤكد أمرها مرة بعد أخرى مع أنه قد ذكر في كل مرة حكمة مستقلة[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ ﴾ الخ [البقرة:١٥١].

في أبي السعود: متصل بما قبله أي ولأتم نعمتي عليكم في أمر القبلة أو في الآخرة إتمامًا كائنًا كإتمامي لها بإرسال رسول كائن منكم فإن إرسال الرسول لا سيما المجانس لهم نعمة لا يكافئها نعمة قط؛ وقيل متصل بما بعده أي كما ذكرتم بالإرسال[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي ﴾ الخ [البقرة:١٥٢].

الفاء للدلالة على أن ترتب الأمر على ما قبله من موجباته[(٤)].

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ ﴾ الخ [البقرة:١٥٣].

اعلم أنه تعالى لما أوجب بقوله: فاذكروني جميع العبادات وبقوله: واشكروا لي

---

(١) التفسير الكبير ٤/ ١٣٢.

(٢) أبو سعود ١/ ١٧٧.

(٣) أبو سعود ١/ ١٧٨.

(٤) أبو سعود ١/ ١٧٩.

ما يتصل بالشكر أردفه ببيان ما يعين عليهما فقال: استعينوا بالصبر والصلاة(١).

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ ﴾ الخ [البقرة:١٥٤].

وجه تعلق الآية بما قبلها كأنه قيل: استعينوا بالصبر والصلاة في إقامة ديني فإن احتجتم في تلك الإقامة إلى مجاهدة عدوي بأموالكم وأبدانكم ففعلتم ذلك فتلفت نفوسكم فلا تحسبوا أنكم ضيعتم أنفسكم بل اعلموا أن قتلاكم أحياء عندي(٢).

قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم ﴾ الخ [البقرة:١٥٥].

متعلق بقوله واستعينوا بالصبر والصلاة أي استعينوا بالصبر والصلاة فإنا نبلوكم بالخوف وبكذا(٣).

قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم ﴾ الخ [البقرة:١٥٦].

اعلم أنه تعالى لما قال وبشر الصابرين بين في هذه الآية أن الإنسان كيف يكون صابرًا وأن تلك البشارة كيف هي(٤).

قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ ﴾ الخ [البقرة:١٥٨].

إن الله تعالى بين أنه إنما حول القبلة إلى الكعبة ليتم إنعامه على محمد ﷺ وأمته بإحياء شرائع إبراهيم ودينه على ما قال: ولأتم نعمتي عليكم وكان السعي بين الصفا والمروة من شعائر إبراهيم على ما ذكر في قصة بناء الكعبة وسعي هاجر بين

---

(١) التفسير الكبير ٤/ ١٤٤.

(٢) التفسير الكبير ٤/ ١٤٥.

(٣) التفسير الكبير ٤/ ١٤٩.

(٤) التفسير الكبير ٤/ ١٥٤.

الجبلين فلما كان الأمر كذلك ذكر الله تعالى هذا الحكم عقيب تلك الآية[١] .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ ﴾ الخ [البقرة:١٥٩] .

قال العبد المسكين: هذه مرتبطة بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ ﴾ [البقرة:١٤٦] الخ بين ثمه أن منهم كاتمين للحق وبين ههنا الوعيد لهم.

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾ الخ [البقرة:١٦٠] .

اعلم أنه تعالى لما بين عظيم الوعيد في الذين يكتمون ما أنزل الله كان يجوز أن يتوهم أن الوعيد يلحقهم على كل حال فبين تعالى أنهم إذا تابوا تغير حكمهم ودخلوا في أهل الوعد[٢] .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الخ [البقرة:١٦١] .

في أبي السعود: جملة مستأنفة سيقت لتحقيق بقاء اللعن فيما وراء الاستثناء وتاكيد دوامه واستمراره على غير التائبين حسب ما يفيده الكلام[٣] .

قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ ﴾ الخ [البقرة:١٦٣] .

في أبي السعود: قيل كان للمشركين حول الكعبة المكرمة ثلث مائة وستون صنمًا فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا إن كنت صادقًا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت: إن في خلق الخ[٤] .

---

(١) التفسير الكبير ٤/ ١٥٦ و١٥٧ .

(٢) التفسير الكبير ٤/ ١٦٥ .

(٣) أبو سعود ١/ ١٨٣ .

(٤) أبو سعود ١/ ١٨٣ و١٨٤ .

قال العبد المسكين: فهذا مرتبط بقصة الكعبة، كان المقصود ثمه رد زعم الذين فرّطوا في أمرها بنفي صلاحية القبلة عنها وههنا رد زعم الذين أفرطوا في أمرها بإشراك من حولها مع الله تعالى فأثبت التوحيد وأبطل الشرك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الخ [البقرة:١٦٤].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما حكم بالفردانية والوحدانية ذكر ثمانية أنواع من الدلائل التي يمكن أن يستدل بها على وجوده سبحانه أولًا وعلى توحيده وبرائته عن الأضداد والأنداد ثانيًا[١].

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ﴾ الخ [البقرة:١٦٥].

في أبي السعود: بيان لكمال ركاكة آراء المشركين إثر تقرير وحدانيته سبحانه وتعالى وتحرير الآيات الباهرة الملجئة للعقلاء إلى الاعتراف بها الفائضة باستحالة أن يشاركه شيء من الموجودات في صفة من صفات الكمال فضلًا عن المشاركة في صفة الألوهية[٢].

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ﴾ الخ [البقرة:١٦٦].

اعلم أنه تعالى لما بين حال من يتخذ من دونه أندادًا بقوله: ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب، على طريق التهديد زاد في هذا الوعيد بقوله: إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا فبين أن الذين أفنوا عمرهم في عبادتهم واعتقدوا أنهم من أوكد أسباب نجاتهم فإنهم يتبرؤن منهم عند احتياجهم إليه[٣].

---

(١) التفسير الكبير ٤/ ١٧٨.

(٢) أبو سعود ١/ ١٨٥.

(٣) التفسير الكبير ٤/ ٢١٠.

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ ﴾ الخ [البقرة:١٦٨] .

قال المسكين: هذا إبطال لبعض أعمال المشركين مما يوجب الشرك من تحريم الحلال والتقليد الباطل بعد إبطال عقائدهم.

قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الخ [البقرة:١٧١] .

اعلم أنه تعالى لما حكي عن الكفار أنهم عند الدعاء إلى اتباع ما أنزل الله تركوا النظر والتدبر وأخلدوا إلى التقليد وقالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ضرب لهم هذا المثل تنبيها للسامعين لهم أنهم إنما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب ترك الإصغاء وقلة الاهتمام بالدين فصيرهم من هذا الوجه بمنزلة الأنعام[(١)] .

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ ﴾ الخ [البقرة:١٧٢] .

إن الله سبحانه وتعالى تكلم من أول السورة إلى ههنا في دلائل التوحيد والنبوة واستقصي في الرد على اليهود والنصارى ومن هنا شرع في بيان الأحكام[(٢)] .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ﴾ الخ [البقرة:١٧٣] .

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما أمرنا في الآية السالفة بتناول الحلال فصل في هذه الآية أنواع الحرام[(٣)] .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ ﴾ الخ [البقرة:١٧٤] .

---

(١) التفسير الكبير ٥/ ٧ .

(٢) التفسير الكبير٥/ ٩ .

(٣) التفسير الكبير ٥/ ١٠ .

الحكم الثاني إن الذين الخ[١].

قال المسكين: كان المقصود سابقًا بيان المحرمات الحسية وفي هذه الآية بيان المحرم المعنوي من الرشوة ونحوها كالهدايا التي يأخذها علماء أهل الكتاب من أتباعهم على تبديل الكتاب وكتمان الحق.

قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ﴾ الخ [البقرة:١٧٥].

اعلم أنه تعالى لما وصف علماء اليهود بكتمان الحق وعظم في الوعيد عليه وصف ذلك الجرم ليعلم أن ذلك العقاب إنما عظم لهذا الجرم العظيم[٢].

قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ الخ [البقرة:١٧٦].

لما حكم على الذين يكتمون البينات بالوعيد بين أن ذلك الوعيد إنما كان لأن الله نزل الكتاب بالحق وأن هؤلاء اليهود والنصارى يخفونه فلا جرم استحقوا ذلك[٣].

قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ ﴾ الخ [البقرة:١٧٧].

الحكم الثالث[٤].

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ ﴾ الخ [البقرة:١٧٨].

الحكم الرابع[٥].

---

(١) التفسير الكبير ٥/ ٢٥.

(٢) التفسير الكبير ٥/ ٢٨.

(٣) التفسير الكبير ٥/ ٣٢.

(٤) التفسير الكبير ٥/ ٣٤.

(٥) التفسير الكبير ٥/ ٤٦.

قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ ﴾ الخ [البقرة:١٨٠] .

الحكم الخامس[١] .

قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُۥ ﴾ الخ [البقرة:١٨١] .

اعلم أنه تعالى لما ذكر أمر الوصية ووجوبها وعظم أمرها اتبعه بـما يجري مجرى الوعيد في تغييرها[٢] .

قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ خَافَ ﴾ الخ [البقرة:١٨٢] .

اعلم أنه تعالى لما توعد من يبدل الوصية بين أن المراد بذلك التبديل أن يبدله عن الحق إلى الباطل، أما إذا غيره عن باطل إلى حق على طريق الإصلاح فقد أحسن[٣] .

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ الخ [البقرة:١٨٣] .

الحكم السادس[٤] .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى ﴾ الخ [البقرة:١٨٦] .

في أبي السعود: لما أمرهم الله تعالى بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الكريمة الدالة على أنه تعالى خبير بأحوالهم سميع لأقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على أعمالهم تأكيدًا له وحثًا عليه ثم

---

(١) التفسير الكبير ٥/ ٥٨ .

(٢) التفسير الكبير ٥/ ٦٣ .

(٣) التفسير الكبير ٥/ ٦٥ .

(٤) التفسير الكبير ٥/ ٦٨ .

شرع في بيان أحكام الصيام[١].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾ الخ [البقرة:١٨٧].

الحكم السابع[٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم﴾ الخ [البقرة:١٨٨].

هذا الحكم الثامن[٣].

قوله تعالى: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ الخ [البقرة:١٨٩].

الحكم التاسع[٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ﴾ الخ [البقرة:١٨٩].

في أبي السعود: وجه اتصاله بما قبله أنهم سألوا عن الأمرين أو أنه لما ذكر أنها مواقيت للحج ذكر عقبيه ما هو من أفعالهم في الحج استطرادًا أو أنهم لما سألوا أعمالًا لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة فإنه عليه الصلاة والسلام مبعوث لبيان الشرائع لا لبيان حقائق الأشياء وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم الرسالة عقب بذكره جواب ما سألوا عنه تنبيهًا على أن اللائق بهم أن يسألوا عن أمثال ذلك ويهتموا بالعلم بها[٥].

الحكم العاشر ما يتعلق بالقتال[٦].

---

(١) أبو سعود١/ ٢٠١.

(٢) التفسير الكبير ٥/ ١١٣.

(٣) التفسير الكبير٥/ ١١٦.

(٤) التفسير الكبير ٥/ ١١٩.

(٥) أبو سعود ١/ ٢٠٣.

(٦) التفسير الكبير٥/ ١٢٧.

قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الخ، ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٠، ١٩٥]

في أبي السعود: أمر بالجهاد بالمال بعد الأمر به بالأنفس(١).

قوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ ﴾ الخ [البقرة:١٩٦].

قال المسكين: هذا هو الحكم الحادي عشر.

قوله تعالى: ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ﴾ الخ [البقرة:٢٠٠].

في أبي السعود: تفصيل للذاكرين إلى من لا يطلب بذكر الله تعالى إلا الدنيا وإلى من يطلب خير الدارين والمراد به الحث على الإكثار والانتظام في سلك الآخرين(٢).

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ ﴾ الخ [البقرة:٢٠٤].

اعلم أنه تعالى لما بين أن الذين يشهدون مشاعر الحج فريقان كافر وهو الذي يقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا ﴾ [البقرة:٢٠٠] ومسلم وهو الذي يقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ [البقرة:٢٠١] بقي المنافق فذكره في هذه الآية وشرح صفاته وأفعاله(٣).

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي ﴾ الخ [البقرة:٢٠٧].

اعلم أنه تعالى لما وصف في الآية المتقدمة حال من يبذل دينه لطلب الدنيا ذكر في هذه الآية حال من يبذل دنياه ونفسه وماله لطلب الدين فقال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ

---

(١) أبو سعود١/ ٢٠٥.

(٢) أبو سعود ١/ ٢٠٩.

(٣) التفسير الكبير٥/ ١٩٦.

مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ﴾ [البقرة:٢٠٨].

اعلم أنه تعالى لما حكى عن المنافق أنه يسعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل أمر المسلمين بما يضاد ذلك وهو المنافقة في الإسلام وفي شرائعه فقال: ياأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم[2].

قوله تعالى: ﴿ سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ الخ [البقرة:٢١١].

بيان هذا الكلام أنه تعالى قال: يا أيها الذين آمنوا فأمر بالإسلام ونهي عن الكفر ثم قال: فإن زللتم أي فإن أعرضتم عن هذا التكليف صرتم مستحقين للتهديد بقوله: فاعلموا ثم بين ذلك التهديد بقوله: هل ينظرون ثم ثلث ذلك التهديد بقوله: سل بني إسرائيل يعني سل هؤلاء الحاضرين إنا لما آتينا أسلافهم آيات بينات فأنكروها لا جرم استوجبوا العقاب من الله تعالى وذلك تنبيه لهؤلاء الحاضرين على أنهم لو زلوا عن آيات الله تعالى لوقعوا في العذاب كما وقع أولئك المتقدمون فيه[3].

قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الخ [البقرة:٢١٢].

اعلم أنه تعالى لما ذكر من قبل حال من يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته وهم الكفار الذين كذبوا بالدلالة والأنبياء وعدلوا عنها اتبعه الله تعالى بذكر السبب

---

(١) التفسير الكبير ٥/ ٢٠٤.

(٢) التفسير الكبير ٥/ ٢٠٦.

(٣) التفسير الكبير ٦/ ٢، ٣.

الذي لأجله كانت هذه طريقتهم فقال : ﴿ زُيِّنَ ﴾ الخ[(١)] .

قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ ﴾ الخ [البقرة:٢١٣] .

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية المتقدمة أن سبب إصرار هؤلاء الكفار على كفرهم هو حب الدنيا بين في هذه الآية أن هذا معنى غير مختص بهذا الزمان بل كان حاصلًا في الأزمنة المتقادمة لأن الناس كانوا أمة واحدة قائمة على الحق ثم اختلفوا وما كان اختلافهم إلا بسبب البغي والتحاسد والتنازع في طلب الدنيا[(٢)] .

قوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ ﴾ الخ [البقرة:٢١٤] .

في أبي السعود: خوطب به رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين حثًا لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل المشاق من جهتهم إثر بيان اختلاف الأمم على الأنبياء عليهم السلام، وقد بين فيه مآل اختلافهم وما لقي الأنبياء ومن معهم من قبلهم من مكابدة الشدائد ومقاساة الهموم وإن عاقبة أمرهم النصر[(٣)] .

قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ الخ [البقرة:٢١٥] .

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما بالغ في بيان أنه يجب على كل مكلف أن يكون معرضًا عن طلب العاجل وأن يكون مشتغلًا بطلب الآجل وأن يكون بحيث يبذل النفس والمال في ذلك شرع بعد ذلك في بيان الأحكام وهو من هذه الآية إلى قوله: الم تر إلى الذين خرجوا لأن من عادة القرآن أن يكون بيان التوحيد وبيان الوعظ والنصيحة وبيان الأحكام مختلطًا بعضها بالبعض ليكون كل واحد منها مقويًا

---

(١) التفسير الكبير٦/ ٤ .

(٢) التفسير الكبير٦/ ١١ .

(٣) أبو سعود١/ ٢١٥ .

للآخر ومؤكدًا له فالحكم الأول (فيما يتعلق بالنفقة) هو هذه الآية[(١)].

الحكم الثاني: قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾ الخ [البقرة:٢١٦][(٢)].

الحكم الثالث: قوله : ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ ﴾ الخ [البقرة:٢١٩][(٣)].

الحكم الرابع: قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ الخ [البقرة:٢١٩][(٤)].

الحكم الخامس: قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ﴾ الخ [البقرة:٢٢٠][(٥)].

الحكم السادس: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ ﴾ الخ [البقرة:٢٢١][(٦)].

الحكم السابع: قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ﴾ الخ [البقرة:٢٢٢][(٧)].

الحكم الثامن: قوله تعالى: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ الخ [البقرة:٢٢٣][(٨)].

الحكم التاسع: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً ﴾ الخ [البقرة:٢٢٤][(٩)].

الحكم العاشر: قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ ﴾ الخ [البقرة:٢٢٦][(١٠)].

---

(١) التفسير الكبير ٦/ ٢٢ .

(٢) والتفسير الكبير٦/ ٢٥ .

(٣) التفسير الكبير ٦/ ٤٠ .

(٤) التفسير الكبير٦/ ٤٨ .

(٥) التفسير الكبير٦/ ٥٠ .

(٦) التفسير الكبير٦/ ٥٤ .

(٧) التفسير الكبير٦/ ٦٢ .

(٨) التفسير الكبير٦/ ٧٠ .

(٩) التفسير الكبير ٦/ ٧٥ .

(١٠) التفسير الكبير ٦/ ٨٠ .

الحكـم الحـادي عـشر: قولـه تعـالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ الـخ [البقرة:٢٢٨][(١)] .

اعلـم أنـه تعـالى ذكـر في هـذا الموضـع أحكامًا كثيرة للطـلاق فـالحكم الأول للطلاق وجوب العدة[(٢)] .

قوله تعالى: ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ ﴾ الخ [البقرة:٢٢٨] .

اعلم أن هذا هو الحكم الثاني للطلاق وهو الرجعة[(٣)] .

قوله تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ﴾ الخ [البقرة:٢٢٩] .

اعلم أن هذا هو الحكم الثالث من أحكام الطلاق وهو الطلاق الذي تثبت فيه الرجعة[(٤)] .

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ ﴾ الخ [البقرة:٢٢٩] .

اعلم أن هذا هو الحكم الرابع من أحكام الطلاق وهو بيان الخلع[(٥)] .

قوله تعالى: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا ﴾ الخ [البقرة: ٢٣٠] .

اعلم أن هذا هو الحكم الخامس من أحكام الطلاق وهو بيان أن الطلقة الثالثة قاطعة لحق الرجعة[(٦)] .

---

(١) التفسير الكبير ٦/ ٩٢ .

(٢) التفسير الكبير ٦/ ٨٥ .

(٣) التفسير الكبير ٦/ ٩٣ .

(٤) التفسير الكبير ٦/ ٩٦ .

(٥) التفسير الكبير ٦/ ٩٩ .

(٦) التفسير الكبير٦/ ١٠٤ .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ [البقرة:٢٣٢] .

اعلم أن هذا هو الحكم السادس من أحكام الطلاق وهو حكم المرأة المطلقة بعد انقضاء العدة[١] .

الحكم الثاني عشر:

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ ﴾ الخ [البقرة:٢٣٣][٢] .

الحكم الثالث عشر عدة الوفاة:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ ﴾ الخ [البقرة:٢٣٤][٣] .

الحكم الرابع عشر خطبة النساء:

قوله تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ الخ [البقرة:٢٣٥][٤] .

الحكم الخامس عشر حكم المطلقة قبل الدخول:

قوله تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ﴾ الخ [البقرة:٢٣٦][٥] .

الحكم السادس عشر:

قوله تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾ الخ [البقرة:٢٣٨][٦] .

---

(١) التفسير الكبير ٦/ ١١١ .

(٢) التفسير الكبير ٦/ ١١٦ .

(٣) التفسير الكبير ٦/ ١٢٥ .

(٤) التفسير الكبير ٦/ ١٢٩ .

(٥) التفسير الكبير ٦/ ١٣٤ .

(٦) التفسير الكبير ٦/ ١٤٥ .

وفي أبي السعود: لعل الأمر بها في تضاعيف بيان أحكام الأزواج والأولاد قبل الإتمام للإيذان بأنها حقيقة بكمال الاعتناء بشأنها والمثابرة عليها من غير اشتغال عنها بشأنهم بل بشأن أنفسهم أيضًا كما يفصح عنه الأمر بها في حالة الخوف ولذلك أمر بها في خلال بيان ما يتعلق بهم من الأحكام الشرعية المتشابكة الآخذ بعضها بحجزة بعض[١].

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا ﴾ الخ [البقرة:٢٣٩].

اعلم أنه تعالى لما أوجب المحافظة على الصلوات والقيام على أدائها بأركانها وشروطها بين من بعد أن هذه المحافظة على هذا الحد لا تجب إلا مع الأمن دون الخوف فقال: فإن خفتم فرجالًا أو ركبانًا[٢].

الحكم السابع عشر:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ ﴾ الخ [البقرة:٢٤٠].

الحكم الثامن عشر:

قوله تعالى: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ الخ [البقرة:٢٤١].

قوله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ ﴾ الخ [البقرة:٢٤٣].

اعلم أن عادته تعالى في القرآن أن يذكر بعد بيان الأحكام القصص ليفيد الاعتبار للسامع ويحمله ذلك الاعتبار على ترك التمرد والعناد ومزيد الخضوع والانقياد فقال: ألم تر[٣].

---

(١) أبو سعود١/ ٢٣٥.

(٢) التفسير الكبير ٦/ ١٥٣.

(٣) التفسير الكبير ٦/ ١٦١.

قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ﴾ الخ [البقرة:٢٤٤].

في أبي السعود: عطف على مقدر يعينه ما قبله كأنه قيل فاشكروا فضله بالاعتبار بما قص عليكم وقاتلوا في سبيله لما علمتم أن الفرار لا ينجي من الحمام وأن المقدر لا مرد له فإن كان قد حان الأجل فموت في سبيل الله وإلا فنصر عزيز وثواب[1].

قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ﴾ الخ [البقرة:٢٤٥].

في أبي السعود: المراد ههنا إما الجهاد الذي هو عبارة عن بذل النفس والمال في سبيل الله لأ ابتغاء لمرضاته وإما مطلق العمل الصالح المنتظم له انتظامًا أوليًا[2].

القصة الثانية قصة طالوت:

قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ﴾ الخ [البقرة:٢٤٦].

قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ الخ [البقرة:٢٥٢].

في أبي السعود: إشارة إلى ما سلف من حديث الألوف وخبر طالوت على التفصيل المرقوم وإنك لمن المرسلين فهي شهادة منه سبحانه برسالته عليه الصلاة والسلام إثر بيان ما يستوجبها[3].

قوله تعالى: ﴿۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ﴾ الخ [البقرة:٢٥٣].

وفي أبي السعود: فيه رمز إلى أنه عليه الصلاة والسلام من أفاضل الرسل

---

(١) أبو سعود١/ ٢٣٨.

(٢) أبو سعود ١/ ٢٣٨.

(٣) أبو سعود ١/ ٢٤٥.

العظام عليهم الصلاة والسلام إثر بيان كونه من جملتهم[١] .

في الكبير: عزى الله رسوله عما رآى من قومه من التكذيب والحسد فقال هؤلاء الرسل الذين كلم الله تعالى بعضهم ورفع الباقين درجات وأيد عيسى بروح القدس قد نالهم من قومهم ما ذكرناه بعد مشاهدة المعجزات وأنت رسول مثلهم فلا تحزن على ما ترى من قومك فلو شاء الله لم تختلفوا أنتم وأولئك ولكن ما قضى الله فهو كائن[٢] .

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ﴾ الخ [البقرة:٢٥٤] .

اعلم أن أصعب الأشياء على الإنسان بذل النفس في القتال وبذل المال في الإنفاق فلما قدم الأمر بالقتال عقبه بالأمر بالإنفاق[٣] .

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ الخ [البقرة:٢٥٥] .

اعلم أن من عادته سبحانه وتعالى في هذا الكتاب الكريم أنه يخلط هذه الأنواع الثلاثة بعضها بالبعض أعني علم التوحيد وعلم الأحكام وعلم القصص والمقصود من ذكر القصص إما تقرير دلائل التوحيد وإما المبالغة في إلزام الأحكام والتكاليف، وهذا الطريق هو الطريق الأحسن لا إبقاء الإنسان في النوع الواحد لأنه يوجب الملال فأما إذا انتقل من نوع من العلوم إلى نوع آخر فكأنه يشرح به الصدر ويفرح به القلب فكأنه سافر من بلد إلى بلد آخر وانتقل من بستان إلى بستان آخر وانتقل من تناول طعام لذيذ إلى تناول نوع آخر ولا شك أنه يكون ألذّ واشهى ولما ذكر فيما تقدم من علم الأحكام ومن علم القصص ما رآه مصلحة ذكر الآن ما

---

(١) أبو سعود ١/ ٢٤٥، ٢٤٦ .

(٢) التفسير الكبير ٦/ ١٩٥ .

(٣) التفسير الكبير ٦/ ٢٠٥ .

يتعلق بالتوحيد فقال: الله لا إله إلا هو الخ[١].

قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ الخ [البقرة:٢٥٦].

في أبي السعود: جملة مستأنفة جيئ بها إثر بيان تفرده سبحانه وتعالى بالشؤون الجليلة الموجبة للإيمان به وحده إيذانًا بأن من حق العاقل أن لا يحتاج إلى التكليف والإلزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم وقيل هو خبر في معنى النهي أي لا تكرهوا في الدين فقيل منسوخ بقوله تعالى: جاهد الكفار وقيل خاص باهل الكتاب حيث حصنوا أنفسهم بأداء الجزية[٢].

قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ ﴾ الخ [البقرة:٢٥٨].

اعلم أنه تعالى ذكر ههنا قصصًا ثلاثة الأولى منها في بيان إثبات العلم بالصانع والثانية والثالثة في إثبات الحشر والنشر والبعث[٣].

وفي ابي السعود: استشهاد على ما ذكر من أن الكفرة أوليائهم الطاغوت وعلى ما ذكر من ولايته تعالى للمؤمنين[٤].

قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ ﴾ الخ [البقرة:٢٦١].

اعلم أنه سبحانه تعالى لما ذكر من بيان أصول العلم بالمبدأ وبالمعاد ومن دلائل صحتهما ما أراد اتبع ذلك ببيان الشرائع والأحكام والتكاليف فالحكم الأول في بيان التكاليف المعتبرة في إنفاق الأموال[٥].

---

(١) التفسير الكبير ٧/ ٢.

(٢) أبو سعود ١/ ٢٤٩.

(٣) التفسير الكبير ٧/ ٢١.

(٤) أبو سعود ١/ ٤٥١.

(٥) التفسير الكبير ٧/ ٤٣ و٤٤.

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ الخ [البقرة:٢٦٢] .

اعلم أنه تعالى لما عظم أمر الإنفاق في سبيل الله اتبعه ببيان الأمور التي يجب تحصيلها حتى يبقى ذلك الثواب، منها ترك المن والأذى[(١)] .

قوله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ ﴾ الخ [البقرة:٢٦٦] .

اعلم أن هذا مثل آخر ذكر الله تعالى في حق من يتبع إنفاقه بالمن والأذى[(٢)] .

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ ﴾ الخ [البقرة:٢٦٧] .

اعلم أنه رغب في الإنفاق ثم بين أن الإنفاق على قسمين منه ما يتبعه المن والأذى ومنه ما لا يتبعه ذلك ثم إنه تعالى شرح ما يتعلق بكل واحد من هذين القسمين وضرب لكل واحد منهم مثلًا يكشف عن المعنى ويوضع المقصود منه على أبلغ الوجوه ثم إنه تعالى ذكر في هذه الآية أن المال الذي أمر بإنفاقه في سبيل الله كيف ينبغي أن يكون فقال: ﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾[(٣)] .

قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ ﴾ الخ [البقرة:٢٦٨] .

اعلم أنه تعالى لما رغب الإنسان في إنفاق أجود ما يملكه حذره بعد ذلك من وسوسة الشيطان فقال: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ ﴾ أي يقول إن أنفقت الأجود صرت فقيرًا فلا تبال بقوله فإن الرحمن يعدكم مغفرة منه وفضلًا[(٤)] .

قوله تعالى: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ ﴾ الخ [البقرة:٢٦٨] .

---

(١) التفسير الكبير ٧/ ٤٥ .

(٢) التفسير الكبير ٧/ ٥٨ .

(٣) التفسير الكبير ٧/ ٦٠ .

(٤) التفسير الكبير ٧/ ٦٤ .

اعلم أنه تعالى لما ذكر في الآية المتقدمة أن الشيطان يعد بالفقر ويأمر بالفحشاء وأن الرحمن يعد بالمغفرة والفضل نبه على أن الأمر الذي لأجله وجب ترجيح وعد الرحمن على وعد الشيطان هو أن وعد الرحمن الحكمة والعقل ووعد الشيطان الشهوة والنفس من حيث إنهما يأمران بتحصيل اللذة الحاضرة واتباع أحكام الخيال والوهم، ولا شك أن حكم الحكمة والعقل هو الحكم الصادق المبرأ عن الزيغ والخلل، وحكم الحس والشهوة والنفس يوقع الإنسان في البلاء والمحنة فكان حكم الحكمة والعقل أولى بالقبول فهذا هو الإشارة إلى وجه النظم[(١)].

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم ﴾ الخ [البقرة:٢٧٠].

في أبي السعود: بيان لحكم كلي شامل لجميع أفراد النفقات وما في حكمها إثر بيان حكم ما كان منها في سبيل الله[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ الخ [البقرة:٢٧١].

ذكر في هذه الآية أن الإنفاق قد يكون ظاهرًا وقد يكون خفيًا وذكر حكم كل واحد من القسمين[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ ﴾ الخ [البقرة:٢٧٢].

هذا هو الحكم الرابع من أحكام الإنفاق وهو بيان أن الذي يجوز الإنفاق عليه من هو[(٤)].

قوله تعالى: ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ ﴾ الخ [البقرة:٢٧٣].

---

(١) التفسير الكبير ٧/ ٦٧.

(٢) أبو سعود ١/ ٢٦٣.

(٣) التفسير الكبير ٧/ ٧١.

(٤) التفسير الكبير ٧/ ٧٦.

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أنه يجوز صرف الصدقة إلى أي فقير كان، بين في هذه الآية أن الذي يكون أشد الناس استحقاقًا بصرف الصدقة إليه من هو[١].

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ ﴾ الخ [البقرة:٢٧٤] .

لما بين في الآية المتقدمة أن أكمل من تصرف إليه النفقة من هو؟ بين في هذه الآية أن أكمل وجوه الإنفاق كيف هو؟ فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضائها ولم يؤخروها ولم يعلقوها بوقت ولا حال.

الحكم الثاني من الأحكام الشرعية المذكورة في هذا الموضع من هذه السورة حكم الربا[٢].

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ الخ [البقرة:٢٧٥] .

اعلم أن بين الربا وبين الصدقة مناسبة من جهة التضاد وذلك لأن الصدقة عبارة عن تنقيص المال بسبب أمر الله تعالى بذلك والربا عبارة عن طلب الزيادة على المال مع نهي الله عنه فكانا متضادين فلا جرم عقب حكم الصدقات حكم الربا[٣].

قوله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ الخ [البقرة:٢٧٦] .

ذكر ههنا ما يجري مجرى الداعي إلى ترك الصدقات وفعل الربا وكشف عن فساده[٤].

---

(١) التفسير الكبير ٧/ ٧٩ .

(٢) التفسير الكبير ٧/ ٨٣ .

(٣) التفسير الكبير ٧/ ٨٤ و٨٥ .

(٤) التفسير الكبير ٧/ ٩٤ .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ الخ [البقرة:٢٧٧] .

اعلم أن عادة الله تعالى في القرآن مطردة بأنه مهما ذكر وعيدًا ذكر بعده وعدًا فلما بالغ ههنا في وعيد المرابي اتبعه بهذا الوعد(١) .

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ ﴾ الخ [البقرة:٢٧٨] .

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية المتقدمة أن من انتهي عن الربا فله ما سلف فقد كان يجوز أن يظن أنه لا فرق بين المقبوض منه وبين الباقي في ذمة القوم فقال تعالى: وذروا الخ.

الحكم الثالث من الأحكام الشرعية المذكورة في هذا الموضع من هذه السورة(٢) .

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ ﴾ الخ [البقرة:٢٨٢] .

لما ذكر قبل هذا الحكم نوعين من الحكم أحدهما الإنفاق في سبيل الله وهو يوجب تنقيص المال والثاني ترك الربا وهو أيضًا سبب لتنقيص المال اتبع ذلك بأن ندبه إلى كيفية حفظ المال الحلال وصونه عن الفساد والبوار فإن القدرة على الإنفاق في سبيل الله وعلى ترك الربا وعلى ملازمة التقوى لا يتم ولا يكمل إلا عند حصول المال(٣) .

والوجه الثاني لما منع الربا أذن في السلم مع أن جميع المنافع المطلوبة من الربا حاصلة في السلم(٤) .

---

(١) التفسير الكبير ٧/ ٩٦ .

(٢) التفسير الكبير ٧/ ٩٨ .

(٣) التفسير الكبير ٧/ ١٠٧ .

(٤) التفسير الكبير ٧/ ١٠٨ .

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾ الخ [البقرة:٢٨٣].

لما أمر في آخر الآية المتقدمة بالكتبة والإشهاد وإنه ربما تعذر ذلك في السفر ذكر نوعًا آخر من الاستيثاق وهو أخذ الرهن(١).

قوله تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ الخ [البقرة:٢٨٤].

إنه تعالى لما جمع في هذه السورة أشياء كثيرة من علم الأصول وهو دليل التوحيد والنبوة وأشياء كثيرة من علم الأصول ببيان الشرائع والتكاليف ختم الله تعالى هذه السورة بهذه الآية على سبيل التهديد.

وقال الشعبي وعكرمة ومجاهد: إنه تعالى لما نهي عن كتمان الشهادة وأوعد عليه بين أن له ملك السموات والأرض فيجازي على الكتمان والإظهار(٢).

قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ ﴾ الخ [البقرة:٢٨٥].

قال المسكين: وجه الارتباط ظاهر من شأن النزول.

وفي أبي السعود: لما ذكر في فاتحة السورة الكريمة أن ما أنزل إلى الرسول ﷺ من الكتاب العظيم الشأن هدى للمتقين بما فصل هناك من الصفات الفاضلة التي من جملتها الإيمان به وبما أنزل قبله من الكتب الإلهية وأنهم حائزون لأثرتي الهدى والفلاح من غير تعيين لهم بخصوصهم ولا تصريح بتعقن اتصافهم بها إذ ليس فيما يذكر في حيز الصلة حكم بالفعل وعقب ذلك ببيان حال من كفر به من المجاهرين والمنافقين ثم شرح في تضاعيفها من فنون الشرائع والأحكام والمواعظ والحكم وأخبار سوالف الأمم وغير ذلك مما يقتضي الحكمة شرحه عين في خاتمتها المتصفون

---

(١) التفسير الكبير ٧/ ١١٩.

(٢) التفسير الكبير ٧/ ١٢٣ و١٢٤.

بها وحكم باتصافهم بها على طريق الشهادة لهم من جهته لأ بكمال الإيمان وحسن الطاعة[١].

قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا ﴾ الخ [البقرة:٢٨٦].

في أبي السعود: جملة مستقلة جيئ بها إثر تلقيهم لتكاليفه تعالى بحسن الطاعة إظهارًا لماله تعالى عليهم في ضمن التكليف من محاسن آثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد السؤال كما سيجيء هذا[٢].

قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ ﴾ الخ [البقرة:٢٨٦].

في أبي السعود: شروع في حكاية بقية دعواتهم إثر بيان سر التكليف[٣].

***

(١) أبو سعود١/ ٢٧٣ .

(٢) أبو سعود ١/ ٢٧٦ .

(٣) أبو سعود ١/ ٢٧٧ .

سورة آل عمران

وجه تعلق أولها بآخر ما قبلها أن السورة المتقدمة ختمت على سوال النصر على الكافرين وفي مفتح هذه السورة بين نصرتهم على الكفار باللسان والسنان[١].

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الخ [آل عمران:٢].

اعلم أن مطلع هذه السورة له نظم لطيف عجيب وذلك لأن أولئك النصارى الذين نازعوا رسول الله ﷺ كأنه قيل لهم: إما أن تنازعوه في معرفة الإله أو في النبوة فإن كان النزاع في معرفة الإله وهو أنكم تثبتون له ولدًا وأن محمدًا لا يثبت له ولدًا فالحق معه بالدلائل العقلية القطعية فإنه قد ثبت بالبرهان أنه حي قيوم يستحيل عقلًا أن يكون له ولد. وإن كان النزاع في النبوة فهذا أيضًا باطل لأن بالطريق الذي عرفتم أن الله تعالى أنزل التوراة والإنجيل على موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فهو بعينه قائم في محمد ﷺ وما ذاك إلا بالمعجزة وهو حاصل ههنا فكيف يمكن منازعته في صحة النبوة فهذا هو وجه النظم وهو مضبوط حسن جدًا[٢].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ الخ [آل عمران:٥].

قال المسكين: تقرير للتوحيد وإبطال لألوهية عيسى عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ﴾ الخ [آل عمران:٧].

في أبي السعود: شروع في إبطال شبهتهم الناشئة عما نطق به القرآن في نعت عيسى عليه الصلاة والسلام بطريق الاستيناف إثر بيان اختصاص الربوبية ومناطها

---

(١) جاء هذا في الأصل بالهامش.

(٢) التفسير الكبير ٧/ ١٥٥، ١٥٦.

به سبحانه وتعالى تارة بعد أخرى وكون كل من عداه مقهورًا تحت ملكوته تابعًا لمشيته[(١)].

قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ الخ [آل عمران:٨].

اعلم أنه تعالى لما حكي عن الراسخين أنهم يقولون آمنا به حكى عنهم أنهم يقولون ربنا لا تزغ[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ﴾ الخ [آل عمران:٩].

اعلم أن هذا الدعاء من بقية كلام الراسخين في العلم[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ الخ [آل عمران:١٠].

اعلم أن الله سبحانه وتعالى لما حكى عن المؤمنين دعائهم وتضرعهم حكى كيفية حال الكافرين وشديد عقابهم[(٤)].

في أبي السعود: إثر ما بين الدين الحق والتوحيد وذكر أحوال الكتب الناطقة به وشرح شأن القرآن العظيم وكيفية إيمان العلماء الراسخين شرع في بيان حال من كفر به[(٥)].

قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ الخ [آل عمران:١٢].

قال المسكين: هذا بيان لعقاب الكفار في الدنيا والآخرة.

---

(١) أبو سعود ٢/ ٧.

(٢) التفسير الكبير ٧/ ١٧٩.

(٣) التفسير الكبير ٧/ ١٨٢.

(٤) التفسير الكبير ٧/ ١٨٤.

(٥) أبو سعود ٢/ ١٠.

قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ ﴾ الخ [آل عمران:١٣].

هذه الآية كالدلالة على صحة قوله: قل للذين كفروا ستغلبون[١].

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾ الخ [آل عمران:١٤].

في أبي السعود: كلام مستأنف سيق لبيان حقارة شأن الحظوظ الدنيوية بأصنافها وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم إلى ما عنده تعالى إثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها[٢].

قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ ﴾ الخ [آل عمران:١٥].

في أبي السعود: إثر ما بين شأن مزخرفات الدنيا وذكر ما عنده تعالى من حسن المآب إجمالًا أمر النبي ﷺ بتفصيل ذلك المجمل للناس مبالغة في الترغيب[٣].

قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ الخ [آل عمران:١٨].

اعلم أنه تعالى لما مدح المؤمنين وأثنى عليهم بقوله: الذين يقولون ربنا إننا آمنا أردفه بيان أن دلائل الإيمان ظاهرة جلية فقال: شهد الله[٤].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ الخ [آل عمران:١٩].

في أبي السعود: جملة مستأنفة مؤكدة للأولى أي لا دين مرضيًا لله تعالى سوى الإسلام الذي هو التوحيد والتدرع بالشريعة الشريفة[٥].

---

(١) التفسير الكبير ٧/ ١٨٩.

(٢) أبو سعود ٢/ ١٤.

(٣) أبو سعود ٢/ ١٥.

(٤) التفسير الكبير ٧/ ٢٠٣، ٢٠٤.

(٥) أبو سعود ٢/ ١٨.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ ﴾ الخ [آل عمران:١٩] .

الغرض من الآية بيان أن الله أوضح الدلائل وأزال الشبهات والقوم ما كفروا إلا لأجل التقصير[١] .

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ ﴾ الخ [آل عمران:٢٠] .

اعلم أنه تعالى لما ذكر من قبل أن أهل الكتاب اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم وأنهم أصروا على الكفر مع ذلك بين الله تعالى للرسول ﷺ ما يقوله في محاجتهم فقال: فإن حاجوك[٢] .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ ﴾ الخ [آل عمران:٢١] .

اعلم أنه تعالى لما ذكر من قبل حال من يعرض ويتولى بقوله: وإن تولوا أردفه بصفة هذا المتولي[٣] .

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا ﴾ الخ [آل عمران:٢٣] .

اعلم أنه تعالى لما نبه على عناد القوم بقوله: فإن حاجوك بين في هذه الآية غاية عنادهم وهو أنهم يدعون إلى الكتاب الذي يزعمون أنهم يؤمنون به وهو التوراة ثم أنهم يتمردون ويتولون وذلك يدل على غاية عنادهم[٤] .

قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ الخ [آل عمران:٢٦] .

أمر رسول الله ﷺ بدعاء وتمجيد يدل على مباينة طريقه وطريق اتباعه بطريقة

---

(١) التفسير الكبير ٧/ ٢٠٩ .

(٢) التفسير الكبير ٧/ ٢١٠ .

(٣) التفسير الكبير ٧/ ٢١٤ .

(٤) التفسير الكبير ٧/ ٢١٦ .

هؤلاء الكافرين المعاندين المعرضين فقال معلماً نبيه كيف يمجد ويعظم ويدعو ويطلب[١].

قال المسكين: لعل الأقرب أنه لمّا أوعد الكفار فيما قبل أنهم سيغلبون فاستبعدوه وتعجبوا منه فأشار الله تعالى إلى قرب وقوعه بأنه تعالى مالك الملك وكل شيء بمشيته وقدرته فلا غرو أن يغلب المغلوب ويغلب الغالب.

قوله تعالى: ﴿ لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ الخ [آل عمران:٢٨].

لما بين أنه تعالى مالك الدينا والآخرة بين أنه ينبغي أن تكون الرغبة فيما عنده وعند أوليائه دون أعدائه[٢].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ ﴾ الخ [آل عمران:٢٩].

في أبي السعود: من الضمائر التي من جملتها ولاية الكفر[٣].

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ الخ [آل عمران:٣٠].

اعلم أن هذه الآية من باب الترغيب والترهيب ومن تمام الكلام الذي تقدم[٤].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ ﴾ الخ [آل عمران:٣١].

اعلم أنه تعالى لما دعا القوم إلى الإيمان به والإيمان برسوله على سبيل التهديد والوعيد دعاهم إلى ذلك من طريق آخر وهو أن اليهود كانوا يقولون نحن أبناء الله

---

(١) التفسير الكبير ٨/ ٢.

(٢) التفسير الكبير ٨/ ١٠.

(٣) أبو سعود ٢/ ٢٣.

(٤) التفسير الكبير ٨/ ١٥.

وأحباؤه فنزلت هذه الآية[١].

قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ الخ [آل عمران:٣٣].

اعلم أنه تعالى لما بين أن محبته لا تتم إلا بمتابعة الرسل بين علو درجات الرسل وشرف مناصبهم فقال: إن الله اصطفى آدم[٢].

في أبي السعود: لما بين الله تعالى أن الدين المرضى عنده هو الإسلام والتوحيد وأن اختلاف أهل الكتابين فيه إنما هو للبغي والحسد وأن الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته منوط باتباع الرسول ﷺ وإطاعته شرع في تحقيق رسالته وكونه من أهل بيت النبوة القديمة فبدأ ببيان جلالة أقدار الرسل عليهم الصلاة والسلام واتبعه ذكر مبدأ أمر عيسى عليه الصلاة والسلام وأمه وكيفية دعوته للناس إلى التوحيد والإسلام تحقيقًا للحق وإبطالًا لما عليه أهل الكتاب في شأنهما من الإفراط والتفريط ثم بين بطلان محاجتهم في إبراهيم عليه الصلاة والسلام وادعائهم الانتماء إلى ملته ونزه ساحته العلية عما هم عليه من اليهودية والنصرانية ثم نص على أن جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام دعاة إلى عبادة الله لأ وحده وطاعته منزهون عن احتمال الدعوة إلى عبادة أنفسهم أو غيرهم من الملائكة وأن أممهم قاطبة مأمورون بالإيمان بمن جاءهم من رسول مصدق لما معهم تحقيقًا لوجوب الإيمان برسول الله ﷺ وكتابه المصدق لما بين يديه من التوراة والإنجيل وتحتم الطاعة له حسب ما سيأتي تفصيله[٣].

قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾ الخ [آل عمران:٣٥].

---

(١) التفسير الكبير ٨/ ١٧.

(٢) التفسير الكبير ٨/ ١٩.

(٣) أبو سعود ٢/ ٢٥، ٢٦.

في أبي السعود: لتقرير اصطفاء آل عمران وبيان كيفيته[(١)] .

قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ﴾ الخ [آل عمران:٣٨] .

وفي أبي السعود: كلام مستأنف وقصة مستقلة سيقت في تضاعيف حكاية مريم لما بينهما من قوة الارتباط وشدة الاشتباك مع ما في إيرادها من تقرير ما سيقت له حكايتها من بيان اصطفاء آل عمران فإن فضائل بعض الأقرباء دالة على فضائل الآخرين[(٢)] .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ ﴾ الخ [آل عمران:٤٢] .

في أبي السعود: شروع في شرح بقية أحكام اصطفاء آل عمران إثر الإشارة إلى نبذ من فضائل بعض أقاربهم[(٣)] .

قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ ﴾ الخ [آل عمران:٤٥] .

اعلم أنه تعالى لما بين شرح حال مريم عليها السلام في أول أمرها وفي آخر أمرها شرح كيفية ولادتها بعيسى عليه السلام[(٤)] .

قوله تعالى: ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ ﴾ الخ [آل عمران:٥٢] .

شرع في بيان أن عيسى لما شرح لهم تلك المعجزات وأظهر لهم تلك الدلائل فهم بماذا عاملوه فقال تعالى: ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ ﴾[(٥)] .

---

(١) أبو السعود٢/ ٢٧ .

(٢) أبو سعود ٢/ ٣٠، ٣١ .

(٣) أبو سعود ٢/ ٣٤ .

(٤) التفسير الكبير ٨/ ٤٧ .

(٥) التفسير الكبير ٨/ ٦٠ .

قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الخ [آل عمران:٥٦].

اعلم أنه تعالى لما ذكر إليّ مرجعكم بين بعد ذلك مفصلًا ما في ذلك الاختلاف[١].

قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ ﴾ الخ [آل عمران:٥٨].

قال المسكين: إشارة إلى إثبات نبوة محمد ﷺ في تضاعيف القصة كنظائرها فيما قبل لأن المحاجة كانت في التوحيد والرسالة.

قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ ﴾ الخ [آل عمران:٦١].

بعد هذه الدلائل الواضحة والجوابات اللائحة فاقطع الكلام معهم وعاملهم بما يعامل به المعاند وهو أن تدعوهم إلى الملاعنة[٢].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ ﴾ الخ [آل عمران:٦٤].

واعلم أن النبي ﷺ لما أورد على نصارى نجران أنواع الدلائل وانقطعوا ثم دعاهم إلى المباهلة فخافوا وما شرعوا فيها وقبلوا الصغار بأداء الجزية وقد كان عليه السلام جريصًا على إيمانهم فكأنه تعالى قال: يا محمد أترك ذلك المنهج من الكلام واعدل إلى منهج آخر يشهد كل عقل سليم وطبع مستقيم أنه كلام مبني على الإنصاف وترك الجدال[٣].

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ ﴾ الخ [آل عمران:٦٤].

قال المسكين: هو من بقية الكلام مع أهل الكتاب.

---

(١) التفسير الكبير ٨/ ٧١.

(٢) التفسير الكبير ٨/ ٧٨.

(٣) التفسير الكبير ٨/ ٨٥.

قوله تعالى: ﴿ وَدَّت طَّآيِفَةٌ ﴾ الخ [آل عمران:٦٩] .

اعلم أنه تعالى لما بين أن من طريقة أهل الكتاب العدول عن الحق والإعراض عن قبول الحجة بين أنهم لا يقتصرون على هذا القدر بل يجتهدون في إضلال من آمن بالرسول عليه الصلاة والسلام بإلقاء الشبهات(١) .

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ ﴾ الخ. ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ﴾ الخ [آل عمران: ٧٠، ٧١] .

اعلم أن علماء اليهود والنصارى كانت لهم حرفتان إحداهما أنهم كانوا يكفرون بمحمد ﷺ مع أنهم كانوا يعلمون بقلوبهم أنه رسول حق من عند الله تعالى والله تعالى نهاهم عن هذه الحرفة في الآية الأولى وثانيتهما أنهم كانوا يجتهدون في إلقاء الشبهات وفي إخفاء الدلائل والله تعالى نهاهم عن هذه الحرفة في هذه الآية الثانية فالمقام الأول مقام الغواية والضلال والمقام الثاني مقام الإغواء والإضلال(٢) .

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآيِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الخ [آل عمران:٧٢] .

اعلم أنه تعالى لما حكي عنهم أنهم يلبسون الحق بالباطل أردف ذلك بان حكي عنهم نوعًا واحدًا من أنواع تلبيساتهم وهو المذكور في هذه الآية(٣) .

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ الخ [آل عمران:٧٥] .

في أبي السعود: شروع في بيان خيانتهم في المال بعد بيان خيانتهم في الدين(٤) .

---

(١) التفسير الكبير ٨/ ٩٠ .

(٢) التفسير الكبير ٨/ ٩٢ .

(٣) التفسير الكبير ٨/ ٩٣ .

(٤) أبو سعود ٢/ ٥٠ .

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾ الخ [آل عمران:٧٧].

إنه تعالى ذكر في الآية السابقة خيانتهم في أموال الناس ثم ذكر في هذه الآية خيانتهم في عهد الله وخيانتهم في تعظيم أسمائه حين يحلفون بها كذبًا(١).

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا ﴾ الخ [آل عمران:٧٨].

قال المسكين: هذه بقية خيانات اليهود في الأحكام الإلهية.

قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾ الخ [آل عمران:٧٩].

في أبي السعود: بيان لافترائهم على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حيث قال نصارى نجران إن عيسى عليه السلام أمرنا أن نتخذه ربا حاشاه عليه السلام وإبطال له إثر بيان افترائهم على الله سبحانه وإبطاله(٢).

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ﴾ الخ [آل عمران:٨١].

اعلم أن المقصود من هذه الآيات تعديد وتقرير الأشياء المعروفة عند أهل الكتاب مما يدل على نبوة محمد ﷺ قطعًا لعذرهم وإظهارًا لعنادهم ومن جملتها ما ذكره الله تعالى في هذه الآية(٣).

قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ ﴾ الخ [آل عمران:٨٣].

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أن الإيمان بمحمد ﷺ شرعٌ شرعه الله تعالى وأوجبه على جميع من مضي من الأنبياء والأمم لزم أن كل من كره ذلك فإنه يكون

---

(١) التفسير الكبير ٨/ ١٠٤.

(٢) أبو سعود ٢/ ٥٢.

(٣) التفسير الكبير ٨/ ١١٤.

طالبًا دينًا غير دين الله[١].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ الخ [آل عمران:٨٤].

اعلم أنه تعالى لما ذكر في الآية المتقدمة أنه إنما أخذ الميثاق على الأنبياء في تصديق الرسول الذي يأتي مصدقًا لما معهم ذكر في هذه الآية أن من صفته ﷺ كونه مصدقًا لما معهم[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ ﴾ الخ [آل عمران:٨٥].

اعلم أنه تعالى لما قال في آخر الآية المتقدمة: ونحن له مسلمون اتبعه بأن بين في هذه الآية أن الدين ليس إلا الإسلام وأن كل دين سوى الإسلام فإنه غير مقبول عند الله تعالى[٣].

قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ ﴾ الخ [آل عمران:٨٦].

اعلم أنه تعالى لما عظم أمر الإسلام والإيمان بقوله ومن يبتغ أكد ذلك التعظيم بأن بين وعيد من ترك الإسلام فقال كيف يهدي الله قومًا الخ[٤].

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ ﴾ الخ و ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ الخ و ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ ﴾ الخ [آل عمران:٨٩-٩١].

اعلم أن الكافر على ثلاثة أقسام: (أحدها) الذي يتوب عن الكفر توبة صحيحة مقبولة وهو الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ

---

(١) التفسير الكبير ٨/ ١٢١.

(٢) التفسير الكبير ٨/ ١٢٣.

(٣) التفسير الكبير ٨/ ١٢٥.

(٤) التفسير الكبير ٨/ ١٢٦.

وَأَصْلَحُواْ ﴾ ، (وثانيها) الذي يتوب عن ذلك الكفر توبة فاسدة وهو الذي ذكره الله تعالى في الآية المتقدمة وقال إنه لن يقبل توبته (وثالثها) الذي يموت على الكفر من غير توبة البتة وهو المذكور في هذه الآية(١) .

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ ﴾ الخ [آل عمران:٩٢] .

اعلم أنه تعالى لما بين أن الإنفاق لا ينفع الكافر البتة علم المؤمنين كيفية الإنفاق الذي ينتفعون به في الآخرة(٢) .

قوله: ﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا ﴾ الخ [آل عمران:٩٣] .

اعلم أن الآيات المتقدمة إلى هذه الآية كانت في تقرير الدلائل الدالة على نبوة محمد ﷺ وفي توجيه الإلزامات الواردة على أهل الكتاب في هذا الباب وأما هذه الآية فهي في بيان الجواب عن شبهات القوم(٣) .

وفي أبي السعود: وهو رد على اليهود وتبكيت لهم في منع النسخ والطعن في دعوى الرسول ﷺ موافقته لإبراهيم عليه الصلاة والسلام بتحليله لحوم الإبل وألبانها(٤) .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ ﴾ الخ [آل عمران:٩٦] .

في أبي السعود: شروع في بيان كفرهم ببعض آخر من شعائر ملته عليه الصلاة والسلام إثر بيان كفرهم بكون كل المطعومات حِلًّا له عليه الصلاة والسلام(٥) .

---

(١) التفسير الكبير ٨/ ١٣١ .

(٢) التفسير الكبير ٨/ ١٣٣ .

(٣) التفسير الكبير ٨/ ١٣٦ .

(٤) أبو سعود ٢/ ٥٨ .

(٥) أبو سعود ٢/ ٥٩ و٦١ .

وفي الكبير: المراد منه الجواب عن شبهة أخرى وذلك لأنه ﷺ لما حول إلى الكعبة طعن اليهود في نبوته فأجاب الله تعالى بقوله: إن أول بيت الخ وأن اليهود والنصارى زعم كل فرقة منهم أنه على ملة إبراهيم عليه السلام وقد سبقت هذه المناظرة في الآيات المتقدمة فالله تعالى بين كذبهم من حيث أن حج الكعبة كان ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام واليهود والنصارى لا يحجون فيدل هذا على كذبهم في ذلك[1].

قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ الخ [آل عمران:٩٧].

اعلم أنه تعالى لما ذكر فضائل البيت ومناقبه أردفه بذكر إيجاب الحج[2].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ ﴾ الخ [آل عمران:٩٨].

لما أورد الدلائل على نبوة محمد ﷺ ثم ذكر عقيب ذلك شبهات القوم فالشبهة الأولى ما يتعلق بإنكار النسخ وأجاب عنها بقوله: كل الطعام، والشبهة الثانية ما يتعلق بالكعبة ووجوب استقبالها في الصلاة ووجوب حجها وأجاب عنها بقوله: إن أول بيت فعند هذا تمت وظيفة الاستدلال وكمل الجواب عن شبهات أرباب الضلال فعند ذلك خاطبهم بالكلام اللين وقال: لم تكفرون بآيات الله بعد ظهور البينات وزوال الشبهات[3].

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ﴾ الخ [آل عمران:١٠٠].

واعلم أنه تعالى لما حذر الفريق من أهل الكتاب عن الإغواء والإضلال حذر المؤمنين عن إغوائهم وإضلالهم ومنعهم عن الالتفات إلى قولهم[4].

---

(١) التفسير الكبير ٨/ ١٤١.

(٢) التفسير الكبير ٨/ ١٥٢.

(٣) التفسير الكبير ٨/ ١٥٦.

(٤) التفسير الكبير ٨/ ١٥٩.

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ الخ [آل عمران:١٠٢] .

اعلم أنه تعالى لما حذر المؤمنين من إضلال الكفار ومن تلبيساتهم في الآية الأولى أمر المؤمنين في هذه الآيات بمجامع الطاعات ومعاقد الخيرات(١) .

قوله تعالى: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ ﴾ الخ [آل عمران:١٠٤] .

اعلم أنه تعالى في الآيات المتقدمة عاب أهل الكتاب على شيئين أحدهما أنه عابهم على الكفر ثم بعد ذلك عابهم على سعيهم في إلقاء الغير في الكفر فلما انتقل منه إلى مخاطبة المؤمنين أمرهم أولًا بالتقوى والإيمان ثم أمرهم بالسعي في إلقاء الغير في الإيمان والطاعة فقال: ﴿ وَلۡتَكُن ﴾الخ(٢) .

قوله تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ ﴾ الخ [آل عمران:١١٠] .

في أبي السعود: كلام مستأنف سيق لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة إلى الخير(٣) .

قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ الخ [آل عمران:١١٠] .

المقصود من هذا الكلام ترغيب أهل الكتاب في هذا الدين(٤) .

قوله تعالى: ﴿ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ ﴾ الخ [آل عمران:١١٢] .

اعلم أنه تعالى لما بين أنهم إن قاتلوا رجعوا مخذولين غير منصورين ذكر أنهم مع

---

(١) التفسير الكبير ٨/ ١٦٠ .

(٢) التفسير الكبير ٨/ ١٦٦ .

(٣) أبو سعود ٢/ ٧٠ .

(٤) التفسير الكبير ٨/ ١٨١ .

ذلك قد ضربت عليهم الذلة[١].

قوله تعالى: ﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ﴾ الخ [آل عمران:١١٣].

في أبي السعود: جملة مستأنفة سيقت تمهيدًا لتعداد محاسن مؤمني أهل الكتاب وتذكيرًا لقوله تعالى: منهم المؤمنون[٢].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ ﴾ الخ [آل عمران:١١٦].

لما وصف من آمن من الكفار بما تقدم من الصفات الحسنة اتبعه تعالى بوعيد الكفار[٣].

قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ ﴾ الخ [آل عمران:١١٧].

اعلم أنه تعالى لما بين أن أموال الكفار لا تغني عنهم شيئًا ثم إنهم ربما أنفقوا أموالهم في وجوه الخيرات فيخطر ببال الإنسان أنهم ينتفعون بذلك فأزال الله تعالى بهذه الآية تلك الشبهة[٤].

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ﴾ الخ [آل عمران:١١٨].

اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال المؤمنين والكافرين شرع في تحذير المؤمنين عن مخالطة الكافرين في هذه الآية[٥].

قوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ ﴾ الخ [آل عمران:١١٩].

---

(١) التفسير الكبير ٨/ ١٨٣.

(٢) أبو سعود ٢/ ٧٢.

(٣) التفسير الكبير ٨/ ١٩٢.

(٤) التفسير الكبير ٨/ ١٩٣.

(٥) التفسير الكبير ٨/ ١٩٧.

اعلم أن هذا نوع آخر من تحذير المؤمنين عن مخالطة المنافقين[١].

قوله: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ﴾ الخ [آل عمران: ١٢٠].

في أبي السعود: بيان لتناهي عداوتهم[٢].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾ الخ [آل عمران:١٢١].

اعلم أنه تعالى لما قال: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠] اتبعه بما يدلهم على سنة الله فيهم في باب النصر والمعونة ودفع مضار العدو إذا هُم صبروا واتقوا وخلاف ذلك فيهم إذا لم يصبروا[٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ الخ [آل عمران:١٢٣].

في أبي السعود: جملة مستأنفة سيقت لإيجاب الصبر والتقوى بتذكير ما ترتب عليهما من النصر إثر تذكير ما ترتب على عدمهما من الضرر وقيل لإيجاب التوكل على الله تعالى بتذكير ما يوجبه[٤].

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ الخ [آل عمران:١٢٦].

مسوق من جنابه تعالى لبيان أن الأسباب الظاهرة بمعزل من التأثير وإن حقيقة النصر مختص به لأ ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا منه عند فقدان أسبابه[٥].

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾ الخ [آل عمران:١٢٨].

---

(١) التفسير الكبير ٨/ ٢٠٠.

(٢) أبو سعود ٢/ ٧٧.

(٣) التفسير الكبير ٨/ ٢٠٤.

(٤) أبو سعود ٢/ ٧٩.

(٥) أبو سعود ٢/ ٨١.

في أبي السعود: اعتراض لتحقيق ان لا تـأثير للمنصورين إثر بيان أن لا تـأثير للناصرين[١].

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ﴾ الخ [آل عمران:١٣٠].

في أبي السعود: كلام مبتدأ مشتمل على ما هو ملاك الأمر في كل باب لا سيما في باب الجهاد من التقوى والطاعة وما بعدهما من الأمور المذكورة على نهج الترغيب والترهيب، جيء به في تضاعيف القصة مسارعة إلى إرشاد المخاطبين إلى ما فيه، وإيذان بكمال وجوب المحافظة عليه فيما هم فيه من الجهاد فإن الأمور المذكورة فيه مع كونها مناطًا للفوز في الدارين على الإطلاق عمدة في أمر الجهاد، عليها يدور فلك النصر والغلبة كيف لا ولو حافظوا على الصبر والتقوى وطاعة الرسول ﷺ لما لقوا ما لقوا.

ولعل إيراد النهي عن الربا في أثنائها لما أن الترغيب في الإنفاق في السراء والضراء الذي عمدته الإنفاق في سبيل الجهاد متضمن للترغيب في تحصيل المال فكان مظنة مبادرة الناس إلى طرق الاكتساب ومن جملتها الربا فنهوا عن ذلك[٢].

قوله: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ الخ [آل عمران:١٣٧].

في أبي السعود: رجوع إلى تفصيل بقية القصة بعد تمهيده مبادي الرشد والصلاح وترتيب مقدمات الفوز والفلاح[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ ﴾ الخ [آل عمران:١٣٩].

---

(١) أبو سعود ٢/ ٨٢.

(٢) أبو سعود ٢/ ٨٤.

(٣) أبو سعود ٢/ ٨٧.

في أبي السعود: تشجيع للمؤمنين وتقوية لقلوبهم وتسلية عما أصابهم يوم أحد من القتل والقرح[١].

قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ﴾ الخ [آل عمران:١٤٠].

هذا من تمام قوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ [آل عمران:١٣٩][٢].

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ الخ [آل عمران:١٤٢].

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى الوجوه التي هي الموجبات والمؤثرات في مداولة الأيام ذكر في هذه الآية ما هو السبب الأصلي لذلك فقال: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة بدون تحمل المشاق[٣].

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ﴾ الخ [آل عمران:١٤٥].

في أبي السعود: كلام مستأنف سيق للتنبيه على خطأهم فيما فعلوا حذرًا من قتلهم وبناء على الإرجاف بقتله عليه الصلاة والسلام[٤].

قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ﴾ الخ [آل عمران:١٤٦].

في أبي السعود: كلام مبتدأ ناع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم في صدودهم عن سنن الربانيين المجاهدين في سبيل الله مع الرسل الخالية عليهم السلام[٥].

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ الخ [آل عمران:١٤٧].

---

(١) أبو سعود٢/ ٨٨.

(٢) التفسير الكبير ٩/ ١٤.

(٣) التفسير الكبير ٩/ ١٨.

(٤) أبو سعود٢/ ٩٤.

(٥) أبو سعود ٢/ ٩٥.

في أبي السعود: كلام مبين لمحاسنهم القولية معطوف على ما قبله من الجمل المبينة لمحاسنهم الفعلية[١].

قوله تعالى: ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا ﴾ الخ [آل عمران:١٤٨].

اعلم أنه تعالى لما شرح طريقة الربانيين في الصبر وطريقتهم في الدعاء ذكر أيضًا ما ضمن لهم في مقابلة ذلك في الدنيا والآخرة[٢].

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ﴾ الخ [آل عمران:١٤٩].

واعلم أن هذه الآية من تمام الكلام الأول وذلك لأن الكفار لما أرجفوا أن النبي ﷺ قد قتل ودعا المنافقون بعض ضعفة المسلمين إلى الكفر منع المسلمين بهذه الآية عن الالتفات إلى كلام أولئك المنافقين[٣].

قوله تعالى: ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ﴾ الخ [آل عمران:١٥١].

اعلم أن هذه الآية من تمام ما تقدم ذكره فإنه تعالى ذكر وجوهًا كثيرة في الترغيب في الجهاد وعدم المبالاة بالكفار ومن جملتها ما ذكر في هذه الآية أنه تعالى يلقي الخوف في قلوب الكفار ولا شك أن ذلك مما يوجب استيلاء المسلمين عليهم[٤].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ﴾ الخ [آل عمران:١٥٢].

لما وعدهم الله تعالى في هذه الآية المتقدمة إلقاء الرعب في قلوبهم أكد ذلك بأن

---

(١) أبو سعود ٢/ ٩٦.

(٢) التفسير الكبير ٩/ ٢٨.

(٣) التفسير الكبير ٩/ ٣٠.

(٤) التفسير الكبير ٩/ ٣١.

ذكرهم ما أنجزهم من الوعد بالنصر في واقعة أحد[(١)].

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم ﴾ الخ [آل عمران:١٥٤].

إنه تعالى بين أنه نصر المؤمنين أولًا فلما عصى بعضهم سلط الخوف عليهم ثم ذكر أنه أزال ذلك الخوف عن قلب من كان صادقًا في إيمانه مستقرًا على دينه بحيث غلب النعاس عليهم[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ ﴾ الخ [آل عمران:١٥٦].

اعلم أن المنافقين كانوا يعيرون المؤمنين في الجهاد مع الكفار بقولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ثم إنه لما ظهر عن بعض المؤمنين فتور وفشل في الجهاد حتى وقع يوم أحد ما وقع وعفا الله بفضله عنهم ذكر في هذه الآية ما يدل على النهي عن أن يقول أحد من المؤمنين مثل مقالتهم[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ الخ [آل عمران:١٥٩].

في أبي السعود: تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله ﷺ والفاء لترتيب مضمون الكلام على ما ينبئ عنه السياق من استحقاقهم اللائمة والتعنيف بموجب الجبلة البشرية أو من سعة ساحة مغفرته تعالى[(٤)].

قوله تعالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ الخ [آل عمران:١٦٠].

في أبي السعود: جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين الخطاب تشريفًا للمؤمنين

---

(١) التفسير الكبير ٩/ ٣٤.

(٢) التفسير الكبير ٨/ ٤٤.

(٣) التفسير الكبير ٩/ ٥٣.

(٤) أبو سعود ٢/ ١٠٥.

لإيجاب توكلهم عليه تعالى وحثهم على اللجأ إليه وتحذيرهم عما يفضي إلى خذلانه(١).

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ ﴾ الخ [آل عمران:١٦١] .

اعلم أنه تعالى لما بالغ في الحث على الجهاد اتبعه بذكر أحكام الجهاد ومن جملتها المنع من الغلول(٢).

قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ ﴾ الخ [آل عمران:١٦٢] .

اعلم أنه تعالى لما قال: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ﴾ اتبعه بتفصيل هذه الجملة وبين أن جزاء المطيعين ما هو وجزاء المسيئين ما هو(٣).

قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الخ [آل عمران:١٦٤] .

لما بين خطأهم في نسبته إلى الغلول والخيانة أكد ذلك بهذه الآية وذلك لأن هذا الرسول ولد في بلدهم ونشأ فيما بينهم ولم يظهر منه طول عمره إلا الصدق والأمانة والدعوة إلى الله والإعراض عن الدنيا فكيف يليق بمن هذا حاله الخيانة(٤).

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم ﴾ الخ [آل عمران:١٦٥] .

في أبي السعود: كلام مبتدأ مسوق لإبطال بعض ما صدر عنهم من الظنون الفاسدة والأقاويل الباطلة الناشئة منها إثر إبطال بعض آخر منها(٥).

---

(١) أبو سعود ٢/ ١٠٥ .

(٢) التفسير الكبير ٩/ ٦٩ .

(٣) التفسير الكبير ٩/ ٧٤ .

(٤) التفسير الكبير ٩/ ٧٧ .

(٥) أبو سعود ٢/ ١٠٨ .

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ ﴾ الخ [آل عمران:١٦٦] .

اعلم أن هذا متعلق بما تقدم من قوله: أولما أصابتكم فذكر في الآية الأولى أنها أصابتهم بذنبهم ومن عند أنفسهم وذكر في هذه الآية أنها أصابتهم بوجه آخر وهو أن يتميز المؤمن عن المنافق(١) .

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ ﴾ الخ [آل عمران:١٦٨] .

اعلم أن الذين حكى عنهم أنهم قالوا: لو نعلم قتالًا لاتبعناكم وصفهم الله تعالى بأنهم كما قعدوا واحتجوا لقعودهم فكذلك ثبطوا غيرهم واحتجوا لذلك(٢) .

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ ﴾ الخ [آل عمران:١٦٩] .

في أبي السعود: كلام مستأنف مسوق لبيان أن القتل الذي يحذرونه ويحذرون الناس منه ليس مما يحذر بل هو من أجل المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون إثر بيان أن الحذر لا يجدي ولا يغني(٣) .

قوله تعالى: ﴿ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٍ ﴾ الخ [آل عمران:١٧١] .

في أبي السعود: كرر لبيان أن الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما يقارنه من نعمة عظيمة لا يقادر قدرها وهي ثواب أعمالهم وقد جوز أن يكون الأول متعلقًا بحال إخوانهم وهذا بحال أنفسهم بيانًا لبعض ما أجمل في قوله تعالى: فرحين(٤) .

---

(١) التفسير الكبير ٩/ ٨٣ .

(٢) التفسير الكبير ٨/ ٨٧ .

(٣) أبو سعود ٢/ ١١١ .

(٤) أبو سعود٢/ ١١٣ .

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ ﴾ الخ [آل عمران:١٧٢] .

اعلم أن الله تعالى مدح المؤمنين على غزوتين تعرف إحداهما بغزوة حمراء الأسد والثانية بغزوة بدر الصغرى وكلاهما متصلة بغزوة أحد أما غزوة حمراء الأسد فهي المراد من هذه الآية[١] .

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ ﴾ الخ [آل عمران:١٧٣] .

نزلت في غزوة بدر الصغرى[٢] .

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ ﴾ الخ [آل عمران:١٧٦] .

في أبي السعود: تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله ﷺ لتشريفه بتخصيصه بالتسلية والإيذان بأصالته في تدبير أمور الدين والاهتمام بشؤونه[٣] .

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ الخ [آل عمران:١٧٨] .

قال المسكين: لعله جواب عن ما يتوهم أن الكفار الذين أوعدهم الله تعالى نراهم في خصب وسعة فكيف هذا فأجاب عنه في هذه الآية.

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ الخ [آل عمران:١٧٩] .

هذه الآية من بقية الكلام في قصة أحد[٤] .

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ ﴾ الخ [آل عمران:١٨٠] .

---

(١) التفسير الكبير ٩/ ٩٧ .

(٢) التفسير الكبير ٩/ ٩٩ .

(٣) أبو سعود ٢/ ١١٥ .

(٤) التفسير الكبير ٩/ ١١٠ .

اعلم أنه تعالى لما بالغ في التحريض على بذل النفس في الجهاد في الآيات المتقدمة شرع ههنا في التحريض على بذل المال في الجهاد وبين الوعيد الشديد لمن يبخل ببذل المال في سبيل الله(١).

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ الخ [آل عمران:١٨١].

لما أمر المكلفين ببذل النفس والمال في سبيل الله شرع بعد ذلك في حكاية شبهات القوم في الطعن في نبوته فالشبهة الأولى أنه تعالى لو طلب الإنفاق في تحصيل مطلوبه لكان فقيرًا ولما كان الفقر على الله تعالى محالًا كان ذلك يدل على كذب إسناد هذا الطلب إلى الله تعالى(٢).

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ الخ [آل عمران:١٨٣].

اعلم أن هذه هي الشبهة الثانية للكفار في الطعن في نبوته ﷺ(٣).

قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ الخ [آل عمران:١٨٥].

في أبي السعود: وعد ووعيد للمصدق والمكذب(٤).

قوله تعالى: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ الخ [آل عمران:١٨٦].

في أبي السعود: شروع في تسلية رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين عما سيلقونه من جهة الكفرة من المكاره إثر تسليتهم عما قد وقع منهم ليوطنوا أنفسهم

---

(١) التفسير الكبير ٩/ ١١٢.

(٢) التفسير الكبير ٩/ ١١٦. قال المؤلف في الهامش: غيرت العبارة للأدب فإن لفظ الرازي: ذلك يدل على أن محمدًا كاذب في إسناد هذا الطلب إلى الله تعالى.

(٣) التفسير الكبير ٩/ ١٢٠.

(٤) أبو سعود ٢/ ١٢٣.

على احتماله عند وقوعه[١].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ﴾ الخ [آل عمران:١٨٧].

في أبي السعود: كلام مستأنف سيق لبيان بعض أذياتهم وهو كتمانهم من شواهد نبوته عليه الصلاة والسلام وغيرها[٢].

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ الخ [آل عمران:١٨٨].

في أبي السعود: الجملة مسوقة لبيان ما تستتبعه أعمالهم المحكية من العقاب الأخروي إثر بيان قباحتها وقد أدمج فيها بيان بعض آخر من شنائعهم وهو إصرارهم على ما هم عليه من القبائح وفرحهم بذلك ومحبتهم لأن يوصفوا بما ليس فيهم من الأوصاف الجميلة[٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الخ [آل عمران:١٩٠].

اعلم أن المقصود من هذا الكتاب الكريم جذب القلوب والأرواح من الاشتغال بالخلق إلى الاستغراق في معرفة الحق فلما طال الكلام في تقرير الأحكام والجواب عن شبهات المبطلين عاد إلى إنارة القلوب بذكر ما يدل على التوحيد والإلهية والكبرياء والجلال[٤].

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ﴾ الخ [آل عمران:١٩١].

اعلم أنه تعالى لما ذكر دلائل الإلهية والقدرة والحكمة وهو ما يتصل بتقرير

---

(١) أبو سعود ٢/ ١٢٣.

(٢) أبو سعود ٢/ ١٢٤.

(٣) أبو سعود ٢/ ١٢٦.

(٤) التفسير الكبير ٩/ ١٣٣.

الربوبية ذكر بعدها ما يتصل بالعبودية[(١)] .

قوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ ﴾ الخ [آل عمران:١٩٥] .

بين في هذه الآية أنه استجاب دعائهم[(٢)] .

قوله تعالى: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ ﴾ الخ [آل عمران:١٩٦] .

اعلم أنه تعالى لما وعد المؤمنين بالثواب العظيم وكانوا في الدنيا في نهاية الفقر والشدة والكفار كانوا في النعم ذكر الله تعالى في هذه الآية ما يسليهم ويصبرهم على تلك الشدة[(٣)] .

قوله تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ ﴾ الخ [آل عمران:١٩٨] .

لما ذكر الوعيد اتبعه بالوعد[(٤)] .

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ الخ [آل عمران:١٩٩] .

اعلم أنه تعالى لما ذكر حال المؤمنين وكان قد ذكر حال الكفار من قبل بأن مصيرهم إلى النار بين في هذه الآية أن من آمن منهم كان داخلاً في صفة لكن الذين اتقوا[(٥)] .

في أبي السعود: جملة مستأنفة سيقت لبيان أن أهل الكتاب ليس كلهم كمن حكيت هناتهم من نبذ الميثاق وتحريف الكتاب وغير ذلك بل منهم من له مناقب

---

(١) التفسير الكبير ٩/ ١٣٥ .

(٢) التفسير الكبير ٩/ ١٤٩ .

(٣) التفسير الكبير ٩/ ١٥٢ .

(٤) التفسير الكبير ٩/ ١٥٣ .

(٥) التفسير الكبير ٩/ ١٥٤ .

جليلة[١].

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الخ [آل عمران: ٢٠٠].

في أبي السعود: إثر ما بين في تضاعيف السورة الكريمة فنون الحكم والأحكام فتمت بما يوجب المحافظة عليها[٢].

***

(١) أبو سعود ٢/ ١٣٦.

(٢) أبو سعود ٢/ ١٣٦.

سورة النساء

وجه تعلق أولها بآخر ما قبلها أن كليهما مشترك في الأمر بالتقوى[(١)].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟﴾ الخ [النساء:١].

اعلم أن هذه السورة مشتملة على أنواع كثيرة من التكاليف وذلك لأنه تعالى أمر الناس في أول هذه السورة بالتعطف على الأولاد والنساء والأيتام والرأفة بهم وإيصال حقوقهم إليهم وحفظ أموالهم عليهم وبهذا المعنى ختمت السورة وهو قوله تعالى: يستفتونك الآية وذكر في أثناء هذه السورة أنواعًا آخر من التكاليف وهي الأمر بالطهارة والصلاة وقتال المشركين ولما كانت هذه التكاليف شاقة على النفس لثقلها على الطباع لا جرم افتتح السورة بالعلة التي لأجلها يجب حمل هذه التكاليف الشاقة وهي تقوى الرب الذي خلقنا والإله الذي أوجدنا فلهذا قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟﴾ الخ[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ﴾ الخ [النساء:٢].

اعلم أنه تعالى لما افتتح السورة بذكر ما يدل على أنه يجب على العبد أن يكون منقادًا لتكاليف الله تعالى محترزًا عن مساخطه شرع بعد ذلك في شرح اقسام التكاليف فالنوع الأول ما يتعلق بأموال اليتامى وهو هذه الآية[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟﴾ الخ [النساء:٣].

---

(١) وقع هذا في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) التفسير الكبير ٩/ ١٥٧.

(٣) التفسير الكبير ٩/ ١٦٧.

اعلم أن هذا هو النوع الثاني من الأحكام التي ذكرها في هذه السورة وهو حكم الأنكحة[١].

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ ﴾ الخ [النساء:٥].

واعلم أن هذا هو النوع الثالث من الأحكام المذكورة في هذه السورة[٢].

في أبي السعود: رجوع إلى بيان بقية الأحكام المتعلقة بأموال اليتامى وتفصيل ما أجمل فيما سبق من شرط إيتائها ووقته وكيفيته[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَابْتَلُوا ﴾ الخ [النساء:٦].

اعلم أنه تعالى لما أمر من قبل بدفع مال اليتيم إليه بقوله: وآتوا اليتامى بين في هذه الآية متى يؤتيهم أموالهم[٤].

قوله تعالى: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ ﴾ الخ [النساء:٧].

اعلم أن هذا هو النوع الرابع من الأحكام المذكورة في هذه السورة وهو ما يتعلق بالمواريث والفرائض[٥].

قوله تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ ﴾ الخ [النساء:٩].

في أبي السعود: أمر للأوصياء بأن يخشوا الله تعالى[٦].

---

(١) التفسير الكبير ٩/ ١٧٠.

(٢) التفسير الكبير ٩/ ١٨٣.

(٣) أبو سعود ٢/ ١٤٤.

(٤) التفسير الكبير ٩/ ١٨٧.

(٥) التفسير الكبير ٩/ ١٩٤.

(٦) أبو سعود ٢/ ١٤٧.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ﴾ الخ [النساء:١٠] .

في أبي السعود: استيناف جيئ به لتقرير مضمون ما فصل من الأوامر والنواهي(١) .

قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ الخ [النساء:١١] .

في أبي السعود: شروع في تفصيل أحكام المواريث المجملة في قوله تعالى: للرجال نصيب الخ(٢) .

قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ﴾ الخ [النساء:١٣] .

إنه تعالى بعد بيان سهام المواريث ذكر الوعد والوعيد ترغيبًا في الطاعة وترهيبًا عن المعصية(٣) .

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ﴾ الخ [النساء:١٥] .

في أبي السعود: شروع في بعض آخر من الأحكام المتعلقة بالنساء إثر بيان أحكام المواريث(٤) .

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ﴾ الخ [النساء:١٧] .

اعلم أنه تعالى لما ذكر في الآية الأولى أن المرتكبَين للفاحشة إذا تابا وأصلحا زال الأذى عنهما وأخبر على الإطلاق أيضًا أنه تواب رحيم ذكر وقت التوبة وشرطها

---

(١) أبو سعود٢/ ١٤٨ .

(٢) أبو سعود ٢/ ١٤٨ .

(٣) التفسير الكبير ٩/ ٢٢٧ .

(٤) أبو سعود ٢/ ١٥٤ .

ورغبهم في تعجيلها لئلا يأتيهم الموت وهم مصرون فلا تنفعهم التوبة(١).

قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ ﴾ الخ [النساء:١٨].

اعلم أنه تعالى لما ذكر شرائط التوبة المقبولة أردفها بشرح التوبة التي لا تكون مقبولة(٢).

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ الخ [النساء:١٩].

اعلم أنه تعالى بعد وصف التوبة عاد إلى أحكام النساء، واعلم أن أهل الجاهلية كانوا يؤذون النساء بأنواع كثيرة من الإيذاء ويظلمونهن بضروب من الظلم فالله تعالى نهاهم عنها في هذه الآيات فالنوع الأول (من الأحكام) قوله تعالى: لا يحل لكم(٣).

النوع الثاني من الأحكام قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ الخ [النساء:١٩].

النوع الثالث قوله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ ﴾ الخ [النساء:١٩].

النوع الرابع قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ﴾ الخ [النساء:٢٠].

النوع الخامس من الأمور المتعلقة بالنساء قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ﴾ الخ [النساء:٢٢].

النوع السادس قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾ الخ [النساء:٢٣].

النوع السابع قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ ﴾ الخ [النساء:٢٥].

---

(١) التفسير الكبير ١٠/ ٢.

(٢) التفسير الكبير ١٠/ ٦.

(٣) التفسير الكبير ١٠/ ١٠، ما بين القوسين من الهامش.

قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ ﴾ الخ [النساء:٢٦] .

في أبي السعود: استيناف مسوق لتقرير ما سبق من الأحكام وبيان كونها جارية على مناهج المهتدين من الأنبياء والصالحين(١) .

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ﴾ الخ [النساء:٢٧] .

في أبي السعود: جملة مبتدأة مسوقة لبيان كمال منفعة ما أراده الله تعالى وكمال مضرة ما يريد الفجرة لا لبيان إرادته تعالى لتوبته عليهم حتى يكون من باب التكرير للتقرير(٢) .

النوع الثامن قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ ﴾الخ [النساء:٢٩].

لما شرح كيفية التصرف في النفوس بسبب النكاح ذكر بعده كيفية التصرف في الأموال(٣) .

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ ﴾ الخ [النساء:٢٩] .

في أبي السعود: قد جمع في التوصية بين حفظ النفس وحفظ المال لما أنه شقيقها من حيث إنه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها(٤) .

قوله تعالى: ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ ﴾ الخ [النساء:٣١] .

اعلم أنه تعالى لما قدم ذكر الوعيد (على إهمال الأحكام المذكورة)(٥)، اتبعه

---

(١) أبو سعود٢/ ١٦٨ .

(٢) أبوسعود ٢/ ١٦٩ .

(٣) التفسير الكبير ١٠/ ٦٩ .

(٤) أبو سعود٢/ ١٧٠ .

(٥) ما بين القوسين من الهامش .

بتفصيل ما يتعلق به[١] .

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ ﴾ الخ [النساء:٣٢] .

في أبي السعود: قال القفال: لما نهاهم الله تعالى عن أكل أموال الناس بالباطل وقتل النفس عقبه بالنهي عما يؤدي إليه من الطمع في أموالهم وتمنيها وقيل نهاهم أولًا عن التعرض لأموالهم بالجوارح ثم عن التعرض لها بالقلب على سبيل الحسد لتطهير أعمالهم الظاهرة والباطنة[٢] .

قوله تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ ﴾ الخ [النساء:٣٢] .

في أبي السعود: لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين المقدار مما أصابه بحسب استعداده[٣] .

قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ ﴾ الخ [النساء:٣٣] .

في أبي السعود: جملة مبتدأة مقررة لمضمون ما قبلها[٤] .

قوله تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ ﴾ الخ [النساء:٣٤] .

في أبي السعود: كلام مستأنف مسوق لبيان سبب استحقاق الرجال الزيادة في الميراث تفصيلًا إثر بيان تفاوت استحقاقهم إجمالًا[٥] .

النوع التاسع قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ الخ [النساء:٣٦] .

---

(١) التفسير الكبير ١٠/ ٧٣ .

(٢) أبو سعود ٢/ ١٢١ .

(٣) أبو سعود ٢/ ١٧٢ .

(٤) أبو سعود ٢/ ١٧٢ .

(٥) أبو سعود ٢/ ١٧٣ .

اعلم أنه تعالى لما أرشد كل واحد من الزوجين إلى المعاملة الحسنة مع الآخر وإلى إزالة الخصومة والخشونة أرشد في هذه الآية إلى سائر الأخلاق الحسنة(١).

قوله تعالى: ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ ﴾ الخ [النساء:٣٩].

في أبي السعود: أي على من ذكر من الطوائف(٢).

قال المسكين: أي غير المؤمنين وغير المخلفين في الإنفاق.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ﴾ الخ [النساء:٤٠].

اعلم أن تعلق هذه الآية هو بقوله تعالى: وما ذا عليهم(٣).

قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا ﴾ الخ [النساء:٤١].

وجه النظم هو أنه تعالى بين أن في الآخرة لا يجري على أحد ظلم وأنه تعالى يجازي المحسن على إحسانه ويزيده على قدر حقه فبين تعالى في هذه الآية أن ذلك يجري بشهادة الرسل الذين جعلهم الله الحجة على الخلق ويكون هذا وعيدًا للكفار ووعدًا للمطيعين(٤).

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ الخ [النساء:٤٣].

النوع العاشر من التكاليف المذكورة في هذه السورة(٥).

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا ﴾ الخ [النساء:٤٤].

---

(١) التفسير الكبير ١٠/ ٩٤.

(٢) أبو سعود ٢/ ١٧٧.

(٣) التفسير الكبير ١٠/ ١٠١.

(٤) التفسير الكبير ١٠/ ١٠٥.

(٥) التفتسير الكبير ١٠/ ١٠٧.

قال المسكين: لعله مرتبط بقوله تعالى: ويكتمون ما آتاهم الله من فضله أي من العلم ونعت النبي ﷺ بقرينة قوله تعالى ثمه: وأعتدنا للكافرين لأن كتمانهم هذا كفر لاكتمان الأموال فقرر في هذه الآية ما يتعلق بهذا الكتمان من أخذ حطام الدنيا عليه وتحريف الكتاب ومعاداة صاحب النعت.

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الخ [النساء:٤٧].

بعد أن حكى عن اليهود أنواع مكرهم وإيذائهم أمرهم بالإيمان وقرن بهذا الأمر الوعيد الشديد على الترك[١].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ ﴾ الخ [النساء:٤٨].

في أبي السعود: كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد فإن الشرع قد نص على إشراك أهل الكتاب قاطبة[٢].

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ ﴾ الخ [النساء:٤٩].

اعلم أنه تعالى لما هدد اليهود بقوله: إن الله لا يغفر قالوا لسنا من المشركين بل نحن من خواص الله تعالى كما حكي تعالى عنهم أنهم قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه فذكر تعالى في هذه الآية أنه لا عبرة بتزكية الإنسان نفسه وإنما العبرة بتزكية الله[٣].

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ﴾ الخ [النساء:٥١].

اعلم أنه تعالى حكى عن اليهود نوعًا آخر من المكر وهو أنهم كانوا يفضلون عبدة الأصنام على المؤمنين ولا شك أنهم كانوا عالمين بأن ذلك باطل فكان إقدامهم

---

(١) التفسير الكبير ١٠/ ١٢٠.

(٢) أبو سعود ٢/ ١٨٧.

(٣) التفسير الكبير ٩/ ١٢٦.

على هذا القول بمحض العناد والتعصب[١].

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ الخ [النساء:٥٣].

اعلم أنه تعالى وصف اليهود في الآية المتقدمة بالجهل الشديد وهو اعتقادهم أن عبادة الأوثان أفضل من عبادة الله وصفهم في هذه الآية بالبخل والحسد[٢].

قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ﴾ الخ [النساء:٥٥].

والمعني أن أولئك الأنبياء مع ما خصصتهم به من النبوة والملك جرت عادة أممهم فيهم أن بعضهم من آمن به وبعضهم بقوا على الكفر، يا محمد لا تتعجب مما عليه هؤلاء وذلك تسلية من الله[٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الخ [النساء:٥٦].

اعلم أنه تعالى بعد ما ذكر الوعيد بالطائفة الخاصة من أهل الكتاب بين ما يعم الكافرين من الوعيد[٤].

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الخ [النساء:٥٧].

اعلم أنه قد جرت عادة الله تعالى في هذا الكتاب الكريم بأن الوعد والوعيد يتلازمان في الذكر على سبيل الأغلب[٥].

قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ الخ [النساء:٥٨].

---

(١) التفسير الكبير ١٠/ ١٢٨.

(٢) التفسير الكبير ١٠/ ١٢٩.

(٣) التفسير الكبير ١٠/ ١٣٣.

(٤) التفسير الكبير ١٠/ ١٣٤.

(٥) التفسير الكبير ١٠/ ١٣٦.

لما حكى عن أهل الكتاب أنهم كتموا الحق أمر المؤمنين في هذه الآية بأداء الأمانات في جميع الأمور سواء كانت تلك الأمور من باب المذاهب والديانات أو من باب الدنيا والمعاملات(١).

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ﴾ الخ [النساء:٥٩].

اعلم أنه تعالى لما أمر الرعاة والولاة بالعدل في الرعية أمر الرعية بطاعة الولاة(٢).

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ ﴾ الخ [النساء:٦٠].

اعلم أنه تعالى لما أوجب في الآية الأولى على جميع المكلفين أن يطيعوا الله ويطيعوا الرسول ذكر في هذه الآية أن المنافقين والذين في قلوبهم مرض لا يطيعون الرسول ولا يرضون بحكمه وإنما يريدون حكم غيره(٣).

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ ﴾ الخ [النساء:٦٤].

اعلم أنه تعالى لما أمر بطاعة الرسول في قوله: وأطيعوا الرسول رغب في هذه الآية مرة أخرى في طاعة الرسول(٤).

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا ﴾ الخ [النساء:٦٦].

اعلم أن هذه الآية متصلة بما تقدم من أمر المنافقين وترغيبهم في الإخلاص وترك النفاق والمعنى أنا لو شددنا التكليف على الناس لصعب ذلك عليهم وحينئذ

---

(١) التفسير الكبير ١٠/ ١٣٧.

(٢) التفسير الكبير ١٠/ ١٤٣.

(٣) التفسير الكبير ١٠/ ١٥٣.

(٤) التفسير الكبير ١٠/ ١٥٩.

يظهر كفرهم وعنادهم فلما لم نفعل ذلك رحمة منا على عبادنا بل اكتفينا بتكليفهم في الأمور السهلة فليقبلوها بالإخلاص حتى ينالوا خير الدارين(١).

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ ﴾ الخ [النساء:٦٩].

أكد الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول في هذه الآية مرة أخرى(٢).

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ ﴾ الخ [النساء:٧١].

اعلم أنه تعالى عاد بعد الترغيب في طاعة الله وطاعة الرسول إلى ذكر الجهاد الذي تقدم لأنه أشق الطاعات ولأنه أعظم الأمور التي بها يحصل تقوية الدين(٣).

قوله تعالى: ﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ ﴾ الخ [النساء:٧٤].

اعلم أنه تعالى لما ذم المبطئين في الجهاد عاد إلى الترغيب فيه(٤).

قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ ﴾ الخ [النساء:٧٥].

اعلم أن المراد منه إنكاره تعالى لتركهم القتال فصار ذلك توكيدًا لما تقدم من الأمر بالجهاد(٥).

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ ﴾ الخ [النساء:٧٦].

قال أبو السعود: كلام مبتدأ سيق لترغيب المؤمنين في القتال وتشجيعهم ببيان

---

(١) التفسير الكبير ١٠/ ١٦٦.

(٢) التفسير الكبير ١٠/ ١٦٩.

(٣) التفسير الكبير ١٠/ ١٧٦.

(٤) التفسير الكبير ١٠/ ١٨٠.

(٥) التفسير الكبير ١٠/ ١٨١.

كمال قوتهم بإمداد الله تعالى ونصرته وغاية ضعف أعدائهم[1].

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ ﴾ الخ [النساء:٧٧].

قال أبو السعود: تعجيب لرسول الله ﷺ من إحجامهم عن القتال مع أنهم كانوا قبل ذلك راغبين فيه حراصًا عليه[2].

قوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ ﴾ الخ [النساء:٧٨].

والمقصود من هذا الكلام تبكيت من حكى عنهم أنهم عند فرض القتال يخشون الناس الخ فبين تعالى أنه لا خلاص لهم من الموت فبان يقع على وجه يكون مستعقبًا للسعادة الأبدية كان أولى[3].

قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ ﴾ الخ [النساء:٧٨].

لما حكى عن المنافقين كونهم متثاقلين عن الجهاد حكى عنهم في هذه الآية خصلة أخرى قبيحة أقبح من الأولى[4].

قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ ﴾ الخ [النساء:٧٩].

قال أبو السعود: بيان لجلالة منصبه عليه الصلاة والسلام ومكانته عند الله لأ بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في حقه عليه الصلاة والسلام بناء على جهلهم بشأنه الجليل[5].

---

(١) أبو سعود ٢/ ٢٠٢.

(٢) أبو سعود ٢/ ٢٠٣.

(٣) التفسير الكبير ١٠/ ١٨٧.

(٤) التفسير الكبير ١٠/ ١٨٧.

(٥) أبو سعود ٢/ ٢٠٦.

قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ﴾ الخ [النساء:٨٠] .

قال أبو السعود: بيان لأحكام رسالته عليه الصلاة والسلام إثر بيان تحققها وثبوتها(١) .

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ الخ [النساء:٨١] .

قال أبو السعود: شروع في بيان معاملتهم مع الرسول ﷺ بعد بيان وجوب طاعته(٢) .

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ الخ [النساء:٨٢] .

اعلم أنه تعالى لما حكى عن المنافقين أنواع مكرهم وكيدهم وكان كل ذلك لأجل أنهم كانوا لا يعتقدون كونه محقًا في ادعاء الرسالة صادقًا فيه بل كانوا يعتقدون أنه مفتر متخرص فلا جرم أمرهم الله تعالى بأن ينظروا ويتفكروا في الدلائل الدالة على صحة نبوته(٣) .

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ﴾ الخ [النساء:٨٣] .

اعلم أنه تعالى حكى عن المنافقين في هذه الآية نوعًا آخر من الأعمال الفاسدة وهو ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ﴾ الخ(٤) .

قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الخ [النساء:٨٤] .

اعلم أنه تعالى لما أمر بالجهاد ورغب فيه أشد الترغيب في الآيات المتقدمة عاد

---

(١) أبو سعود ٢/ ٢٠٦ .

(٢) أبو سعود ٢/ ٢٠٧ .

(٣) التفسير الكبير ١٠/ ١٩٦ .

(٤) التفسير الكبير ١٠/ ١٩٨ .

في هذه الآية إلى الأمر بالجهاد[١].

قوله تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً ﴾ الخ [النساء:٨٥].

قال أبو السعود: جملة سيقت لبيان أن له عليه الصلاة والسلام فيما أمر به من تحريض المؤمنين حظًا موفورًا[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم ﴾ الخ [النساء:٨٦].

في النظم وجهان الأول أنه لما أمر المؤمنين بالجهاد أمرهم أيضًا بأن الأعداء لو رضوا بالمسالمة فكونوا أنتم راضين بها. الثاني أن الرجل في الجهاد كان يلقي الرجل في دار الحرب أو ما يقاربها فيسلم عليه فلا يلتفت إلى سلامه عليه ويقتله وربما ظهر أنه كان مسلمًا فمنع الله المؤمنين عنه[٣].

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الخ [النساء:٨٧].

أكد بالوعيد في قوله: إن الله كان على كل شيء حسيبًا ثم بالغ في تاكيد ذلك الوعيد بهذه الآية[٤].

قوله تعالى: ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَـٰفِقِينَ ﴾ الخ [النساء:٨٨].

اعلم أن هذا نوع آخر من أحوال المنافقين[٥].

قوله تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ الخ [النساء:٨٩].

---

(١) التفسير الكبير ١٠/ ٢٠٣.

(٢) أبو سعود ٢/ ٢١٠.

(٣) التفسير الكبير ١٠/ ٢٠٩.

(٤) التفسير الكبير ١٠/ ٢٦٦.

(٥) التفسير الكبير ١٠/ ٢١٨.

لما قال في هذه الآية أتريدون قرر ذلك الاستبعاد بأن قال أنهم بلغوا في الكفر إلى أنهم يتمنون أن تصيروا أيها المسلمون كفارًا فلما بلغوا في تعصبهم في الكفر إلى هذا الحد فكيف تطمعون في إيمانهم(١).

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ﴾ الخ [النساء:٩٢].

اعلم أنه تعالى لما رغب في مقاتلة الكفار وحرض عليها ذكر بعد ذلك ما يتعلق بهذه المحاربة فمنها أنه قد يتفق أن يرى الرجل رجلًا يظنه كافرًا حربيا فيقتله ثم يتبين أنه كان مسلمًا فذكر الله تعالى حكم هذه الواقعة في هذه الآية(٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنًا﴾ الخ [النساء:٩٣].

اعلم أنه تعالى لما ذكر حكم القتل الخطأ ذكر بعده بيان حكم القتل العمد وله أحكام وقد ذكر تعالى ذلك في سورة البقرة فلا جرم ههنا اقتصر على بيان ما فيه من الإثم والوعيد(٣).

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ﴾ الخ [النساء:٩٤].

اعلم أن المقصود من هذه الآية المبالغة في تحريم قتل المؤمنين وأمر المجاهدين بالتثبت فيه لئلا يسفكوا دمًا حرامًا بتأويل ضعيف(٤).

قوله تعالى: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ﴾ الخ [النساء:٩٥].

قال أبو السعود: بيان لتفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت درجات

---

(١) التفسير الكبير ١٠/ ٢٢٠.

(٢) التفسير الكبير ١٠/ ٢٢٦.

(٣) التفسير الكبير ١٠/ ٢٣٧.

(٤) التفسير الكبير ١١/ ٢.

مساعيهم في الجهاد بعد ما مر من الأمر به وتحريض المؤمنين عليه ليأنف القاعد عنه ويترفع بنفسه عن انحطاط رتبته فيهتزله رغبة في ارتفاع طبقته[١].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ﴾ الخ [النساء:٩٧].

قال أبو السعود: بيان لحال القاعدين عن الهجرة إثر بيان حال القاعدين عن الجهاد[٢].

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ ﴾ الخ [النساء:١٠٠].

قال أبو السعود: ترغيب في المهاجرة وتأنيس لها[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ الخ [النساء:١٠١].

اعلم أن أحد الأمور التي يحتاج المجاهد إليها معرفة كيفية أداء الصلاة في زمان الخوف والاشتغال بمحاربة العدو فلهذا المعنى ذكره الله تعالى في هذه الآية[٤].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ ﴾ الخ [النساء:١٠٢].

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية المتقدمة حال قصر الصلاة بحسب الكمية في العدد بين في هذه الآية حالها في الكيفية[٥].

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ ﴾ الخ [النساء:١٠٤].

اعلم أنه تعالى لما ذكر بعض الأحكام التي يحتاج المجاهد إلى معرفتها عاد مرة

---

(١) أبو سعود ٢/ ٢٢٠.

(٢) أبو سعود ٢/ ٢٢٢.

(٣) أبو سعود ٢/ ٢٢٤.

(٤) التفسير الكبير ١١/ ١٦.

(٥) التفسير الكبير ١١/ ٢٤.

أخرى إلى الحث على الجهاد[١] .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ الخ [النساء:١٠٥] .

لما شرح أحوال المنافقين على سبيل الاستقصاء ثم اتصل بذلك أمر المحاربة واتصل بذكر المحاربة ما يتعلق بها من الأحكام الشرعية رجع الكلام بعد ذلك إلى أحوال المنافقين وذكر أنهم كانوا يحاولون أن يحملوا الرسول عليه الصلاة والسلام على أن يحكم بالباطل ويذر الحكم الحق فاطلع الله رسوله عليه وأمره بأن لا يلتف إليهم ولا يقبل قولهم في هذا الباب[٢] .

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ ﴾ الخ [النساء:١١٥] .

اعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها هو ما روى أن طعمة بن ابيرق لما رأى أن الله تعالى هتك ستره وبرأ اليهود عن تهمة السرقة ارتد وذهب إلى مكة ونقب جدار إنسان لأجل السرقة فتهدم الجدار عليه ومات فنزلت هذه الآية[٣] .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ الخ [النساء:١١٦] .

إنما يحسن اتصالها بما قبلها لو كان المراد أن ذلك السارق لو لم يرتد لم يصر محرومًا عن رحمتي ولكنه لما ارتد وأشرك بالله صار محرومًا قطعًا عن رحمة الله ثم أنه تعالى بين كون الشرك ضلالًا بعيدًا فقال: إن يدعون[٤] .

قوله تعالى: ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ ﴾ الخ [النساء:١٢٣] .

---

(١) التفسير الكبير ١١/ ٣١ .

(٢) التفسير الكبير ١١/ ٣٢ .

(٣) التفسير الكبير ١١/ ٤٢ .

(٤) التفسير الكبير ١١/ ٤٥ و٤٦ .

قال المسكين: إبطال للأماني المذكورة سابقًا في قوله تعالى: يعدهم ويمنيهم وذكر أماني أهل الكتاب استطرادًا وتتميمًا للفائدة ثم ذكر كون الإيمان والأعمال معتبرًا بقوله: من يعمل الخ.

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا ﴾ الخ [النساء:١٢٧].

اعلم أنه لما شرط حصول النجاة والفوز بالجنة بكون الإنسان مؤمنًا شرح الإيمان وبين فضله[١].

قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ﴾ الخ [النساء:١٢٧].

اعلم أن عادة الله تعالى في ترتيب هذا الكتاب الكريم وقع على أحسن الوجوه وهو أنه يذكر شيئًا من الأحكام ثم يذكر عقيبه آيات كثيرة في الوعد والوعيد والترغيب والترهيب ويخلط بها آيات دالة على كبرياء الله وجلال قدرته وعظمة إلهيته ثم يعود مرة أخرى إلى بيان الأحكام وهذا أحسن أنواع الترتيب وأقربها إلى التأثير في القلوب لأن التكليف بالأعمال الشاقة لا يقع في موقع القبول إلا إذا كان مقرونًا بالوعد والوعيد، والوعد والوعيد لا يؤثر في القلب إلا عند القطع بغاية كمال من صدر عنه الوعد والوعيد، فظهر أن هذا الترتيب أحسن الترتيبات اللائقة بالدعوة إلى الدين الحق.

إذا عرفت هذا فنقول إنه سبحانه ذكر في أول هذه السورة أنواعًا كثيرة من الشرائع والتكاليف ثم أتبعها بشرح أحوال الكافرين والمنافقين واستقصى في ذلك ثم ختم تلك الآيات بالآيات الدالة على عظمة جلال الله وكمال كبريائه ثم عاد بعد ذلك إلى بيان الأحكام فقال ويستفتونك الخ[٢].

---

(١) التفسير الكبير ١١/ ٥٦.

(٢) التفسير الكبير ١١/ ٦٢، ٦١.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ ﴾ الخ [النساء:١٢٨].

اعلم أن هذا من جملة ما أخبر الله تعالى أنه يفتيهم به في النساء مما لم يتقدم ذكره في هذه السورة[١].

قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [النساء:١٣١].

لما ذكر أنه يغني كلا من سعته وأنه واسع اشار إلى ماهو كالتفسير لكونه واسعًا[٢].

قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ ﴾ الخ [النساء:١٣٥].

تقدم في هذه السورة أمر الناس بالقسط وأمرهم بالإشهاد عند دفع أموال اليتامى إليهم وأمرهم بعد ذلك ببذل النفس والمال في سبيل الله وأجرى في هذه السورة قصة طعمة بن ابيرق واجتماع قومه على الذب عنه بالكذب والشهادة على اليهودي بالباطل ثم أنه تعالى أمر في هذه الآيات بالمصالحة مع الزوجة ومعلوم أن ذلك أمر من الله لعباده بأن يكونوا قائمين بالقسط شاهدين لله على كل أحد بل وعلى أنفسهم فكانت هذه الآية كالمؤكد لكل ما جرى ذكره في هذه السورة من أنواع التكاليف[٣].

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ أَن ﴾ الخ [النساء:١٣٦].

لما بين الأحكام الكثيرة في هذه السورة ذكر عقيبها آية الأمر بالإيمان[٤].

---

(١) التفسير الكبير ١١/ ٦٤.

(٢) التفسير الكبير ١١/ ٦٩.

(٣) التفسير الكبير ١١/ ٧٢، ٧٣.

(٤) التفسير الكبير ١١/ ٧٥.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الخ [النساء:١٣٧] .

اعلم أنه تعالى لما أمر بالإيمان ورغب فيه بين فساد طريقة من يكفر بعد الإيمان[1] .

قوله تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ الخ [النساء:١٣٨] .

قال المسكين: ذكر المنافقين إثر ذكر الكافرين.

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ الخ [النساء:١٤٤] .

اعلم أنه تعالى لما ذم المنافقين بأنهم مرة إلى الكفرة ومرة إلى المسلمين من غير أن يستقروا مع أحد الفريقين نهي المسلمين في هذه الآية أن يفعلوا مثل فعلهم[2] .

قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ ﴾ الخ [النساء:١٤٨] .

قال المسكين: نهى الله تعالى فيما سبق عن موالاة الكفار ونهي في هذه الآية عن معاداتهم بما لم يأذن به الشرع.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ الخ [النساء:١٥٠] .

اعلم أنه تعالى لما تكلم على طريقة المنافقين عاد يتكلم على مذاهب اليهود والنصارى ومناقضاتهم وذكر في آخر هذه السورة من هذا الجنس أنواعًا. النوع الأول من أباطيلهم إيمانهم ببعض الأنبياء دون البعض[3] .

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الخ [النساء:١٥٢] .

---

(١) التفسير الكبير ١١/ ٧٧ .

(٢) التفسير الكبير ١١/ ٨٦ .

(٣) التفسير الكبير ١١/ ٩٢ .

لما ذكر الوعيد أردفه بالوعد[١].

قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ الخ [النساء:١٥٣].

اعلم أن هذا النوع الثاني من جهالات اليهود[٢].

قوله تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ ﴾ الخ [النساء:١٦٠].

اعلم أنه تعالى لما شرح في فضائح أعمال اليهود وقبائح الكافرين ذكر عقيبه تشديده تعالى عليهم في الدنيا والآخرة[٣].

قوله تعالى: ﴿ لَّـٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ ﴾ الخ [النساء:١٦٢].

اعلم أنه تعالى لما وصف طريقة الكفار والجهال من اليهود وصف طريقة المؤمنين منهم[٤].

قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ الخ [النساء:١٦٣].

اعلم أنه تعالى لما حكي أن اليهود سألوا الرسول ﷺ أن ينزل عليهم كتابًا من السماء وذكر تعالى بعده أنهم لا يطلبون ذلك لأجل الاسترشاد ولكن لأجل العناد واللجاج وحكى أنواعًا من فضائحهم وقبائحهم وامتد الكلام إلى هذا المقام شرع الآن في الجواب عن تلك الشبهة فقال إنا أوحينا الخ، والمعنى إنا توافقنا على نبوة نوح وإبراهيم وإسماعيل وجميع المذكورين في هذه الآية وعلى أن الله تعالى أوحي إليهم ولا طريق إلى العلم بكونهم أنبياء الله ورسله إلا ظهور المعجزات عليهم

---

(١) التفسير الكبير ١١/ ٩٣.

(٢) التفسير الكبير ١١/ ٩٤.

(٣) التفسير الكبير ١١/ ١٠٥.

(٤) التفسير الكبير ١١/ ١٠٥.

ولكل واحد منهم نوع آخر من المعجزات على التعيين وما أنزل الله على كل واحد من هؤلاء المذكورين كتابًا بتمامه مثل ما أنزل إلى موسى فلما لم يكن عدم إنزال الكتاب على هؤلاء دفعة واحدة قادحًا في نبوتهم بل كفى في إثبات نبوتهم ظهور نوع واحد من أنواع المعجزات عليهم علمنا أن هذه الشبهة زائلة وأن إصرار اليهود على طلب هذه المعجزة باطل(١).

قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ ﴾ الخ [النساء:١٦٦].

لما قال: إنا أوحينا إليك قال القوم: نحن لا نشهد لك بذلك فنزل لكن الله يشهد(٢).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ ﴾ الخ [النساء:١٦٧].

اعلم أن هذا من صفات اليهود الذين تقدم ذكرهم(٣).

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ ﴾ الخ [النساء:١٧٠].

اعلم أنه تعالى لما أجاب عن شبهة اليهود على الوجوه الكثيرة وبين فساد طريقتهم ذكر خطابًا عامًا يعمهم ويعم غيرهم في الدعوة إلى دين محمد ﷺ(٤).

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ ﴾ الخ [النساء:١٧١].

واعلم أنه تعالى لما أجاب عن شبهات اليهود تكلم بعد ذلك مع النصارى في هذه الآية(٥).

---

(١) التفسير الكبير ١١/١٠٨.

(٢) التفسير الكبير ١١/ ١١١.

(٣) التفسير الكبير ١١/ ١١٢.

(٤) التفسير الكبير ١١/ ١١٣.

(٥) التفسير الكبير ١١/ ١١٥.

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ ﴾ الخ [النساء:١٧٤] .

اعلم أنه تعالى لما أورد الحجة على جميع الفرق من المنافقين والكفار واليهود والنصارى وأجاب عن جميع شبهاتهم عمم الخطاب ودعا جميع الناس إلى الاعتراف برسالة محمد ﷺ[١] .

قوله تعالى: ﴿ يَسۡتَفۡتُونَكَ ﴾ الخ [النساء:١٧٦] .

اعلم أنه تعالى تكلم في أول السورة في أحكام الأموال وختم آخرها بذلك ليكون الآخر مشاكلًا للأول ووسط السورة مشتمل على المناظرة مع الفرق المخالفين للدين[٢] .

***

(١) التفسير الكبير ١١/ ١١٩ .

(٢) التفسير الكبير ١١/ ١٢٠ .

سورة المائدة

وجه الارتباط بين أولها وآخر ما قبلها أن الله تعالى ختم السورة المتقدمة بقولـه: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ﴾ [النساء:١٧٦] وفي هـذه السورة بـين الأحكـام الضرورية[١].

اعلم أنه تعالى لما قرر بالآية الأولى جميع المكلفين أنه يلزمهم الانقياد لجميع تكاليف الله تعالى وذلك كالأصل الكلي والقاعدة الجميلة شرع بعد ذلك في ذكر التكاليف المفصلة فبدأ بذكر ما يحل وما يحرم من المطعومات[٢].

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ ﴾ الخ [المائدة:٢].

اعلم أنه تعالى لما حرم الصيد على المحرم في الآية الاولى أكد ذلك بالنهي في هذه الآية عن مخالفة تكاليف الله تعالى[٣].

قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ﴾ الخ [المائدة:٣].

اعلم أنه تعالى قال في أول السورة: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾ [المائدة:١] ثم ذكر فيه استثناء أشياء تتلى عليكم فههنا ذكر الله تعالى تلك الصور المستثناة عن ذلك العموم[٤].

قوله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ ﴾ الخ [المائدة:٣].

---

(١) هذا في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) التفسير الكبير ١١/ ١٢٥.

(٣) التفسير الكبير ١١/ ١٢٨.

(٤) التفسير الكبير ١١/ ١٣٢.

لما عدد فيما مضى ما حرمه وما أحله حرضهم على التمسك بها شرع لهم بأكمل ما يكون[١].

قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ﴾ الخ [المائدة:٤].

وهذا أيضًا متصل بما تقدم من ذكر المطاعم والمآكل[٢].

قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ﴾ الخ [المائدة:٥].

اعلم أنه تعالى أخبر في الآية المتقدمة أنه أحل الطيبات وكان المقصود من ذكره الإخبار عن الحكم ثم أعاد ذكره في الآية والغرض من ذكره أنه قال: اليوم أكملت لكم الخ.

فبين أنه كما أكمل الدين وأتم النعمة في كل ما يتعلق بالدين فكذلك أتم النعمة في كل ما يتعلق بالدنيا ومنها إحلال الطيبات والغرض من الإعادة رعاية هذه النكتة[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ ﴾ الخ [المائدة:٥].

المقصود منه الترغيب فيما تقدم من التكاليف والأحكام[٤].

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ ﴾ الخ [المائدة:٦].

قال أبو السعود: شروع في بيان الشرائع المتعلقة بدينهم بعد بيان ما يتعلق بدنياهم[٥].

---

(١) التفسير الكبير ١١/ ١٣٦.

(٢) التفسير الكبير ١١/ ١٤١.

(٣) التفسير الكبير ١١/ ١٤٦.

(٤) التفسير الكبير ١١/ ١٤٨.

(٥) أبو سعود ٣/ ١٠.

قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾ الخ [المائدة:٧].

لما ذكر هذا التكليف أردفه بما يوجب عليهم القبول والانقياد وذلك من وجهين الأول كثرة نعمة الله عليهم والثاني هو الميثاق[١].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ﴾ الخ [المائدة:٨].

قال أبو السعود: شروع في بيان الشرائع المتعلقة بما يجري بينهم وبين غيرهم إثر بيان ما يتعلق بأنفسهم[٢].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ﴾ الخ [المائدة:١١].

قال أبو السعود: تذكير لنعمة الإنجاء من الشدائد بعد تذكير نعمة إيصال الخير الذي هو نعمة الإسلام وما يتبعها من الميثاق[٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ الخ [المائدة:١٢].

لما خاطب المؤمنين فيما تقدم فقال: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ﴾ [المائدة:٧] ثم ذكر الآن أنه أخذ الميثاق من بني إسرائيل لكنهم نقضوه وتركوا الوفاء به فلا تكونوا أيها المؤمنون مثل أولئك اليهود في هذه الخلق الدميم لئلا تصيروا مثلهم فيما نزل بهم من اللعن والذلة والمسكنة[٤].

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ الخ [المائدة:١٤].

---

(١) التفسير الكبير ١١/ ١٧٨.

(٢) أبو سعود ٣/ ١٢.

(٣) أبو سعود ٣/ ١٣.

(٤) التفسير الكبير ١/ ١٨٣.

المراد أن سبيل النصارى مثل سبيل اليهود في نقض المواثيق[(١)].

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا ﴾ الخ [المائدة:١٥].

اعلم أنه تعالى لما حكي عن اليهود وعن النصارى نقضهم العهد وتركهم ما أمروا به دعاهم عقيب ذلك إلى الإيمان بمحمد ﷺ[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ ﴾ الخ [المائدة:٢٠].

قال أبو السعود: جملة مستأنفة لبيان ما فعلت بنو إسرائيل بعد أخذ الميثاق منهم وكيفية نقضهم له[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ ﴾ الخ [المائدة:٢٧].

قال المسكين: هذه توطئة لما هو المقصود ههنا من ذكر جنايات بني إسرائيل كما قال أبو السعود عند قوله تعالى: ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ الخ [المائدة:٣٢] شروع فيما هو المقصود من تلاوة النبأ من بيان بعض آخر من جنايات بني إسرائيل ومعاصيهم[(٤)].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ ﴾ الخ [المائدة:٣٣].

اعلم أنه تعالى لما ذكر في الآية الأولى تغليظ الإثم في قتل النفس بغير قتل نفس ولا فساد في الأرض اتبعه ببيان أن الفساد في الأرض الذي يوجب القتل ما هو؟ فإن بعض ما يكون فسادًا في الأرض لا يوجب القتل[(٥)].

---

(١) التفسير الكبير ١١/ ١٨٨.

(٢) التفسير الكبير ١١/ ١٨٩.

(٣) أبو سعود ٣/ ٢٢.

(٤) أبو سعود ٣/ ٢٦.

(٥) التفسير الكبير ١١/ ٢١٤.

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ الخ [المائدة:٣٥] .

قال أبو السعود: لما ذكر عظم شأن القتل والفساد وبين حكمهما وأشير في تضاعيف ذلك إلى مغفرته تعالى لمن تاب من جنايته أمر المؤمنون بأن يتقوه تعالى في كل ما يأتون وما يذرون بترك ما يجب اتقائه من المعاصي التي من جملتها ما ذكر من القتل والفساد وبفعل الطاعات التي من زمرتها السعي في إحياء النفوس ودفع الفساد والمسارعة إلى التوبة والاستغفار(١) .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الخ [المائدة:٣٦] .

قال أبو السعود: كلام مبتدأ مسوق لتأكيد وجوب الامتثال بالأوامر السابقة وترغيب المؤمنين في المسارعة إلى تحصيل الوسيلة إليه لأ قبل انقضاء أوانه(٢) .

قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ ﴾ الخ [المائدة:٣٨] .

قال أبو السعود: شروع في بيان حكم السرقة الصغرى بعد بيان أحكام الكبرى وقد عرفت اقتضاء الحال لإيراد ما توسط بينهما من المقال(٣) .

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ ﴾ الخ [المائدة:٤٠] .

اعلم أنه تعالى لما أوجب قطع اليد وعقاب الآخرة على السارق قبل التوبة ثم ذكر أنه يقبل توبته إن تاب أردفه ببيان أن له أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد(٤) .

قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ﴾ الخ [المائدة:٤١] .

---

(١) أبو سعود ٣/ ٣٢ .

(٢) أبو سعود ٣/ ٣٣ .

(٣) أبو سعود ٣/ ٣٤ .

(٤) التفسير الكبير ١١/ ٢٣٠ .

اعلم أنه تعالى لما بين بعض التكاليف والشرائع وكان قد علم من بعض الناس كونهم متسارعين إلى الكفر لا جرم صبر رسوله على تحمل ذلك[١].

قوله تعالى: ﴿فَإِن جَآءُوكَ﴾ الخ [المائدة:٤٢].

قال أبو السعود: لما بين تفاصيل أمورهم الواهية وأحوالهم المختلفة الموجبة لعدم مبالاة بهم وبأفاعيلهم حسبما أمر به عليه الصلاة والسلام خوطب عليه الصلاة والسلام ببعض ما يبتني عليه من الأحكام بطريق التفريع والفاء فصيحة أي وإذا كان حالهم كما شرح فإن جاؤك الخ[٢].

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾ الخ [المائدة:٤٣].

قال أبو السعود: تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال أن الحكم منصوص عليه في كتابهم الذي يدعون الإيمان به وتنبيه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق وإقامة الشرع وإنما طلبوا به ما هو أهون عليهم وإن لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم[٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ الخ [المائدة:٤٤].

اعلم أن هذا تنبيه من الله تعالى لليهود المنكرين لوجوب الرجم وترغيب لهم في أن يكونوا كمتقدميهم من مسلمي أحبارهم والأنبياء المبعوثين إليهم[٤].

قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾ الخ [المائدة:٤٥].

---

(١) التفسير الكبير ١١/ ٢٣١.

(٢) أبو سعود ٣/ ٣٩.

(٣) أبو سعود ٣/ ٤٠.

(٤) التفسير الكبير ١٢/ ٢.

المعنى أنه تعالى بين في التوراة أن حكم الزاني المحصن هو الرجم واليهود غيروه وبدلوه، وبين في هذه الآية أيضًا أنه تعالى بين في التوراة أن النفس بالنفس وهؤلاء اليهود غيروا هذا الحكم ايضًا ففضلوا بني النضير على بني قريظة وخصصوا إيجاب القود ببني قريظة دون بني النضير[١].

قوله تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم ﴾ الخ [المائدة:٤٦].

قال أبو السعود: شروع في بيان أحكام الإنجيل إثر بيان أحكام التوراة[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ الخ [المائدة:٤٨].

قال المسكين: شروع في بيان أحكام القرآن إثر بيان أحكام الكتابين.

قوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا ﴾ الخ [المائدة:٤٨].

قال أبو السعود: كلام مستأنف جيء به لحمل (أهل) الكتابين من معاصريه عليه الصلاة والسلام على الانقياد لحكمه بما أنزل إليه من القرآن الكريم ببيان أنه هو الذي كلفوا العمل به دون غيره من الكتابين وإنما الذين كلفوا العمل بهما من مضى قبل نسخهما من الأمم السالفة[٣].

قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ﴾ الخ [المائدة:٥١].

قال المسكين: نهي المؤمنين عن موالاة أهل الكتابين إثر ذكر أوصاف الفريقين التي هي ضد لصفات المؤمنين ومن أقوى الزواجر عن موالاتهما.

قوله تعالى: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ ﴾ الخ [المائدة:٥٢].

---

(١) التفسير الكبير ١٢/ ٦.

(٢) أبو سعود ٣/ ٤٣.

(٣) أبو سعود ٣/ ٤٥.

قال المسكين: بيان لمداهنة المنافقين في موالاة الكفار واعتذارهم الباطل في ذلك.

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ ﴾ الخ [المائدة:٥٤] .

قال أبو السعود: شروع في بيان حال المرتدين على الإطلاق[١] .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ ﴾ الخ [المائدة:٥٥] .

لما نهي في الآيات المتقدمة عن موالاة الكفار أمر في هذه الآية بموالاة من يجب موالاته[٢] .

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ﴾ الخ [المائدة:٥٧] .

اعلم أنه تعالى نهي في الآية المتقدمة عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء وساق الكلام في تقريره ثم ذكر ههنا النهي العام عن موالاة جميع الكفار[٣] .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ ﴾ الخ [المائدة:٥٨] .

لما حكي في الآية الأولى عنهم أنهم اتخذوا دين المسلمين هزوا ولعبا ذكر ههنا بعض ما يتخذونه من هذا الدين هزوا ولعبا[٤] .

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ ﴾ الخ [المائدة:٥٩] .

لما حكي عنهم أنهم اتخذوا دين الإسلام هزوًا ولعبًا قال لهم ما الذي تنقمون

---

(١) أبو السعود ٣/ ٥٠ .

(٢) التفسير الكبير ١٢/ ٢٥ .

(٣) التفسير الكبير ١٢/ ٣٢ .

(٤) التفسير الكبير ١٢/ ٣٣ .

من هذا الدين وما الذي تجدون فيه مما يوجب اتخاذه هزوًا ولعبًا[١] .

قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم ﴾ الخ [المائدة:٦٠] .

لما أمر عليه الصلاة والسلام بإلزامهم أن مدار نقمهم للدين إنما هو اشتماله على ما يوجب ارتضائه عندهم أيضًا وكفرهم مما هو مسلم لهم، أمر عليه الصلاة والسلام عقيبه بأن يبكتهم ببيان أن الحقيق بالنقم والعيب حقيقةً ماهم عليه[٢] .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ﴾ الخ [المائدة:٦١] .

قال المسكين: ذم لمن نافق من المذكورين.

قوله تعالى: ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ ﴾ الخ [المائدة:٦٢] .

قال المسكين: ذم لبعض آخر منهم.

قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ الخ [المائدة:٦٧] .

أمر الرسول بأن لا ينظر إلى قلة المقتصدين وكثرة الفاسقين ولا يخشى مكروههم[٣] .

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ ﴾ الخ [المائدة:٦٨] .

قال المسكين: من جملة التبليغ.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الخ [المائدة:٦٩] .

قال المسكين: لما أمر بالإيمان فيما قبل بين فضيلة الإيمان ههنا.

---

(١) التفسير الكبير ١٢/ ٣٤ .

(٢) أبو سعود ٣/ ٥٤ .

(٣) التفسير الكبير ١٢/ ٤٨ .

قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ ﴾ الخ [المائدة:٧٠] .

قال أبو السعود: كلام مبتدأ مسوق لبيان بعض آخر من جناياتهم المنادية باستبعاد الإيمان منهم[١] .

قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ﴾ الخ [المائدة:٧٢] .

اعلم أنه تعالى لما استقصى الكلام مع اليهود شرع ههنا في الكلام مع النصارى[٢] .

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ ﴾ الخ [المائدة:٧٦] .

وهذا دليل آخر على فساد قول النصارى[٣] .

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ ﴾ الخ [المائدة:٧٧] .

لما تكلم أولًا على أباطيل اليهود ثم تكلم ثانيًا على أباطيل النصارى فعند ذلك خاطب مجموع الفريقين[٤] .

قوله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الخ [المائدة:٧٨] .

لما خاطب أهل الكتاب بهذا الخطاب وصف أسلافهم[٥] .

قوله تعالى: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ ﴾ الخ [المائدة:٨٠] .

---

(١) أبو سعود ٣/ ٦٣ .

(٢) التفسير الكبير ١٢/ ٥٩ .

(٣) التفسير الكبير ١٢/ ٦٢ .

(٤) التفسير الكبير ١٢/ ٦٢ .

(٥) التفسير الكبير ١٢/ ٦٣ .

اعلم أنه تعالى لما وصف أسلافهم بما تقدم وصف الحاضرين منهم بأنهم يتولون الكفار وعبدة الأوثان(١).

قوله تعالى: ﴿ ۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ﴾ الخ [المائدة:٨٢].

لما ذكر من أحوال أهل الكتاب من اليهود والنصارى ما ذكره ذكر في هذه الآية أن اليهود في غاية العداوة مع المسلمين(٢).

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ﴾ الخ [المائدة:٨٧].

اعلم أنه تعالى لما استقصى في المناظرة مع اليهود والنصارى عاد بعده إلى بيان الأحكام وذكر جملة منها، النوع الأول ما يتعلق بحل المطاعم والمشارب واللذات(٣).

النوع الثاني من الأحكام المذكورة في هذا الموضع.

قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ﴾ الخ [المائدة:٨٩](٤).

قال المسكين: آخذا من الكبير: وجه المناسبة بينه وبين ما قبله قول الصحابة فكيف نصنع بإيماننا أي على ترك الطيبات(٥).

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ﴾ الخ [المائدة:٩٠].

اعلم أن هذا هو النوع الثالث من الأحكام المذكورة في هذا الموضع ووجه

---

(١) التفسير الكبير ١٢/ ٦٥.

(٢) التفسير الكبير ١٢/ ٦٦.

(٣) التفسير الكبير ١٢/ ٧٠.

(٤) والتفسير الكبير ١٤/ ٧٣.

(٥) التفسير الكبير ١٢/ ٧٣.

اتصاله بما قبله أنه تعالى قال فيما تقدم: لا تحرموا طيبات الخ وكلوا مما رزقكم الله الخ ثم لما كان من جملة الأمور المستطابة الخمر والميسر لا جرم أنه تعالى بين أنهما غير داخلين في المحللات بل في المحرمات[١].

وقال المسكين: لعل الأقرب أن يقال كان ما تقدم نهيًا عن تحريم الحلال وهذا نهي عن تحليل الحرام إلى قوله تعالى: ما جعل الله من بحيرة الخ بل لا يبعد أن قيل إلى حكم الإيصاء وما يتعلق به.

قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الخ [المائدة:٩٣].

روي أنه لما نزلت آية تحريم الخمر قالت الصحابة: إن إخواننا كانوا قد شربوا الخمر يوم أحد ثم قتلوا فكيف حالهم فنزلت هذه الآية[٢].

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ﴾ الخ [المائدة:٩٤].

اعلم أن هذا نوع آخر من الأحكام ووجه النظم أنه تعالى لما قال: لا تحرموا طيبات ثم استثني الخمر والميسر عن ذلك فلذلك استثنى هذا النوع من الصيد عن المحللات وبين دخوله في المحرمات[٣].

قوله تعالى: ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ﴾ الخ [المائدة:٩٧].

اعلم أن اتصال هذه الآية بما قبلها هو أن الله تعالى حرم في الآية المتقدمة الاصطياد على المحرم فبين أن الحرم كما أنه سبب لأمن الوحش والطير فكذلك هو سبب لأمن الناس عن الآفات والمخافات وسبب لحصول الخيرات والسعادات في

---

(١) التفسير الكبير ١٢/ ٧٩.

(٢) التفسير الكبير ١٢/ ٨٣.

(٣) التفسير الكبير ١٢/ ٨٥.

الدنيا والآخرة[١].

قوله تعالى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ ﴾ الخ [المائدة:٩٨].

قال أبو السعود: وعيد لمن انتهك محارمه ووعد لمن حافظ على مراعاة حرماته[٢].

قوله تعالى: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ الخ [المائدة:٩٩].

قال أبو السعود: تشديد في إيجاب القيام بما أمر به أي الرسول قد أتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد عليه وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم من بعد في التفريط[٣].

قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ﴾ الخ [المائدة:١٠٠].

قال أبو السعود: حكم عام في نفي المساواة عند الله تعالى بين الردي من الأشخاص والأعمال والأموال وبين جيدها، قصد بذلك الترغيب في جيد كل منها والتحذير عن رديئها[٤].

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ ﴾ الخ [المائدة:١٠١].

لما قال: ما على الرسول إلا البلاغ صار التقدير كأنه قال: ما بلغه الرسول إليكم فخذوه وكونوا منقادين له وما لم يبلغه الرسول إليكم فلا تسألوا عنه ولا تخوضوا فيه[٥].

---

(١) التفسير الكبير ١٢/ ٩٩.

(٢) أبو سعود ٣/ ٨٣.

(٣) أبو سعود ٣/ ٨٣.

(٤) أبو سعود ٣/ ٨٣.

(٥) التفسير الكبير ١٢/ ١٠٤.

قوله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ ﴾ الخ [المائدة:١٠٣] .

قال المسكين: آخذًا من أبي السعود: رد وإبطال لما ابتدعه أهل الجاهلية إثر إبطال بعض أعمالهم من تناولهم الخمر والميسر وغيرهما[(١)] .

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ ﴾ الخ [المائدة:١٠٥] .

لما بين التكاليف والشرائع والأحكام ثم قال: ما على الرسول إلا البلاغ إلى قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ ﴾ [المائدة:١٠٤] الخ فكأنه تعالى قال: إن هؤلاء الجهال مع ما تقدم من أنواع المبالغة في الأعذار والإنذار والترغيب لم ينتفعوا بشيء منه بل بقوا مصرين على جهلهم مجدين على جهالاتهم وضلالتهم فلا تبالوا أيها المؤمنون بجهالاتهم وضلالاتهم بل كونوا منقادين لتكاليف الله مطيعين لأوامره ونواهيه فلا يضركم ضلالتهم وجهالتهم[(٢)] .

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ ﴾ الخ [المائدة:١٠٦] .

قال أبو السعود: استيناف مسوق لبيان الأحكام المتعلقة بأمور دنياهم إثر بيان الأحوال المتعلقة بأمور دينهم[(٣)] .

قوله تعالى: ﴿ ۞ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ ﴾ الخ [المائدة:١٠٩] .

اعلم أن عادة الله تعالى جارية في هذا الكتاب الكريم أنه إذا ذكر أنواعًا كثيرة من الشرائع والتكاليف والأحكام أتبعها إما بالإلهيات وإما بشرح أحوال الأنبياء أو بشرح أحوال القيامة ليصير ذلك مؤكدًا لما تقدم ذكره من التكاليف والشرائع فلا

---

(١) أبو سعود٣/ ٨٦ .

(٢) التفسير الكبير ١٢/ ١١١ .

(٣) أبو سعود ٣/ ٨٨ .

جرم لما ذكر فيها تقدم أنواعًا كثيرة من الشرائع اتبعها بوصف أحوال القيامة أولا ثم ذكر أحوال عيسى عليه السلام[(١)].

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ الخ [المائدة:١١٠].

اعلم أنا بينا أن الغرض من قوله للرسل: ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٩] توبيخ من تمرد أممهم وأشد الأمم افتقارًا إلى التوبيخ والملامة النصارى لأن طعن سائر الأمم كان مقصورًا على الأنبياء وطعن هؤلاء تعدي إلى جلال الله وكبرياءه فلا جرم ذكر تعالى أنه يعدد أنواع نعمه على عيسى فإن كل واحدة من تلك النعم المعدودة تدل على أنه عبد وليس باله[(٢)].

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ الخ [المائدة:١١٢].

قال أبو السعود: كلام مستأنف مسوق لبيان بعض ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه منقطع عما قبله[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ﴾ الخ [المائدة:١١٦].

قال أبو السعود: أي أذكر وقت قول الله تعالى له عليه السلام في الآخرة توبيخًا للكفرة وتبكيتًا لهم بإقراره عليه السلام على رؤوس الأشهاد بالعبودية وأمره لهم بعبادته عز وجل[(٤)].

قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ﴾ الخ [المائدة:١١٩].

قال أبو السعود: كلام مستأنف ختم به حكاية ما حكى لما يقع يوم يجمع الله

---

(١) التفسير الكبير ١٢/ ١٢١، ١٢٢.

(٢) التفسير الكبير ١٢/ ١٢٤.

(٣) أبو سعود ٣/ ٩٦.

(٤) أبو سعود٣/ ١٠٠.

الرسل عليهم الصلاة والسلام وأشير إلى نتيجته ومآله[١] .

قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الخ [المائدة: ١٢٠] .

إن السورة اشتملت على أنواع كثيرة من العلوم فمنها بيان الشرائع والأحكام والتكاليف، ومنها المناظرة مع اليهود في إنكارهم شريعة محمد عليه الصلاة والسلام ومنها المناظرة مع النصارى في قولهم بالتثليث فختم السورة بهذه النكتة الوافية إثبات كل هذه المطالب[٢] .

***

(١) أبو سعود ٣/ ١٠٢ .

(٢) التفسير الكبير ١٢/ ١٣٩ .

سورة الأنعام

وجه المناسبة بين أولها وآخر سابقها أن كليهما مشترك في إثبات التوحيد[١].

قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ الخ [الأنعام:١].

قال المسكين: آخذا من أبي السعود: بيان لموجبات توحيده وبطلان إشراكهم به مع معاينتهم لها[٢].

قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾ الخ [الأنعام:٢].

قال أبو السعود: استيناف مسوق لبيان بطلان كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لما يوجب الإيمان به إثر بطلان إشراكهم به تعالى مع معاينتهم لموجبات توحيده[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ ﴾ الخ [الأنعام:٣].

قال أبو السعود: جملة مسوقة لبيان شمول أحكام إلهيته تعالى لجميع المخلوقات وإحاطة علمه بتفاصيل أحوال العباد وأعمالهم المؤدية إلى الجزاء إثر الإشارة إلى تحقق المعاد[٤].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ ﴾ الخ [الأنعام:٤].

قال أبو السعود: كلام مستأنف وراد لبيان كفرهم بآيات الله وإعراضهم عنها بالكلية بعد ما بين في الآية الأولى إشراكهم بالله سبحانه وإعراضهم عن بعض آيات

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) أبو سعود ٣/ ١٠٦.

(٣) أبو سعود ٣/ ١٠٦.

(٤) أبو سعود ٣/ ١٠٧.

التوحيد وفي الآية الثانية امترائهم في البعث وإعراضهم عن بعض آياته[١].

قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ ﴾ الخ [الأنعام:٥].

قال أبو السعود: فإن الحق عبارة عن القرآن الذي أعرضوا عنه، حين أعرضوا عن كل آية آية منه عبر عنه بذلك إبانة لكمال قبح ما فعلوا به فإن تكذيب الحق مما لا يتصور صدوره عن أحد[٢].

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا ﴾ الخ [الأنعام:٦].

اعلم أن الله تعالى لما منعهم عن ذلك الإعراض والتكذيب والاستهزاء بالتهديد والوعيد اتبعه بما يجري مجرى الموعظة والنصيحة في هذا الباب فوعظهم بسائر القرون الماضية كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ﴾ الخ [الأنعام:٧].

قال أبو السعود: جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين العذاب لبيان شدة شكيمتهم في المكابرة وما يتفرع عليها من الأقاويل الباطلة إثر بيان إعراضهم عن آيات الله وتكذيبهم بالحق واستحقاقهم بذلك لنزول العذاب ونسبة التنزيل ههنا إليه عليه الصلاة والسلام مع نسبة إتيان الآيات ومجيء الحق فيما سبق إليهم للإشعار بقدحهم في نبوته ﷺ في ضمن قدحهم فيما نزل عليه صريحًا[٤].

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ ﴾ الخ [الأنعام:٨].

---

(١) أبو سعود ٣/ ١٠٩.

(٢) أبو سعود ٣/ ١٠٩.

(٣) التفسير الكبير ١٢/ ١٦١.

(٤) أبو سعود ٣/ ١١٢.

قال أبو السعود: شروع في قدحهم في نبوته عليه الصلاة والسلام صريحًا بعد ما أشير إلى قدحهم فيها ضمنًا[١].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ ﴾ الخ [الأنعام:١٠].

قال أبو السعود: تسلية لرسول الله ﷺ عما يلقاه من قومه[٢].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا ﴾ الخ [الأنعام:١١].

قال أبو السعود: بعد بيان ما فعلت الأمم الخالية وما فعل بهم خوطب رسول الله ﷺ بإنذار قومه وتذكيرهم بأحوالهم الفظيعة تحذيرًا لهم عما هم عليه وتكملة لتسليته بما في ضمنه من العدة اللطيفة بأنه سيحيق بهم مثل ما حاق بأضرابهم الأولين[٣].

قوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ الخ [الأنعام:١٢].

قال المسكين: عود إلى تقرير التوحيد وإبطال الشرك.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ﴾ الخ [الأنعام:١٩].

قال أبو السعود: روي أن قريشًا قالوا لرسول الله ﷺ يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس عندهم ذكر (لك) ولا صفة فأرنا من يشهد لك أنك رسول الله فنزلت[٤].

قال المسكين: فهو عود إلى الجواب عن قدحهم في النبوة.

---

(١) أبو سعود ٣/ ١١٢.

(٢) أبو سعود ٣/ ١١٤.

(٣) أبو سعود ٣/ ١١٤.

(٤) أبو سعود ٣/ ١١٨.

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ﴾ الخ [الأنعام:٢٠] .

قال أبو السعود: جواب عما سبق من قولهم لقد سألنا عنك[١] .

قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ الخ [الأنعام:٢١] .

لما حكم على أولئك بالخسران بين سبب الخسران[٢] .

قوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ ﴾ الخ [الأنعام:٢٢] .

قال المسكين: بيان حال أهل الشرك يوم الجزاء.

قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ ﴾ الخ [الأنعام:٢٥] .

قال أبو السعود: كلام مبتدأ مسوق لحكاية ما صدر في الدنيا عن بعض المشركين من أحكام الكفر ثم بيان ما سيصدر عنهم يوم الحشر تقريرًا لما قبله وتحقيقًا لمضمونه[٣] .

قوله تعالى: ﴿ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾ الخ [الأنعام:٢٦] .

قال المسكين: بيان لسعيهم في كفر غيرهم مع كفر أنفسهم.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ الخ [الأنعام:٢٧] .

قال أبو السعود: شروع في حكاية ما سيصدر عنهم يوم القيامة من القول المناقض لما صدر عنهم في الدنيا من القبائح المحكية مع كونه كذبًا في نفسه[٤] .

---

(١) أبو سعود ٣/ ١١٨ .

(٢) التفسير الكبير ١٢/ ١٨١ .

(٣) أبو سعود:٣/ ١٢١ .

(٤) أبو سعود ٣/ ١٢٢ .

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ ﴾ الخ [الأنعام:٢٩] .

قال المسكين: هذا توطئة لما سيأتي من قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ ﴾ الخ [الأنعام:٣٠] بين في هذه الآية كيفية حالهم في القيامة.

قوله تعالى: ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ ﴾ الخ [الأنعام:٣١] .

اعلم أن المقصود من هذه الآية شرح حالة أخرى من أحوال منكري البعث والقيامة وهي أمران أحدهما حصول الخسران والثاني حمل الأوزار العظيمة(١) .

قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ ﴾ الخ [الأنعام:٣٢] .

قال أبو السعود: استيناف مسوق لتسلية رسول الله ﷺ عن الحزن الذي يعتريه مما حكى عن الكفرة من الإصرار على التكذيب والمبالغة فيه ببيان أنه عليه السلام بمكانة من الله لا وأن ما يفعلون في حقه فهو راجع إليه تعالى في الحقيقة وأنه ينتقم منهم لا محالة أشد انتقام(٢) .

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ ﴾ الخ [الأنعام:٣٤] .

قال أبو السعود: افتنان في تسليته عليه الصلاة والسلام فإن عموم البلية ربما يهون أمرها بعض تهوين وإرشاد له عليه الصلاة والسلام إلى الاقتداء بمن قبله من الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام في الصبر على ما أصابهم من أممهم من فنون الأذية وعدة ضمنية له عليه الصلاة والسلام بمثل ما منحوه من النصر(٣) .

قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ ﴾ الخ [الأنعام:٣٥] .

---

(١) التفسير الكبير ١٢/ ١٩٦ .

(٢) أبو سعود ٣/ ١٢٦ .

(٣) أبو سعود ٣/ ١٢٧ .

قال أبو السعود: كلام مستأنف مسوق لتاكيد إيجاب الصبر المستفاد من التسلية ببيان أنه أمر لا محيد عنه أصلًا(١).

قوله تعالى: ﴿ ۞إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ﴾ الخ [الأنعام:٣٦].

اعلم أنه تعالى بين السبب في كونهم بحيث لا يقبلون الإيمان ولا يتركون الكفر(٢).

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ ﴾ الخ [الأنعام:٣٧].

قال أبو السعود: حكاية لبعض آخر من أباطيلهم بعد حكاية ما قالوا في حق القرآن الكريم وبيان ما يتعلق به(٣).

قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ الخ [الأنعام:٣٨].

لما قدم ذكر الكفار وبين أنهم يرجعون إلى الله ويحشرون بين أيضًا بعده بقوله: وما من دابة الخ أنهم يحشرون والمقصود بيان أن الحشر والبعث كما هو حاصل في حق الناس فهو أيضًا حاصل في حق البهائم(٤).

قال المسكين: فالمراد تفظيع شأن الحشر.

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ ﴾ الخ [الأنعام:٣٩].

قال المسكين: بيان لجهلهم وعنادهم مع إقامة البراهين الملجئة.

قوله تعالى: ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ ﴾ الخ [الأنعام:٣٩].

---

(١) أبو سعود ٣/ ١٢٨.

(٢) التفسير الكبير ١٢/ ٢٠٧.

(٣) أبو سعود ٣/ ١٣٠.

(٤) التفسير الكبير ١٢/ ٢١٢.

قال أبو السعود: تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم ببيان أنهم من أهل الطبع لا يتأتى منهم الإيمان أصلًا(١) .

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ ﴾ الخ [الأنعام:٤٠] .

قال أبو السعود: أمر لرسول الله ﷺ بأن يبكتهم ويلقمهم الحجر بما لا سبيل لهم إلى النكير(٢) .

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ ﴾ الخ [الأنعام:٤٢] .

اعلم أنه تعالى بين في الآية الأولى أن الكفار عند نزول الشدائد يرجعون إلى الله تعالى ثم بين في هذه الآية أنهم لا يرجعون إلى الله عند كل ما كان من جنس الشدائد بل قد يبقون مصرين على الكفر منجمدين عليه غير راجعين إلى الله لأ(٣) .

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ الخ [الأنعام:٤٤] .

اعلم أن هذا الكلام من تمام القصة الأولى(٤) .

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ ﴾ الخ [الأنعام:٤٦] .

قال أبو السعود: أمر لرسول الله ﷺ بتكرير التبكيت عليهم وتثنية الإلزام الأول(٥) .

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً ﴾ الخ [الأنعام:٤٧] .

---

(١) أبو سعود ٣/ ١٣٢ .

(٢) أبو سعود ٣/ ١٣٢ .

(٣) التفسير الكبير ١٢/ ٢٢٤ .

(٤) التفسير الكبير ١٢/ ٢٢٥ .

(٥) أبو السعود ٣/ ١٣٤ .

قال أبو السعود: تبكيت آخر لهم بالجائهم إلى الاعتراف باختصاص العذاب بهم[(١)].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ الخ [الأنعام:٤٨].

قال ابو السعود: كلام مستأنف مسوق لبيان منصب الرسالة علي الإطلاق وتحقيق ما في عهدة الرسل عليهم السلام وإظهار ما يقترحه الكفرة عليه عليه الصلاة والسلام ليس مما يتعلق بالرسالة أصلاً[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ ﴾ الخ [الأنعام:٥٠].

قال أبو السعود: استيناف مبني على ما أسس من السنة الإلهية في شأن إرسال الرسل وإنزال الكتب مسوق لإظهار تبريته عليه الصلاة والسلام عما يدور عليه مقترحاتهم[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ الخ [الأنعام:٥١].

قال أبو السعود: بعد ما حكي لرسول الله ﷺ أن من الكفرة قومًا لا يتعظون ولا يتأثرون أمر علي الصلاة والسلام بتوجيه الإنذار إلى من يتوقع منهم التأثر في الجملة[(٤)].

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ ﴾ الخ [الأنعام:٥٢].

قال أبو السعود: لما أمر رسول الله ﷺ بإنذار المذكورين لينتظموا في سلك

---

(١) أبو سعود ٣/ ١٣٤.

(٢) أبو سعود ٣/ ١٣٥.

(٣) أبو سعود ٣/ ١٣٦.

(٤) أبو سعود ٣/ ١٣٧.

المتقين نهي ﷺ عن كون ذلك بحيث يؤدي إلى طردهم[١].

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا ﴾ الخ [الأنعام:٥٣].

قال أبو السعود: استيناف مبين لما نشأ عنه ما سبق من النهي (وذلك إشارة إلى مصدر ما بعده من الفصل الذي هو عبارة عن)[٢] تقديمه تعالى لفقراء المؤمنين في أمر الدين بتوفيقهم للإيمان مع ما هم عليه في أمر الدنيا من كمال سوء الحال[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ﴾ الخ [الأنعام:٥٤].

قال المسكين: أمر بتقريبهم إثر النهي عن تبعيدهم.

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ﴾ الخ [الأنعام:٥٥].

قال المسكين: بيان لعادته المستمرة في تفصيل المهمات إثر التفصيل المذكور.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ ﴾ الخ [الأنعام:٥٦].

قال أبو السعود: أمر عليه الصلاة والسلام بالرجوع إلى مخاطبة المصرين على الشرك إثر ما أمر بمعاملة من عداهم من أهل الإنذار والتبشير بما يليق بحالهم[٤].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ﴾ الخ [الأنعام:٥٧].

قال أبو السعود: تحقيق للحق الذي عليه رسول الله ﷺ وبيان لاتباعه إياه إثر إبطال الباطل الذي عليه الكفرة وبيان عدم اتباعه له[٥].

---

(١) أبو سعود ٣/ ١٣٨ .

(٢) وما بين القوسين زيد من أصل أبي السعود .

(٣) أبو سعود ٣/ ٢٣٩ .

(٤) أبو سعود ٣/ ١٤١ .

(٥) أبو سعود ٣/ ١٤١ .

قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ الخ [الأنعام:٥٨].

قال أبو السعود: استيناف مبين لخطأهم في شأن ما جعلوه منشأ لتكذيبهم بها وهو عدم مجيئ ما وعد فيها من العذاب الذي كانوا يستعجلونه[١].

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ﴾ الخ [الأنعام:٥٩].

قال أبو السعود: بيان لاختصاص المقدورات به تعالى من حيث العلم إثر بيان اختصاص كلها به تعالى من حيث القدرة[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم ﴾ الخ [الأنعام:٦٠].

اعلم أنه تعالى لما بين كمال علمه بالآية الأولى بين كمال قدرته بهذه الآية[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ الخ [الأنعام:٦١].

اعلم أن هذا نوع آخر من الدلائل الدالة على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته[٤].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم ﴾ الخ [الأنعام:٦٣].

قال أبو السعود: أي قل لهم تقريرًا لهم بانحطاط شركائهم عن رتبة الإلهية[٥].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ ﴾ الخ [الأنعام:٦٥].

---

(١) أبو سعود ٣/ ١٤٢ .

(٢) أبو سعود ٣/ ١٤٣ .

(٣) التفسير الكبير ١٣/ ١٢ .

(٤) التفسير الكبير ١٣/ ١٣ .

(٥) أبو سعود ٣/ ١٤٥ .

قال أبو السعود: استيناف مسوق لبيان أنه تعالى هو القادر على إلقائهم في المهالك إثر بيان أنه هو المنجي لهم منها وفيه وعيد ضمني بالعذاب لإشراكهم[١].

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ ﴾ الخ [الأنعام:٦٦].

قال أبو السعود: إيذان لعتوهم ومكابرتهم[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ ﴾ الخ [الأنعام:٦٨].

اعلم أنه تعالى في الآية الأولى بين أن الذين يكذبون بهذا الدين فإنه لا يجب على الرسول أن يلازمهم وأن تكون حفيظًا عليهم ثم بين في هذه الآية أن أولئك المكذبين إن ضمنوا إلى كفرهم وتكذيبهم الاستهزاء بالدين والطعن في الرسول فإنه يجب الاحتراز عن مقارنتهم وترك مجالستهم[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ الخ [الأنعام:٦٩].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال المسلمون: لئن كنا كلما استهزأ المشركون بالقرآن وخاضوا فيه قمنا عنهم لما قدرنا على أن نجلس في المسجد الحرام وأن نطوف بالبيت فنزلت هذه الآية وخصت الرخصة فيها للمؤمنين بأن يقعدوا معهم ويذكرونهم ويفهمونهم[٤].

قوله تعالى: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ﴾ الخ [الأنعام:٧٠].

قال المسكين: بيان لسوء حالهم في ضمن الأمر بالإعراض عنهم وتذكير لهم

---

(١) أبو سعود ٣/ ١٤٦.

(٢) أبو سعود ٣/ ١٤٦.

(٣) التفسير الكبير ١٣/ ٢٤.

(٤) التفسير الكبير ١٣/ ٢٦.

بالقرآن.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الخ [الأنعام:٧١].

اعلم أن المقصود من هذه الآية الرد على عبدة الأصنام وهو مؤكدة لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ ﴾ [الأنعام:٥٦][(١)].

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ الخ [الأنعام:٧٣].

اعلم أنه تعالى لما بين في الآيات المتقدمة فساد طريق عبدة الأصنام ذكر ههنا ما يدل على أنه لا معبود إلا الله وحده[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ﴾ الخ [الأنعام:٧٤].

اعلم أنه سبحانه وتعالى كثيرًا يحتج على مشركي العرب بأحوال إبراهيم عليه الصلاة والسلام[(٣)].

قال أبو السعود: الذي يدعون أنهم على ملته[(٤)].

قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ﴾ الخ [الأنعام:٨٣].

اعلم أنه تعالى لما حكي عن إبراهيم عليه السلام أنه أظهر حجة الله تعالى في التوحيد ونصرها وذب عنها عدد وجوه نعمه وإحسانه عليه فأولها قوله تعالى: وتلك حجتنا وثانيها أنه تعالى خصه بالرفعة وثالثها أنه جعله عزيزًا في الدنيا وذلك لأنه تعالى

---

(١) التفسير الكبير ١٣/ ٢٩.

(٢) التفسير الكبير ١٣/ ٣١.

(٣) التفسير الكبير ١٣/ ٣٤.

(٤) أبو سعود ٣/ ١٥١.

جعل أشرف الناس – وهم الأنبياء والرسل – من نسله وذريته[١].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ الخ [الأنعام:٩١].

اعلم أنا ذكرنا أن مدار أمر القرآن على إثبات التوحيد والنبوة والمعاد وأنه تعالى لما حكى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه ذكر دليل التوحيد وإبطال الشرك وقرر تعالى ذلك الدليل بالوجوه الواضحة شرع بعده في تقرير أمر النبوة[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ الخ [الأنعام:٩٢].

اعلم أنه تعالى لما أبطل بالدليل قول من قال: ما أنزل الله على بشر من شيء ذكر بعده أن القرآن كتاب الله أنزله الله تعالى على محمد عليه الصلاة والسلام[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾ الخ [الأنعام:٩٣].

اعلم أنه تعالى لما شرح كون القرآن كتابًا نازلًا من عند الله ذكر عقيبه ما يدل على وعيد من ادعى النبوة والرسالة على سبيل الكذب والافتراء[٤].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ ﴾ الخ [الأنعام:٩٤].

قال المسكين: توبيخ لهم من الله تعالى بعد التوبيخ من الملائكة.

قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ الخ [الأنعام:٩٥].

اعلم أنه تعالى لما تكلم في التوحيد ثم أردفه بتقرير أمر النبوة ثم تكلم في بعض

---

(١) التفسير الكبير ١٣/ ٦٣.

(٢) التفسير الكبير ١٣/ ٧٢.

(٣) التفسير الكبير ١٣/ ٨٠.

(٤) التفسير الكبير ١٣/ ٨٣.

تفاريع هذا الأصل عاد ههنا إلى ذكر الدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وحكمته تنبيهًا على أن المقصود الأصلي من جميع المباحث العقلية والنقلية وكل المطالب الحكمية إنما هو معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وأفعاله(١).

قوله تعالى: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ الخ [الأنعام:٩٦].

هذا نوع آخر من الدلائل(٢).

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ﴾ الخ [الأنعام:٩٧].

هذا هو النوع الثالث من الدلائل(٣).

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم ﴾ الخ [الأنعام:٩٨].

هذا نوع رابع من الدلائل(٤).

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ﴾ الخ [الأنعام:٩٩].

هذا النوع الخامس(٥).

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ الخ [الأنعام:١٠٠].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما ذكر هذه البراهين الخمسة من دلائل العالم الأسفل والعالم الأعلى على ثبوت الإلهية وكمال القدرة والرحمة ذكر بعد ذلك أن من الناس

---

(١) التفسير الكبير ١٣/ ٨٩.

(٢) التفسير الكبير ١٣/ ٩٤.

(٣) التفسير الكبير ١٣/ ١٠٠.

(٤) التفسير الكبير ١٣/ ١٠٢.

(٥) التفسير الكبير ١٣/ ١٠٥.

من أثبت لله شركاء[1].

قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الخ [الأنعام:١٠١].

اعلم أنه تعالى لما بين فساد قول المشركين شرع في إقامة الدلائل على فساد قول من يثبت له الولد[2].

قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ الخ [الأنعام:١٠٢].

قال المسكين: كأنه فذلكة لجميع ما سبق مبينة لتوحده وعظمته.

قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ ﴾ الخ [الأنعام:١٠٤].

قال المسكين: بيان لفخامة الآيات المذكورة الدالة على تحقيق الحق وإبطال الباطل.

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ﴾ الخ [الأنعام:١٠٥].

قال المسكين: بيان لحسن تصريف الآيات وضلال بعض وهداية بعض.

قوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ ﴾ الخ [الأنعام:١٠٦].

قال المسكين: أمر له ﷺ بالثبات على تلك الآيات إثر بيان فخامتها وحسن تصريفها وقدح المشركين فيها وبعدم الاعتداد بهم وبأباطيلهم.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ الخ [الأنعام:١٠٧].

قال المسكين: كأنه تسلية له ﷺ في إشراكهم معرضين عن الآيات.

---

(١) التفسير الكبير ١٣/ ١١٢.

(٢) التفسير الكبير ١٣/ ١١٨.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ الخ [الأنعام:١٠٨] .

قال المسكين: لما ذكر في الآيات السابقة جهلهم وعنادهم فلا يبعد أن يغضب بعض المسلمين ويشتمونهم وآلهتهم فنهي الله تعالى عنه.

قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ ﴾ الخ [الأنعام:١٠٩] .

لما ذكر فيما قبل أن الآيات المنزلة لم تنفع المشركين ذكر ههنا أنهم طلبوا الآيات المقترحة تعصبًا وعنادًا وذكر جوابه(١) .

قوله تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ ﴾ الخ [الأنعام:١١٠] .

قال المسكين: مقرر لمضمون الجواب المذكور.

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ﴾ الخ [الأنعام:١١١] .

اعلم أنه تعالى بين في هذه الآية تفصيل ما ذكره على سبيل الإجمال بقوله: ما يشعركم(٢) .

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا ﴾ الخ [الأنعام:١١٢] .

قال أبو السعود: كلام مبتدأ مسوق لتسلية رسول الله ﷺ عما كان يشاهده(٣) .

وقال المسكين: من إعراضهم عن الآيات الإلهية وإصغائهم إلى زخرف القول.

قوله تعالى: ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ ﴾ الخ [الأنعام:١١٣] .

قال المسكين: هو متمم للآية الأولى.

---

(١) ما وجدته في الكبير ولا في أبي السعود ولم ينسبه المؤلف إلى نفسه، فالله أعلم من أين هذا .

(٢) التفسير الكبير ١٣/ ١٤٩ .

(٣) أبو سعود ٣/ ١٧٥ .

قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ الخ [الأنعام:١١٤].

اعلم أنه تعالى كما حكى عن الكفار أنهم أقسموا الخ وأجاب عنه بأنه لا فائدة في إظهار تلك الآيات لأنه تعالى لو أظهرها لبقوا مصرين على كفرهم ثم إنه تعالى بين في هذه الآية أن الدليل الدال على نبوته قد حصل وكمل فكان ما يطلبونه طلبًا للزيادة وذلك مما لا يجب الالتفات إليه، وإنما قلنا أن الدليل على نبوته قد حصل بوجهين الأول قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الأنعام:١١٤] والثاني قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الأنعام:١١٤][1].

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الخ [الأنعام:١١٤].

قال أبو السعود: كلام مستأنف غير داخل تحت القول المقدر مسوق من جهته تعالى لتحقيق حقية الكتاب الذي نيط به امر الحكمة[2].

قال المسكين: ولعل هذا هو الأقرب لأن الكلام في تحقيق كون الآيات حقة صادقة لا في أمر النبوة.

قوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ الخ [الأنعام:١١٥].

قال أبو السعود: شروع في بيان كمال الكتاب المذكور من حيث ذاته إثر بيان كماله من حيث إضافته إليه تعالى بكونه منزلا منه بالحق وتحقيق ذلك بعلم أهل الكتاب به[3].

قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ الخ [الأنعام:١١٦].

---

(١) التفسير الكبير ١٣/ ١٥٩.

(٢) أبو سعود ٣/ ١٧٧.

(٣) أبو سعود ٣/ ١٧٨.

قال المسكين: تحذير عن اتباع من أعرض عن الآيات التامة الصادقة العادلة.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ ﴾ الخ [الأنعام:١١٧] .

قال المسكين: تقرير لما قبله أي لما كان الله تعالى عالمًا بالواقع فمن حكم عليه بالضلال فهو ضال لاشك.

قوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ الخ [الأنعام:١١٨] .

قال أبو السعود: أمر مرتب على النهي عن اتباع المضلين الذين من جملة إضلالهم تحليل الحرام وتحريم الحلال(١) .

قال المسكين: أي خلاف الآيات.

قوله تعالى: ﴿ وَذَرُوا ﴾ الخ [الأنعام:١٢٠] .

اعلم أنه تعالى لما بين أنه فصل المحرمات اتبعه بما يوجب تركها بالكلية(٢) .

قوله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا ﴾ الخ [الأنعام:١٢٢] .

اعلم أنه تعالى لما ذكر في الآية الأولى أن المشركين يجادلون المؤمنين في دين الله ذكر مثلًا يدل على حال المؤمن المهتدي وعلى حال الكافر الضال الخ(٣) .

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا ﴾ الخ [الأنعام:١٢٣] .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ ﴾ الخ [الأنعام:١٢٤] .

قال المسكين: رجوع إلى بيان حال المعرضين عن الآيات المصرين على

---

(١) أبو سعود ٣/ ١٧٩ .

(٢) التفسير الكبير ١٣/ ١٦٧ .

(٣) التفسير الكبير ١٣/ ١٧٠ .

الجهالات.

قوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ ﴾ الخ [الأنعام:١٢٥].

قال المسكين: بيان أن الانتفاع بالآيات بمحض فضل الله تعالى فلا فائدة في إظهار مقترحاتهم.

قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ ﴾ الخ [الأنعام:١٢٦].

قال المسكين: بيان لكون مدلول الآيات حقا نافعًا للمتذكرين المستحقين لدار السلام وولاية الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ الخ [الأنعام:١٢٨].

اعلم أنه تعالى لما بين حال من يتمسك بالصراط المستقيم بين بعده حال من يكون بالضد من ذلك لتكون قصة أهل الجنة مردفة بقصة أهل النار[١].

قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ الخ [الأنعام:١٣٠].

قال أبو السعود: شروع في حكاية ما سيكون من توبيخ المشركين وتقريعهم بتفريطهم فيما يتعلق بخاصة أنفسهم إثر حكاية توبيخ معشر الجن بإغواء الإنس وإضلالهم وبيان مآل أمرهم[٢].

قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن ﴾ الخ [الأنعام:١٣١].

اعلم أنه تعالى لما بين أنه ما عذب الكفار إلا بعد أن بعث إليهم الأنبياء والرسل بين بهذه الآية أن هذا هو العدل والحق[٣].

---

(١) التفسير الكبير ١٣/ ١٩٠.

(٢) أبو سعود ٣/ ١٨٥.

(٣) التفسير الكبير ١٣/ ١٩٦.

قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ ﴾ الخ [الأنعام:١٣٢] .

اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال أهل الثواب والدرجات وأحوال أهل العقاب والدركات ذكر كلامًا كليًا[١] .

قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ﴾ الخ [الأنعام:١٣٣] .

بين أن تخصيص المطيعين بالثواب والمذنبين بالعذاب ليس لأجل أنه محتاج إلى طاعة المطيعين أو ينتقص بمعصية المذنبين[٢] .

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ ﴾ الخ [الأنعام:١٣٥] .

اعلم أنه لما بين بقوله: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات:٥] أمر رسوله من بعده أن يهدّد من ينكر البعث من الكفار[٣] .

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ ﴾ الخ [الأنعام:١٣٦] .

اعلم أنه تعالى لما بين قبح طريقتهم في إنكارهم البعث والقيامة ذكر عقيبه أنواعًا من جهالاتهم وركاكات أقوالهم[٤] .

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ ﴾ الخ [الأنعام:١٣٧] .

اعلم أن هذا هو النوع الثاني من أحكامهم الفاسدة ومذاهبهم الباطلة[٥] .

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ ﴾ الخ [الأنعام:١٣٨] .

---

(١) التفسير الكبير ١٣/ ١٩٦ .

(٢) التفسير الكبير ١٣/ ١٩٩ .

(٣) التفسير الكبير ١٣/ ٢٠٣ .

(٤) التفسير الكبير ١٣/ ٢٠٤ .

(٥) التفسير الكبير ١٣/ ٢٠٥ .

اعلم أن هذا هو نوع ثالث من أحكامهم الفاسدة[(١)] .

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَا فِى ﴾ الخ [الأنعام:١٣٩] .

هذا نوع رابع من أنواع قضاياهم الفاسدة[(٢)] .

قوله تعالى : ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ ﴾ الخ [الأنعام:١٤١] .

قال أبو السعود: تمهيد لما سيأتي من تفصيل أحوال الأنعام أي هو الذي أنشأهن من غير شركة لأحد في ذلك بوجه من الوجوه[(٣)] .

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً ﴾ الخ [الأنعام:١٤٢] .

قال أبو السعود: شروع في تفصيل حال الأنعام وإبطال ما تقولوا على الله تعالى في شأنها بالتحريم والتحليل[(٤)] .

قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ ﴾ الخ [الأنعام:١٤٧] .

اعلم أنه تعالى لما بين فساد طريقة أهل الجاهلية فيما يحل ويحرم من المطعومات اتبعه بالبيان الصحيح في هذا الباب[(٥)] .

قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ الخ [الأنعام:١٤٨] .

قال أبو السعود: حكاية لفن آخر من كفرهم[(٦)] .

---

(١) التفسير الكبير ١٣/ ٢٠٧ .

(٢) التفسير الكبير ١٣/ ٢٠٨ .

(٣) أبو سعود ٣/ ١٩١ .

(٤) أبو سعود ٣/ ١٩٢ .

(٥) التفسير الكبير ١٣/ ٢١٩ .

(٦) أبو سعود ٣/ ١٩٦ .

قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ﴾ الخ [الأنعام:١٥٠] .

اعلم أنه تعالى لما أبطل على الكفار جميع أنواع حججهم بين أنه ليس لهم على قولهم شهود البتة[١] .

قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا ﴾ الخ [الأنعام:١٥١] .

اعلم أنه تعالى لما بين فساد ما يقوله الكفار أن الله حرم علينا كذا وكذا أردفه ببيان الأشياء التي حرمها عليهم[٢] .

قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى ﴾ الخ [الأنعام:١٥٣] .

اعلم انه تعالى لما بين في الآيتين المتقدمتين ما وصى به أجمل في آخره إجمالًا يقتضي دخول ما تقدم فيه ودخول سائر الشريعة فيه[٣] .

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ﴾ الخ [الأنعام:١٥٤] .

قال أبو السعود: كلام مسوق من جهته تعالى تقريرًا للوصية وتحقيقًا لها وتمهيدًا لما يعقبه من ذكر إنزال القرآن المجيد كما ينبيئ عنه تغيير الأسلوب بالالتفات إلى التكلم[٤] .

قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ الخ [الأنعام:١٥٨] .

اعلم أنه تعالى لما بين أنه إنما أنزل الكتاب إزالة للعذر وإزاحة للعلة بين أنهم لا

---

(١) التفسير الكبير ١٣/ ٢٣٠ .

(٢) التفسير الكبير ١٣/ ٢٣١ .

(٣) التفسير الكبير ١٤/ ٣١ .

(٤) أبو سعود ٣/ ٢٠٠ .

يؤمنون البتة وشرح أحوالا توجب الياس عن دخولهم في الإيمان[١].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ ﴾ الخ [الأنعام:١٥٩].

قال أبو السعود: استيناف لبيان أحوال أهل الكتابين إثر بيان أحوال المشركين[٢].

قوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾ الخ [الأنعام:١٦٠].

قال أبو السعود: استيناف مبين لمقادير أجزية العاملين (المدلولة عليها بقوله فيما قبل ينبأهم بما كانوا يفعلون)[٣].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي ﴾ الخ [الأنعام:١٦١].

قال أبو السعود: أمر رسول الله ﷺ بأن يبين لهم ما هو عليه من الدين الحق الذي يدعون أنهم عليه وقد فارقوه بالكلية[٤].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي ﴾ الخ [الأنعام:١٦٢].

قال أبو السعود: أعيد الأمر لما أن المأمور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق بأصولها[٥].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى ﴾ الخ [الأنعام:١٦٤].

اعلم أنه تعالى لما أمر محمدًا ﷺ بالتوحيد المحض أمره بأن يذكر ما يجري مجرى

---

(١) التفسير الكبير ١٤/ ٦.

(٢) أبو سعود ٣/ ٢٠٦.

(٣) أبو سعود ٣/ ٢٠٦ وما بين القوسين من الهامش.

(٤) أبو سعود ٣/ ٢٠٦.

(٥) أبو سعود ٣/ ٢٠٧.

الدليل على صحة هذا التوحيد ثم بين أنه لا يرجع إليه من كفرهم وشركهم ذم ولا عقاب ثم بين تعالى أن رجوع هؤلاء المشركين إلى موضع لا حاكم فيه ولا آمر إلا الله تعالى[١].

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ ﴾ الخ [الأنعام:١٦٥].

قال المسكين: بين في هذه الآية الأمور الحاملة على امتثال جميع الأوامر من النعم والاجتناب عن جميع النواهي من النقم فكأنها تأكيد وتقرير لجميع ما في السورة مع غيرها، والله أعلم.

***

(١) التفسير الكبير ١٤/ ١٢.

سورة الأعراف

لما بين في آخر السورة المتقدمة مسلك النبي ﷺ وما هو عليه من الدين الحق بقوله: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأنعام:١٦١] أمر في أول هذه السورة بتبليغ دينه ذلك إلى الناس وأيضًا كان المذكور في خاتمة السورة الأولى كونه تعالى سريع الحساب وذكر في أول هذه السورة سوال الأمم والأنبياء والوزن فحصلت المناسبة بهذين الوجهين[1].

قوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ ﴾ الخ [الأعراف:٣].

اعلم أن أمر الرسالة إنما يتم بالمرسِل (بالكسر) وهو الله سبحانه وتعالى، والمرسَل –بالفتح– وهو الرسول، والمرسل إليه وهو الأمة فلما أمر في الآية الأولى الرسول بالتبليغ والإنذار مع قلب قوى وعزم صحيح أمر المرسَل إليه وهو الأمة بمتابعة الرسول[2].

قوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾ الخ [الأعراف:٤].

اعلم أنه تعالى لما أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بالإنذار والتبليغ وأمر القوم بالقبول والمتابعة ذكر في هذه الآية ما في ترك المتابعة والإعراض عنها من الوعيد[3].

قوله تعالى: ﴿ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ ﴾ الخ [الأعراف:٦].

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) التفسير الكبير ١٤/ ١٧.

(٣) التفسير الكبير ١٤/ ٢٠.

قال أبو السعود: بيان لعذابهم الأخروي إثر بيان عذابهم الدنيوي خلا أنه قد تعرض لبيان مبادي أحوال المكلفين جميعًا لكونه أدخل في التهويل(١).

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ﴾ الخ [الأعراف:٨].

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى السوال والحساب بين في هذه الآية وزن الأعمال(٢).

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الخ [الأعراف:١٠].

اعلم أنه تعالى لما أمر الخلق بمتابعة الأنبياء عليهم السلام ثم خوفهم بعذاب الدنيا ثم خوفهم بعذاب الآخرة رغبهم في هذه الآية بطريق أخرى وهو أنه كثرت نعم الله عليهم وكثرة النعم توجب الطاعة(٣).

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ الخ [الأعراف:١١].

قال أبو السعود: تذكير لنعمة عظيمة فائضة على آدم عليه السلام سارية إلى ذريته موجبة لشكرهم كافة(٤).

قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا ﴾ الخ [الأعراف:٢٦].

في نظم الآية وجهان الأول أنه تعالى لما بين أنه أمر آدم وحواء بالهبوط إلى الأرض وجعل الأرض مستقرًا بين بعده أنه تعالى أنزل كل ما يحتاجون إليه في الدين والدنيا ومن جملتها اللباس.

(١) أبو سعود ٣/ ٢١٢.

(٢) التفسير الكبير ١٤/ ٢٤.

(٣) التفسير الكبير ١٤/ ٢٨.

(٤) أبوسعود ٣/ ٢١٤.

الوجه الثاني أنه تعالى لما ذكر واقعة آدم في انكشاف العورة وأنه كان يخصف الورق عليها اتبعه بأن بين أنه خلق اللباس للخلق ليستروا بها عوراتهم ونبه به على المنة العظيمة على الخلق بسبب أنه أقدرهم على التستر[1].

قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ﴾ الخ [الأعراف:٢٧].

اعلم أن المقصود من ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام حصول العبرة لمن يسمعها فكأنه تعالى لما ذكر قصة آدم وبين فيها شدة عداوة الشيطان لآدم وأولاده اتبعها بأن حذر أولاد آدم من قبول وسوسة الشيطان[2].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ﴾ الخ [الأعراف:٢٨].

قال المسكين: بيان لولاية الشيطان للكافرين في فعلهم الفاحشة وتقليدهم الباطل وافترائهم على الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾ الخ [الأعراف:٢٩].

اعلم أنه تعالى لما بين أمر الأمر بالفحشاء بين تعالى أنه يأمر بالقسط والعدل[3].

قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ ﴾ الخ [الأعراف:٢٩].

قال المسكين: هذا من جملة القسط وكذا قوله: وادعوه ثم أشار بقوله: كما بدأكم إلى وقوع الجزاء ثم بين حال القائمين بالقسط والناكبين عنه بقوله: فريقًا هدى ثم علل ضلالتهم بقوله: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ﴾ الخ [الأعراف:٣٠].

قوله تعالى: ﴿ ۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ ﴾ الخ [الأعراف:٣١].

---

(١) التفسير الكبير ١٤/ ٥١.

(٢) التفسير الكبير ١٤/ ٥٣.

(٣) التفسير الكبير ١٤/ ٥٧.

اعلم أن الله تعالى لما أمر بالقسط في الآية الأولى وكان من جملة القسط أمر اللباس وأمر المأكول والمشروب لا جرم اتبعه بذكرهما[١].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ الخ [الأعراف:٣٣].

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أن الذي حرموه (من ملبوسات في الطواف ومن مأكولات من البحائر والسوائب وغيرهما) ليس بحرام بين في هذه الآية أنواع المحرمات[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ الخ [الاعراف:٣٤].

اعلم أنه تعالى لما بين الحلال والحرام وأحوال التكليف بين أن لكل أحد أجلًا معينًا لا يتقدم ولا يتأخر وإذا جاء ذلك الأجل مات لا محالة والغرض منه التخويف ليتشدد المرء في القيام بالتكاليف كما ينبغي[٣].

قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ الخ [الأعراف:٣٥].

اعلم أنه تعالى لما بين أحوال التكليف وبين أن لكل أحد أجلًا معينًا لا يتقدم ولا يتأخر بين أنهم بعد الموت إن كانوا مطيعين فلا خوف عليهم ولا حزن وإن كانوا متمردين وقعوا في أشد العذاب[٤].

قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾ الخ [الأعراف:٣٧].

اعلم أن قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ [الأعراف:٣٧] يرجع إلى قوله تعالى:

---

(١) التفسير الكبير ١٤/ ٦٠.

(٢) التفسير الكبير ١٤/ ٦٥ وما بين القوسين من الهامش.

(٣) التفسير الكبير ١٤/ ٦٧.

(٤) التفسير الكبير ١٤/ ٦٨.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ ﴾ [الأعراف:٣٧][١] .

قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ ﴾ الخ [الأعراف:٣٨] .

اعلم أن هذه الآية من بقية شرح أحوال الكفار وهو أنه تعالى يدخلهم النار[٢] .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ ﴾ الخ [الأعراف:٤٠] .

اعلم أن المقصود منه إتمام الكلام في وعيد الكفار[٣] .

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ﴾ الخ [الأعراف:٤٢] .

اعلم أنه تعالى لما استوفي الكلام في الوعيد للكفار اتبعه بالوعد في هذه الآية الشريفة[٤] .

قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ الخ [الأعراف:٤٤] .

اعلم أنه تعالى لما شرح وعيد الكفار وثواب أهل الإيمان والطاعات اتبعه بذكر المناظرات التي تدور بين الفريقين[٥] .

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ ﴾ الخ [الأعراف:٥٢] .

اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال أهل الجنة وأهل النار وأهل الأعراف ثم شرح الكلمات الدائرة بين هؤلاء الفرق الثلاث على وجه يصير سماع تلك المناظرات

---

(١) التفسير الكبير ١٤/ ٧٠ .

(٢) التفسير الكبير ١٤/ ٧٢ .

(٣) التفسير الكبير ١٤/ ٧٥ .

(٤) التفسير الكبير ١٤/ ٧٨ .

(٥) التفسير الكبير ١٤/ ٨٣ .

حاملًا للمكلّف على الحذر والاحتراز وداعيًا له إلى النظر والاستدلال، بين شرف هذا الكتاب الكريم ونهاية منفعته[١].

قوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ ﴾ الخ [الاعراف:٥٣].

اعلم أنه تعالى لما بين إزاحة العلة بسبب إنزال هذا الكتاب المفصل الموجب للهداية والرحمة بين بعده حال من كذب[٢].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ﴾ الخ [الأعراف:٥٤].

اعلم أنا بينا أن مدار القرآن على تقرير هذه المسائل الأربع وهي التوحيد والنبوة والمعاد والقضاء والقدر ولا شك أن مدار إثبات المعاد على إثبات التوحيد والقدرة والعلم فلما بالغ الله تعالى في تقرير المعاد عاد إلى ذكر الدلائل الدالة على التوحيد وكمال القدرة والعلم لتصير تلك الدلائل مقررة لأصول التوحيد ومقررة أيضًا لإثبات المعاد[٣].

قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ ﴾ الخ [الأعراف:٥٥].

اعلم أنه تعالى لما ذكر الدلائل الدالة على كمال القدرة والحكمة والرحمة اتبعه بذكر الأعمال اللائقة بتلك[٤].

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ ﴾ الخ [الأعراف:٥٧].

لما ذكر دلائل الإلهية وكمال العلم والقدرة من العالم العلوي اتبعه بذكر الدلائل

---

(١) التفسير الكبير ١٤/ ٩٤.

(٢) التفسير الكبير ١٤/ ٩٥.

(٣) التفسير الكبير ١٤/ ٩٦.

(٤) التفسير الكبير ١٤/ ١٢٧.

من بعض أحوال العالم السفلي[١].

قال المسكين: واستدل في ضمنه على صحة البعث بقوله: كذلك نخرج الموتى الخ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ الخ [الأعراف:٥٨].

قال أبو السعود: هذا كما ترى مثل لإرسال الرسل عليهم السلام بالشرائع التي هي ماء حياة القلوب المنقسمين إلى المقتبسين من أنوارها والمحرومين من مغانم آثارها (فهو بصورته مناسب لقوله: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف:٥٧] وبمعناه مناسب لقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ﴾ [الأعراف:٥٢] بحيث أفاد وجه التقليد بقوله: ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٥٢])، وقد عقب ذلك بما يحققه ويقرره من قصص الأمم الخالية بطريق الاستيناف فقيل ولقد أرسلنا[٢].

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ الخ [الأعراف:٥٩].

في الكبير: اعلم أنه تعالى لما ذكر في تقرير المبدأ والمعاد دلائل ظاهرة وبينات قاهرة وبراهين باهرة اتبعها بذكر قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفيه فوائد أحدها التنبيه على أن إعراض الناس عن قبول هذه الدلائل ليس من خواص قوم محمد عليه الصلاة والسلام بل هذه العادة المذمومة كانت حاصلة في جميع الأمم السالفة، والمصيبة إذا عمت خفت، فيفيد تسلية الرسول عليه الصلاة والسلام.

وثانيها أنه تعالى يحكي في هذه القصص أن عاقبة المنكرين كان إلى الكفر واللعن والخسارة، وعاقبة أمر المحققين إلى الدولة والسعادة وذلك يقوي قلوب

---

(١) التفسير الكبير ١٤/ ١٣٨ .

(٢) أبو سعود ٣/ ٢٣٤ وما بين القوسين زيادة من الهامش .

المحقين ويكسر قلوب المبطلين.

وثالثها التنبيه على أنه تعالى وإن كان يمهل هؤلاء المبطلين ولكنه لا يهملهم بل ينتقم منهم على أكمل الوجوه.

ورابعها بيان أن هذه القصص دالة على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام لأنه ﷺ كان أميًا وما طالع كتابًا ولا تلمذ أستاذًا فإذا ذكر هذه القصص على الوجه من غير تحريف ولا خطأ دل ذلك على أنه إنما عرفها بالوحي من الله لأ وذلك يدل على صحة نبوته[(١)].

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٍ ﴾ الخ [الأعراف:٩٤].

قال أبو السعود: إشارة إجمالية إلى بيان أحوال سائر الأمم إثر بيان أحوال الأمم المذكورة تفصيلًا[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ﴾ الخ [الأعراف:٩٦].

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أن الذين عصوا وتمردوا أخذهم الله بغتة بين في هذه الآية أنهم لو أطاعوا لفتح الله عليهم أبواب الخير[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ﴾ الخ [الأعراف:١٠٠].

اعلم أنه تعالى لما بين فيما تقدم من الآيات حال الكفار الذين أهلكهم الله تعالى بالاستيصال مجملًا ومفصلا اتبعه ببيان أن الغرض من ذكر هذه القصص حصول

---

(١) التفسير الكبير ١٤/ ١٤٦ وقال المؤلف في هامشه على لفظ «وفي الكبير» صرح به أي –باسم الكبير– لئلا يشتبه على الناظر بأنه من تفسير أبي السعود.

(٢) أبو سعود ٣/ ٢٥٢.

(٣) التفسير الكبير ١٤/ ١٨٥.

العبرة لجميع المكلفين في مصالح أديانهم وطاعتهم[١].

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ ﴾ الخ [الأعراف:١٠٣].

اعلم أن هذا هو القصة السادسة من القصص التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة وذكر في هذه القصة من الشرح والتفصيل ما لم يذكر في سائر القصص لأجل أن معجزات موسى كانت أقوى وجهل قومه كان أعظم وأفحش[٢].

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ الخ [الأعراف:١٥٧].

اعلم أنه تعالى لما بين أن من صفة من يكتب له الرحمة التقوى وإيتاء الزكاة والإيمان بالآيات ضم إلى ذلك أن يكون من صفته اتباع النبي الأمي فكأنه تعالى بين بهذه الآية أن هذه الرحمة لا يفوز بها من بني إسرائيل إلاّ من اتقى وآتى الزكاة وآمن بالدلائل في زمن موسى، ومن هذه صفته في أيام الرسول إذا كان مع ذلك متبعًا للنبي الأمي في شرائعه[٣].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ الخ [الأعراف:١٥٨].

قال أبو السعود: لما حكي ما في الكتابين من نعوت رسول الله ﷺ وشرف من يتبعه من أهلهما ونيلهم لسعادة الدارين أمر عليه الصلاة والسلام ببيان أن تلك السعادة غير مختصة بهم بل شاملة لكل من يتبعه كائنًا من كان ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص رسالة سائر الرسل عليهم الصلاة والسلام بأقوامهم[٤].

---

(١) التفسير الكبير ١٤/ ١٨٦.

(٢) التفسير الكبير ١٤/ ١٨٩ وما بين القوسين في الهامش.

(٣) التفسير الكبير ١٥/ ٢٢

(٤) أبو سعود ٣/ ٢٨٠.

قوله تعالى: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ ﴾ الخ [الأعراف:١٥٩].

قال أبو السعود: كلام مبتدأ مسوق لدفع ما عسى يوهمه تخصيص كتب الرحمة والتقوى والإيمان بالآيات بمتبعي رسول الله ﷺ - من حرمان أسلاف قوم موسى من كل خير وبيان أن كلهم ليسوا كما حكيت أحوالهم بل منهم أمة الخ(١).

قوله تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ ﴾ الخ [الأعراف:١٦٠].

قال المسكين: هذا بقية من حكاية قصة بني إسرائيل.

قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ الخ [الأعراف:١٦٣].

قال المسكين: هذا أيضًا بعض قبائح اليهود.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ ﴾ الخ [الأعراف:١٦٧].

قال المسكين: هذا بيان لجزائهم من الذل والصغار إثر بيان قبائحهم.

قوله تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الخ [الأعراف:١٦٨].

هذا أيضًا من بقايا أحوالهم إلى قوله تعالى: وإذ نتقنا الجبل الخ.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ﴾ الخ [الأعراف:١٧٢].

لما شرح قصة موسى عليه السلام مع توابعها على أقصى الوجوه ذكر في هذه الآية ما يجري مجرى تقرير الحجة على جميع المكلفين(٢).

قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ﴾ الخ [الأعراف:١٧٥].

---

(١) أبو سعود ٣/ ٢٨١.

(٢) التفسير الكبير ١٥/ ٤٦.

قال المسكين: هذا تقبيح لمن ضل بعد العلم والهدي كبعض علماء بني إسرائيل الذين ذكرت أخبارهم فيما قبل أو كل من ذكره الله تعالى بآياته ومواثيقه التي أخذها في عالم الذر كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ ﴾ الخ [الأعراف:١٧٦]

قوله تعالى: ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ﴾ الخ [الأعراف:١٧٧].

اعلم أنه تعالى لما قال بعد تمثيلهم بالكلب: ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ﴾ وزجر بذلك عن الكفر والتكذيب أكده في باب الزجر بقوله: ساء مثلا[١].

قوله تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ ﴾ الخ [الأعراف:١٧٨].

اعلم أنه تعالى لما وصف الضالين بالوصف المذكور وعرف حالهم بالمثل المذكور بين في هذه الآية أن الهداية والضلالة من الله تعالى[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ ﴾ الخ [الأعراف:١٧٩].

قال أبو السعود: كلام مستأنف مقرر لمضمون ما قبله بطريق التذئيل[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الخ [الأعراف:١٨٠].

قال أبو السعود: تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعما يليق به إثر بيان غفلتهم التامة وضلالتهم الطامة[٤].

---

(١) التفسير الكبير ١٥/ ٥٧.

(٢) التفسير الكبير ١٥/ ٥٨.

(٣) أبو سعمود ٣/ ٢٩٥.

(٤) أبو سعود ٣/ ٢٩٦.

قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ ﴾ الخ [الأعراف:١٨١] .

اعلم أنه تعالى لما قال: ولقد ذرأنا فأخبر أن كثيرًا منهم مخلوقون للنار اتبعه بقوله: وممن خلقنا أمة ليبين أيضًا أن كثيرًا منهم مخلوقون للجنة[١] .

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ الخ [الأعراف:١٨٢] .

اعلم أنه تعالى لما ذكر حال الأمة الهادية العادلة أعاد ذكر المكذبين بآيات الله تعالى وما عليهم من الوعيد[٢] .

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾ الخ [الأعراف:١٨٤] .

قال أبو السعود: كلام مبتدأ مسوق لإنكار عدم تفكرهم في شأنه عليه الصلاة والسلام وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للإيمان به وبما أنزل عليه من الآيات التي كذبوا بها[٣] .

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ ﴾ الخ [الأعراف:١٨٥] .

قال أبو السعود: استيناف آخر مسوق للإنكار والتوبيخ بإخلالهم بالتأمل في الآيات التكوينية المنصوبة في الآفاق والأنفس الشاهدة لصحة مضمون الآيات المنزلة إثر ما نعى عليهم إخلالهم بالتفكر في شأنه عليه الصلاة والسلام[٤] .

قوله تعالى: ﴿ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ ﴾ الخ [الأعراف:١٨٦] .

---

(١) التفسير الكبير ١٥/ ٧٢ .

(٢) التفسير الكبير ١٥/ ٧٣ .

(٣) أبو سعود ٣/ ٢٩٨ .

(٤) أبو سعود ٣/ ٢٩٩ .

قال أبو السعود: استيناف مقرر لما قبله منبئ عن الطبع على قلوبهم[١].

قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ﴾ الخ [الأعراف:١٨٧].

قال أبو السعود: استيناف مسوق لبيان بعض أحكام ضلالهم وطغيانهم[٢].

قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ ﴾ الخ [الأعراف:١٨٨].

قال أبو السعود: شروع في الجواب عن السؤال ببيان عجزه عن علمها إثر بيان عجز الكل عنه وإبطال زعمهم الذي بنوا عليه سوالهم من كونه عليه الصلاة والسلام ممن يعلمها (والأولى أن يقال ممن يدعى علمها)[٣].

قوله تعالى: ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ الخ [الأعراف:١٨٩].

اعلم أنه تعالى رجع في هذه الآية إلى تقرير أمر التوحيد وإبطال الشرك[٤].

قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ الخ [الأعراف:١٩٩].

قال أبو السعود: بعد ما عد من أباطيل المشركين وقبائحهم ما لا يطاق تحمله أمر عليه السلام بمجامع مكارم الأخلاق التي من جملتها الإغضاء عنهم[٥].

قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ ﴾ الخ [الأعراف:٢٠٠].

قال أبو زيد: لما نزل قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ قال النبي ﷺ: كيف يا

---

(١) أبو سعود ٣/ ٣٠٠.

(٢) أبو سعود ٣/ ٣٠٠.

(٣) أبو سعود ٣/ ٣٠٢ وما بين القوسين من الهامش.

(٤) التفسير الكبير ١٥/ ٨٥.

(٥) أبو سعود ٣/ ٣٠٨.

رب والغضب فنزل قوله: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ ﴾[(١)].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا ﴾ الخ [الأعراف:٢٠١].

قال أبو السعود: استيناف مقرر لما قبله ببيان أن ما أمر به عليه الصلاة والسلام من الاستعاذة بالله تعالى سنة مسلوكة للمتقين والإخلال بها ديدن الغاوين[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ ﴾ الخ [الأعراف:٢٠٣].

قال المسكين: عود إلى إثبات حقية الآيات المنزلة عليه عليه الصلاة والسلام وكفايتها في أمر الإيمان وإغنائها عن الآيات المقترحة.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ الخ [الأعراف:٢٠٤].

قال أبو السعود: إرشاد إلى طريق الفوز بما أشير إليه من المنافع الجليلة التي ينطوي عليها القرآن[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ ﴾ الخ [الأعراف:٢٠٥].

قال المسكين: لما كانت التلاوة المذكورة منه ﷺ بالجهر ليتمكن السامع من استماعه أمر في هذه الآية بالذكر الخفي ليفي حق الجلوة والخلوة.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ الخ [الأعراف:٢٠٦].

لما رغب الله رسوله في الذكر وفي المواظبة عليه ذكر عقيبه ما يقوي دواعيه في ذلك[(٤)].

---

(١) التفسير الكبير ١٥/ ٩٧.

(٢) أبو سعود ٣/ ٣٠٨.

(٣) أبو سعود ٣/ ٣١٠.

(٤) التفسير الكبير ١٥/ ١١٠.

سورة الأنفال

لما أبطل طريقة المشركين في خاتمة السورة السابقة وهو الجهاد باللسان بين في هذه السورة أحكام الجهاد بالسنان[(١)].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ﴾ الخ [الأنفال:٢].

اعلم أنه تعالى لما قال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال:١] واقتضى ذلك كون الإيمان مستلزمًا للطاعة شرح ذلك في هذه الآية مزيد شرح وتفصيل وبين أن الإيمان لا يحصل إلا عند حصول هذه الطاعات[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ ﴾ الخ [الأنفال:٥].

قال المسكين: عود إلى حكم الأنفال والتشبيه في الكراهة حالًا والموافقة للحكمة مآلا.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ الخ [الأنفال:٧].

قال المسكين: تفصيل لقصة بدر.

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ﴾ الخ [الأنفال:١٥].

قال أبو السعود: خطاب للمؤمنين بحكم كلي جار فيما سيقع من الوقائع والحروب، جيء به تضاعيف القصة إظهارًا للاعتناء بشأنه ومبالغة في حضهم على المحافظة عليه[(٣)].

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) التفسير الكبير ١٥/ ١١٧.

(٣) أبو سعود ٤/ ١٢.

قوله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ﴾ الخ [الأنفال:١٧] .

قال أبو السعود: رجوع إلى بيان بقية أحكام الواقعة وأحوالها وتقرير ما سبق منها[١] .

قوله تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ ﴾ الخ [الأنفال:١٩] .

قال أبو السعود: خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم وذلك أنهم حين أرادوا الخروج تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين واهدى الفئتين وأكرم الحزبين[٢] .

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ﴾ الخ [الأنفال:٢٠] .

قال المسكين: لما خاطب أهل مكة بالتهكم أمر المؤمنين بأن لا يكونوا مثلهم بل يطيعوا الله ورسوله.

قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً ﴾ الخ [الأنفال:٢٥] .

قال المسكين: لما أمر في الآية الأولى بالإطاعة والاستجابة أمر في هذه الآية بحمل غيرهم عليهما بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ ﴾ الخ [الأنفال:٢٦] .

قال المسكين: بيان لموجبات الإطاعة من النعم الجليلة.

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ ﴾ الخ [الأنفال:٢٧] .

قال المسكين: لما أمر فيما قبل بالإطاعة نهي ههنا عن المعصية والخيانة، ولما كان

---

(١) أبو سعود ٤/ ١٣ .

(٢) أبو سعود ٤/ ١٤ .

الحامل عليهما في الأغلب حب المال والولد شرح كونهما فتنة.

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ الخ [الأنفال:٢٩] .

قال المسكين: فيه الحض على التقوى وبيان كونه مدارًا لسعادة الدنيا والآخرة إثر الأمر به فيما قبل.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ﴾ الخ [الأنفال:٣٠] .

اعلم أنه تعالى لما ذكر المؤمنين نعمه عليهم بقوله: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ ﴾ [الأنفال:٢٦] فكذلك ذكر رسوله نعمه عليه(١) .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا ﴾ الخ [الأنفال:٣١] .

اعلم أنه تعالى لما حكى أمرهم في ذات محمد ﷺ حكى مكرهم في دين محمد ﷺ(٢) .

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾ الخ [الأنفال:٣٣] .

قال أبو السعود: جواب لكلمتهم الشنعاء وبيان الموجب لإمهالهم والتوقف في إجابة دعائهم(٣) .

قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ﴾ الخ [الأنفال:٣٤] .

قال أبو السعود: بيان لاستحقاقهم العذاب بعد بيان أن المانع ليس من قبلهم(٤) .

---

(١) التفسير الكبير ١٥/ ١٥٥ .

(٢) التفسير الكبير ١٥/ ١٥٦ .

(٣) أبو سعود ٤/ ٩ .

(٤) أبو سعود ٤/ ٢٠ .

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ ﴾ الخ [الأنفال:٣٥].

قال أبو السعود: مساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب أو عدم ولايتهم للمسجد فإنها لا تليق بمن هذه صلاته(١).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ ﴾ الخ [الأنفال:٣٦].

اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال هؤلاء الكفار في الطاعات البدنية اتبعها بشرح أحوالهم في الطاعات المالية(٢).

قال المسكين: وحسن موقعها ههنا نزولها في المطعمين يوم بدر.

قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الخ [الأنفال:٣٨].

اعلم أنه تعالى لما بين صلاتهم في عباداتهم البدنية وعباداتهم المالية أرشدهم إلى طريق الصواب(٣).

قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ ﴾ الخ [الأنفال:٣٩].

اعلم أنه تعالى لما بين أن هؤلاء الكفار ان انتهوا عن كفرهم حصل لهم الغفران وإن عادوا فهم متوعدون بسنة الأولين اتبعه بأن أمر بقتالهم إذا أصروا(٤).

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم ﴾ الخ [الأنفال:٤١].

اعلم أنه تعالى لما أمر بالمقاتلة في قوله: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ ﴾ وكان من المعلوم أن عند

(١) أبو سعود ٤/ ٢٠.

(٢) التفسير الكبير ١٥/ ١٦٥.

(٣) التفسير الكبير ١٥/ ١٦٢.

(٤) التفسير الكبير ١٥/ ١٦٣.

المقاتلة قد تحصل الغنيمة لا جرم ذكر الله تعالى حكم الغنيمة[١] .

قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا ﴾ الخ [الأنفال:٤٢] .

قال المسكين: متعلق بدر.

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ ﴾ الخ [الأنفال:٤٥] .

اعلم أنه تعالى لما ذكر أنواع نعمه على الرسول وعلى المؤمنين يوم بدر علمهم إذا التقوا الثبات وأن يذكروا الله كثيرًا[٢] .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ [الأنفال:٤٨] .

قال المسكين: هذا أيضًا متعلق ببدر.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ ﴾ الخ [الانفال:٥٠] .

اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال هؤلاء الكفار شرح أحوال موتهم والعذاب الذي يصل إليهم[٣] .

قوله تعالى: ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ الخ [الأنفال:٥٢] .

لما بين ما أنزله بأهل بدر من الكفار عاجلًا وآجلًا اتبعه بأن بين أن هذه طريقته وسنته في الكل فقال: كدأب آل الخ ثم ذكر ما يجري مجرى العلة في العقاب الذي أنزله بهم فقال: ذلك بأن الله[٤] .

---

(١) التفسير الكبير ١٥/ ١٦٤ .

(٢) التفسير الكبير ١٥/ ١٧١ .

(٣) التفسير الكبير ١٥/ ١٧٧ .

(٤) التفسير الكبير ١٥/ ١٨٠ .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ ﴾ الخ [الأنفال:٥٥].

قال أبو السعود: بعد ما شرح أحوال المهلكين من شرار الكفرة شرع في بيان أحوال الباقين منهم وتفصيل أحكامهم[١].

قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ ﴾ الخ [الأنفال:٥٧].

قال أبو السعود: شروع في بيان أحكامهم بعد تفصيل أحوالهم[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ﴾ الخ [الأنفال:٥٩].

اعلم أنه تعالى لما بين ما يفعل الرسول في حق من يجده في الحرب ويتمكن منه وذكر أيضًا ما يجب أن يفعله فيمن ظهر منه نقض العهد بين أيضًا حال من فاته في يوم بدر وغيره[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم ﴾ الخ [الأنفال:٦٠].

اعلم أنه تعالى لما أوجب على رسوله أن يشرد من صدر عنه نقض العهد وأن ينبذ العهد إلى من خاف منه النقض، أمره في هذه الآية بالإعداد لهؤلاء الكفار[٤].

قال أبو السعود: أو لقتال الكفار على الإطلاق وهو الأنسب لسياق النظم الكريم[٥].

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ ﴾ الخ [الأنفال:٦١].

---

(١) أبو سعود ٤/ ٣٠.

(٢) أبو سعود ٤/ ٣٠.

(٣) التفسير الكبير ١٥/ ١٨٤.

(٤) التفسير الكبير ١٥/ ١٨٥.

(٥) أبو سعود ٤/ ٣٢.

اعلم أنه لما بين ما يرهب به العدو من القوة والاستظهار بين بعده أنهم عند الإرهاب إذا جنحوا أي مالوا إلى الصلح فالحكم قبول الصلح[١].

قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ﴾ الخ [الأنفال:٦٢].

وقال المسكين: ثم لما كان في الصلح احتمال الخداع وعد نبيه بحسبانه تعالى إياه وعلله بنصره وبالمؤمنين في قوله: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ﴾ الخ.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ الخ [الأنفال:٦٤].

قال ابو السعود: شروع في بيان كفايته تعالى إياه عليه الصلاة والسلام في جميع أموره وأمور المؤمنين أو في الأمور الواقعة بينهم وبين الكفرة كافة إثر بيان كفايته تعالى إياه عليه الصلاة والسلام في مادة خاصة[٢].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الخ [الأنفال:٦٥].

بعد ما بين كفايته إياهم بالنصر والإمداد أمره عليه الصلاة والسلام بترتيب مبادى نصره وإمداده[٣].

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ﴾ الخ [الأنفال:٦٧].

واعلم أن المقصود من هذه الآية تعليم حكم آخر من أحكام الغزو والجهاد في حق النبي ﷺ[٤].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم﴾ الخ [الأنفال:٧٠].

---

(١) التفسير الكبير ١٥/ ١٨٧.

(٢) أبو سعود ٤/ ٣٣.

(٣) أبو سعود ٤/ ٣٤.

(٤) التفسير الكبير ١٥/ ١٩٧.

اعلم أن الرسول لما أخذ الفداء من الأسارى وشق عليهم أخذ أموالهم منهم ذكر الله تعالى هذه الآية استعمالةً لهم[(١)].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ ﴾ [الانفال:٧٢] إلى آخر السورة.

اعلم أنه تعالى قسم المؤمنين في زمان الرسول ﷺ إلى أربعة أقسام وذكر حكم كل واحد منهم وتقرير هذه القسمة أنه عليه السلام ظهرت نبوته بمكة ودعا الناس هناك إلى الدين ثم انتقل من مكة إلى المدينة فحين هاجر من مكة إلى المدينة صار المؤمنون على قسمين منهم من وافقه في تلك الهجرة ومنهم من لم يوافقه فيها بل بقي هناك أما القسم الأول فهم المهاجرون الأولون وقد وصفهم بقوله: إن الذين آمنوا الخ وإنما قلنا أن المراد منهم المهاجرون الأولون لأنه تعالى قال في آخر الآية والذين آمنوا من بعد وهاجروا.

أما القسم الثاني من المؤمنين الموجودين في زمان محمد ﷺ فهم الأنصار الذين آووا ونصروا.

القسم الثالث من أقسام مؤمني زمان الرسول عليه السلام وهم المؤمنون الذين ما وافقوا الرسول في الهجرة وبقوا في مكة وهم المعنيون بقوله: والذين آمنوا ولم يهاجروا.

القسم الرابع من مؤمني زمان محمد ﷺ هم الذين لم يوافقوا الرسول في الهجرة إلا أنهم بعد ذلك هاجروا إليه وهو المراد من قوله تعالى: والذين آمنوا من بعد[(٢)].

قال المسكين: لما كانت الوظيفة هو الجهاد وقت القدرة، والهجرة عند العجز ذكر الهجرة وبعض أحكامها بعد ذكر الجهاد.

---

(١) التفسير الكبير ١٥/ ٢٠٤.

(٢) التفسير الكبير ١٥/ ٢٠٧-٢١٢.

سورة براءة

اعلم أن كلتا السورتين مشتملة على بيان أحكام الجهاد فالمناسبة ظاهرة[١].

قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ الخ [براءة:١٧].

اعلم أنه تعالى بدء السورة بذكر البراءة عن الكفار وبالغ في إيجاب ذلك وذكر من أنواع فضائحهم وقبائحهم ما يوجب تلك البراءة[٢].

قال المسكين: واشعر ذلك بإهانتهم وأجاب عما افتخروا بها.

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ ﴾ الخ [براءة:٢٣].

قال المسكين آخذًا من الكبير: لما بالغ في البراءة عن الكفار كان مظنة أن يقال إن البراءة عن الأقارب صعب جدًا فذكرها في هذه الآية[٣].

قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ ﴾ الخ [براءة:٢٥].

قال المسكين: لما أمر الله تعالى فيما قبل بترجيح موالاة الله تعالى على موالاة غيره والإنقطاع عما سواه أكده بتذكير واقعة حنين وأضاربها بأن كثرة جماعتكم لم تغن شيئًا وإنما نفعكم نصر الله تعالى فحق عليكم التوكل عليه لا على غيره.

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ الخ [براءة:٢٨].

لما أمر ﷺ عليًا أن يقرأ على مشركي مكة أول سورة براءة وينبذ إليهم عهدهم

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) التفسير الكبير ١٦/ ٦٧ وما بين القوسين من الهامش.

(٣) التفسير الكبير ١٦/ ١٨.

قال أناس: ستعلمون ما تلقونه من الشدة لانقطاع السبل وفقد الحمولات فنزلت هذ الآية وأجاب الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ [(١)].

قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ ﴾ الخ [براءة:٢٩].

قال أبو السعود: أمرهم بقتال أهل الكتابين إثر أمرهم بقتال المشركين[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ الخ [براءة:٣٠].

قال أبو السعود: جملة مستأنفة سيقت لتقرير ما مر من عدم إيمان أهل الكتابين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك في سلك المشركين[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ﴾ الخ [براءة:٣١].

قال أبو السعود: زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله تعالى[(٤)].

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟﴾ الخ [براءة:٣٢].

اعلم أن المقصود منه بيان نوع من الأفعال القبيحة الصادرة عن رؤساء اليهود والنصارى وهو سعيهم في إبطال أمر محمد ﷺ[(٥)].

قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ الخ [براءة:٣٣].

اعلم أنه تعالى لما حكى عن الأعداء أنهم يحاولون إبطال أمر محمد ﷺ وبين

---

(١) التفسير الكبير ١٦/ ٢٤.

(٢) أبو سعود ٤/ ٥٨.

(٣) أبو سعود ٤/ ٥٩.

(٤) أبو سعود ٤/ ٦٠.

(٥) التفسير الكبير ١٦/ ٣٨.

تعالى أنه يأبى ذلك الإبطال وإنه يتم أمره بين كيفية ذلك الإتمام[١] .

قوله تعالى: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا ﴾ الخ [براءة:٣٤] .

قال أبو السعود: شروع في بيان حال الأحبار والرهبان في إغوائهم لأرذالهم إثر بيان سوء حال الأتباع في اتخاذهم لهم أربابًا[٢] .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ ﴾ الخ [براءة:٣٦] .

قال المسكين: رجوع إلى بيان بعض قبائح المشركين وضلالتهم وجهالاتهم من تغيير أحكام الله تعالى الموجبة لقتالهم.

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ ﴾ الخ [براءة:٣٨] .

اعلم أنه تعالى لما شرح معائب هؤلاء الكفار وفضائحهم عاد إلى الترغيب في مقاتلتهم[٣] .

قوله تعالى: ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ الخ [براءة:٤١] .

قال أبو السعود: تجريد للأمر بالنفور بعد التوبيخ على تركه والإنكار على المساهلة فيه[٤] .

قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا ﴾ الخ [براءة:٤٢] .

قال أبو السعود: صرف الخطاب عنهم وتوجيه له إلى رسول الله ﷺ تعديدًا لما

---

(١) التفسير الكبير ١٦/ ٣٩ .

(٢) أبو سعود ٤/ ٦٢ .

(٣) التفسير الكبير ١٦/ ٥٩ .

(٤) أبو سعود ٤/ ٦٧ .

صدر عنهم من الهنات قولًا وفعلًا على طريق المباثة، وبيان لدنائة هممهم وسائر رذائلهم[(١)].

قال المسكين: شرع الله تعالى من ههنا قبائح المنافقين وفضائحهم في غزوة تبوك وامتد هذا البيان إلى آخر السورة إلا ما وقع من بعض أحوال المنافقين في التضاعيف استطرادًا وإلا قوله: وما كان الله ليضل فكأنه تسلية للذين استغفروا للمشركين قبل ذلك.

قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ الخ [براءة:١٢٨].

اعلم أنه تعالى لما أمر رسول الله ﷺ أن يبلغ في هذه السورة إلى الخلق تكاليف شاقة شديدة صعبة يعسر تحملها إلا لمن خصه الله تعالى بوجوه التوفيق والكرامة ختم السورة بما يوجب سهولة تحمل ذلك التكاليف[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ الخ [براءة:١٢٩].

قال ابو السعود: تلوين للخطاب وتوجيه له إلى النبي ﷺ تسلية له[(٣)].

***

(١) أبو سعود ٤/ ٦٧ .

(٢) التفسير الكبير ١٦/ ٢٣٥ .

(٣) أبو سعود ٤/ ١١٤ .

سورة يونس عليه الصلاة والسلام

وجه المناسبة أن خاتمة ما قبلها وفاتحتها تشتركان في إثبات الرسالة[١].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي ﴾ الخ [يونس:٣].

اعلم أنه تعالى لما حكى عن الكفار أنهم تعجبوا من الوحي والبعثة والرسالة ثم إنه تعالى أزال ذلك التعجب بأنه لا يبعد البتة في أن يبعث خالق الخلق إليهم رسولًا يبشرهم على الأعمال الصالحة بالثواب وعلى الأعمال الباطلة الفاسدة بالعقاب كان هذا الجواب إنما يتم ويكمل بإثبات أمرين أحدهما إثبات أن لهذا العالم إلهًا قادرًا قاهرًا نافذ الحكم بالأمر والنهي والتكليف.

والثاني إثبات الحشر والنشر والبعث والقيامة حتى يحصل الثواب والعقاب اللذان أخبر الأنبياء عن حصولهما فلا جرم أنه سبحانه ذكر في هذا الموضع ما يدل على تحقيق هذين المطلوبين[٢].

قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً ﴾ الخ [يونس:٥].

قال أبو السعود: تنبيه على الاستدلال على وجوده تعالى ووحدته وحلمه وقدرته وحكمته بآثار صنعه في النيرين بعد التنبيه على الاستدلال بما مر من إبداع السموات والأرض والاستواء على العرش وغير ذلك وبيان بعض أفراد التدبير الذي أشير إليه إشارة إجمالية وإرشاد إلى أنه حيث دبرت أمورهم المتعلقة بمعاشهم هذا التدبير البديع فلان يدبر مصالحهم المتعلقة بالمعاد بإرسال الرسل وإنزال

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) التفسير الكبير ١٧/ ٨.

الكتاب وتبيين طرائق الهدى وتعيين مهاوي الردي أولى وأحرى[١].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ الخ [يونس:٧].

اعلم أنه تعالى لما أقام الدلائل القاهرة على صحة القول بإثبات الإله الرحيم الحكيم وعلى صحة القول بالمعاد والحشر والنشر شرع بعده في شرح أحوال من يكفر بها وفي شرح أحوال من يؤمن بها[٢].

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ﴾ الخ [يونس:١١].

إن الذي يغلب على ظني أن ابتداء هذه السورة في ذكر شبهات المنكرين للنبوة مع الجواب عنها فالشبهة الأولى أن القوم تعجبوا من تخصيص الله تعالى محمدًا ﷺ بالنبوة فأزال الله تعالى ذلك التعجب بقوله: أكان للناس عجبًا ثم ذكر دلائل التوحيد ودلائل صحة المعاد وحاصل الجواب أنه يقول: إني ما جئتكم إلا بالتوحيد والإقرار بالمعاد وقد دلّلت على صحتها فلم يبق للتعجب من نبوتي معنى.

والشبهة الثانية للقوم أنهم كانوا أبدًا يقولون: اللهم إن كان ما يقول محمد حقًا في ادعاء الرسالة فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بما ذكره في هذه الآية[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ﴾ الخ [يونس:١٢].

إنه تعالى حكى عنهم أنهم يستعجلون في نزول العذاب ثم بين في هذه الآية أنهم كاذبون في ذلك الطلب والاستعجال لأنه لو نزل بالإنسان أدنى شيء يكرهه

---

(١) أبو سعود ٤/ ١٢٠.

(٢) التفسير الكبير ١٧/ ٣٨.

(٣) التفسير الكبير ١٧/ ٤٧.

ويؤذيه فإنه يتضرع إلى الله تعالى في إزالته عنه وفي دفعه عنه وذلك يدل على أنه ليس صادقًا في هذا الطلب[١].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ﴾ الخ [يونس:١٣].

بين في هذه الآية ما يجري مجرى التهديد وهو أنه تعالى قد ينزل بهم عذاب الاستيصال ولا يزيله[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ﴾ الخ [يونس:١٥].

اعلم أن هذا الكلام هو النوع الثالث من شبهاتهم وكلماتهم التي ذكروها في الطعن في نبوة النبي ﷺ حكاها الله تعالى في كتابه وأجاب عنها[٣].

قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾ الخ [يونس:١٧].

اعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها ظاهر[٤].

قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الخ [يونس:١٨].

قال أبو السعود: حكاية جناية أخرى لهم نشأت عنها جنايتهم الأولى[٥].

قال المسكين: أي قولهم: ائت بقرآن غير هذا أو بدله لأن في القرآن إبطال ألوهية أصنامهم.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً ﴾ الخ [يونس:١٩].

---

(١) التفسير الكبير ١٧/ ٤٩، ٥٠.

(٢) التفسير الكبير ١٧/ ٥٣.

(٣) التفسير الكبير ١٧/ ٥٥.

(٤) التفسير الكبير ١٧/ ٥٨.

(٥) أبو سعود ٤/ ١٣١.

اعلم أنه تعالى لما أقام الدلائل القاهرة على فساد القول بعبادة الأصنام بين السبب في كيفية حدوث هذا المذهب الفاسد والمقالة الباطلة(١).

قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ ﴾ الخ [يونس:٢٠].

اعلم أن هذا الكلام هو النوع الرابع من شبهات القوم في إنكارهم نبوته(٢).

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً ﴾ الخ [يونس:٢١].

اعلم أن القوم لما طلبوا من رسول الله ﷺ آية وأجاب الجواب وهو قوله تعالى: إنما الغيب لله ذكر جوابًا آخر وتقريره أن عادة هؤلاء الأقوام المكر واللجاج والعناد وعدم الإنصاف وإذا كانوا كذلك فبتقدير أن اعطوا ما سألوه من إنزال معجزات أخرى فإنهم لا يؤمنون بل يبقون على كفرهم(٣).

قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ الخ [يونس:٢٢].

قال المسكين: هذه متمم لما قرر قبله.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ الخ [يونس:٢٤].

اعلم أنه تعالى لما قال يا أيها الناس إنما بغيكم الخ اتبعه بهذا المثل العجيب الذي ضربه لمن يبغي في الأرض ويغتر بالدنيا ويشتد تمسكه بها(٤).

قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ ﴾ الخ [يونس:٢٥].

اعلم أنه تعالى لما نفر الغافلين عن الميل إلى الدنيا بالمثل السابق رغبهم في الآخرة

---

(١) التفسير الكبير ١٧/ ٦١.

(٢) التفسير الكبير ١٧/ ٦٣.

(٣) التفسير الكبير ١٧/ ٦٤.

(٤) التفسير الكبير ١٧/ ٧٢.

بهذه الآية[١].

قوله تعالى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ﴾ الخ [يونس:٢٦].

اعلم أنه تعالى لما دعا عباده إلى دار السلام ذكر السعادات التي تحصل لهم فيها[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ الخ [يونس:٢٧].

اعلم أنه تعالى كما شرح حال المسلمين في الآية المتقدمة شرح حال من أقدم على السيئات في هذه الآية[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ﴾ الخ [يونس:٢٨].

اعلم أن هذا نوع آخر من شرح فضائح أولئك الكفار الذين كسبوا السيئات[٤].

قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ تَبۡلُواْ ﴾ الخ [يونس:٣٠].

هذه الآية كالتتمة لما قبلها[٥].

قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ الخ [يونس:٣١].

اعلم أنه تعالى لما بين فضائح عبدة الأوثان اتبعها بذكر الدلائل الدالة على فساد

---

(١) التفسير الكبير ١٧/ ٧٤.

(٢) التفسير الكبير ١٧/ ٧٧.

(٣) التفسير الكبير ١٧/ ٧٩.

(٤) التفسير الكبير ١٧/ ٨٢.

(٥) التفسير الكبير ١٧/ ٨٥.

هذا المذهب[١].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ ﴾ الخ [يونس:٣٧].

قال أبو السعود: شروع في بيان ردهم للقرآن الكريم إثر بيان ردهم للأدلة العقلية المندرجة في تضاعيفه[٢].

قال المسكين: كأنه عود إلى تقرير مضمون قوله تعالى في أول السورة: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ ﴾ الخ [يونس:١٥].

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ ﴾ الخ [يونس:٤٠].

قال المسكين: بيان لمعاملة الكفار مع القرآن وصاحب القرآن على أنحاء شتى.

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ ﴾ الخ [يونس:٤٥].

اعلم أنه تعالى لما بين حال محمد ﷺ مع قومه بين أن حال كل الأنبياء مع أقوامهم كذلك[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ الخ [يونس:٤٨].

اعلم أن هذا هو الشبهة الخامسة من شبهات منكرى النبوة فإنه عليه الصلاة والسلام كلما هددهم بنزول العذاب ومر زمان ولم يظهر ذلك العذاب قالوا: متى هذا الوعد[٤].

---

(١) التفسير الكبير ١٧/ ٨٦.

(٢) أبو سعود ٤/ ١٤٥.

(٣) التفسير الكبير ١٧/ ١٠٦.

(٤) التفسير الكبير ١٧/ ١٠٧.

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ ﴾ الخ [يونس:٥٣] .

قال المسكين: هي تتمة لما قبلها وكذا قوله تعالى: ألا إن لله ما في السموات والأرض الخ تنبيه للجواب المذكور ببيان أن الله تعالى مالك العلويات والسفليات ووعده حق والإحياء والإماتة بيده فهو قادر على نزول العذاب متى شاء وإنه ينزل لا محالة.

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم ﴾ الخ [يونس:٥٧] .

اعلم أن الطريق إلى إثبات نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أمران الأول أن يقول: إن هذا الشخص قد ادعى للنبوة وظهرت المعجزة على يده وكل من كان كذلك فهو رسول من عند الله حقًا وصدقًا وهذا الطريق مما قد ذكره الله تعالى في قوله: ﴿ وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ ﴾ الخ [يونس:٣٧].

فنقول: إنه تعالى لما بين صحة نبوة محمد ﷺ بطريق المعجزة ففي هذه الآية بين صحة نبوته بالطريق الثاني وهذا الطريق طريق كاشف عن حقيقة النبوة معرف لماهيتها فالاستدلال بالمعجزة هو الذي يسميه المنطقيون برهان الإنّ وهذا الطريق هو الطريق الذي يسمونه برهان اللّمّ وهو أشرف وأعلى وأكمل وأفضل(١) .

قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ الخ [يونس:٥٩] .

لما ذكر الدلائل الكثيرة على صحة النبوة وبين فساد سؤالاتهم وشبهاتهم في إنكارها اتبع ذلك ببيان فساد طريقتهم في شرائعهم وأحكامهم(٢) .

قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٍ ﴾ الخ [يونس:٦١] .

---

(١) التفسير الكبير ١٧/ ١١٤ و١١٥ .

(٢) التفسير الكبير ١٧/ ١٢٠ .

اعلم أنه تعالى لما أطال الكلام في أمر الرسول بإيراد الدلائل على فساد مذاهب الكفار، وفي أمره بتحمل أذاهم وبالرفق معهم ذكر هذا الكلام ليحصل به تمام السلوة والسرور للمطيعين وتمام الخوف والفزع للمذنبين وهو كونه سبحانه وتعالى عالما بعمل كل واحد وبما في قلبه من الدواعي والصوارف(١).

قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ الخ [يونس:٦٢].

اعلم أنا بينا أن قوله تعالى: وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن، مما يقوي قلوب المطيعين ومما يكسر قلوب الفاسقين فاتبعه الله تعالى بشرح أحوال المخلصين الصادقين الصديقين في هذه الآية(٢).

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡ ﴾ الخ [يونس:٦٥].

قال أبو السعود: تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام عما كان يلقاه من جهتهم من الأذية الناشئة عن مقالاتهم الموحشة، وتبشير له عليه الصلاة والسلام بأنه لأ ينصره ويعززه عليهم إثر بيان أن له ولأتباعه أمنا من كل محذور وفوزا بكل مطلوب(٣).

قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ﴾ الخ [يونس:٦٦].

قال ابو السعود: وهو مع ما فيه من التأكيد لما سبق من اختصاص العزة لله تعالى الموجب لسلوته ﷺ وعدم مبالاة بالمشركين وبمقالاتهم، تمهيد لما لحق من قوله تعالى: وما يتبع الذين الخ وبرهان على بطلان ظنونهم وأعمالهم المبنية عليها(٤).

---

(١) التفسير الكبير ١٧/ ١٢١.

(٢) التفسير الكبير ١٧/ ١٢٥.

(٣) أبو سعود ٤/ ١٦١.

(٤) أبو سعود ٤/ ١٦١.

قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ﴾ الخ [يونس:٦٧] .

قال أبو السعود: تنبيه على تفرده تعالى بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة ليدلهم على توحيده سبحانه باستحقاق العبادة وتقرير لما سلف من اختصاص العزة به سبحانه(١) .

قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ ﴾ الخ [يونس:٦٨] .

اعلم أن هذا نوع آخر من الأباطيل التي حكاها الله تعالى عن الكفار(٢) .

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ ﴾ الخ [يونس:٦٩] .

اعلم أنه تعالى لما بين بالدليل القاهر أن إثبات الولد لله تعالى قول باطل ثم بين أنه ليس لهذا القائل دليل على صحة قوله فقد ظهر أن ذلك المذهب افتراء على الله ونسبة لما لا يليق به إليه فبين أن من هذا حاله فإنه لا يفلح البتة(٣) .

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ ﴾ الخ [يونس:٧١] .

قال أبو السعود: ليتدبروا ما فيه من زوال ما تمتعوا به من النعيم وحلول عذاب الغرق الموصول بالعذاب المقيم فينزجروا بذلك عما هم عليه من الكفر أو تنكسر شدة شكيمتهم أو يعترف بعضهم بصحة نبوتك بأن عرفوا أن ما تتلوه موافق لما ثبت عندهم من غير مخالفة بينهما أصلًا مع علمهم بأنك لم تسمع ذلك من أحد، ليس إلا بطريق الوحي.

وفيه من تقرير ما سبق من كون الكل لله سبحانه واختصاص العزة به تعالى

---

(١) أبو سعود ٤/ ١٦٢ .

(٢) التفسير الكبير ١٧/ ١٣٢ .

(٣) التفسير الكبير ١٧/ ١٣٤ .

وانتفاء الخوف والحزن عن أوليائه عزوعلا قاطبة وتشجيع النبي ﷺ وحمله على عدم المبالاة بهم وبأقوالهم وأفعالهم ما لا يخفى(١).

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ الخ [يونس:٩٣].

قال أبو السعود: كلام مستأنف سيق لبيان النعم الفائضة عليهم إثر نعمة الإنجاء على وجه الإجمال وإخلالهم بشكرها وأداء حقوقها(٢).

قوله تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ ﴾ الخ [يونس:٩٤].

اعلم أنه تعالى لما ذكر من قبل اختلافَهم عند ما جاءهم العلم أورد على رسول الله ﷺ في هذه الآية ما يقوى قلبه في صحة القرآن والنبوة(٣).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ ﴾ الخ [يونس:٩٦].

قال أبو السعود: شروع في بيان سر إصرار الكفرة على ما هم عليه من الكفر والضلال(٤).

قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ﴾ الخ [يونس:٩٨].

قال أبو السعود: كلام مستأنف لتقرير ما سبق من استحالة إيمان من حقت عليهم كلمته تعالى لسوء اختيارهم مع تمكنهم من التدارك فيكون الاستثناء الآتي بيانًا لكون قوم يونس عليه الصلاة والسلام ممن لم يحق عليه الكلمة لاهتدائهم إلى التدارك في وقته(٥).

---

(١) أبو سعود ٤/ ١٦٤.

(٢) أبو سعود ٤/ ١٧٤.

(٣) التفسير الكبير ١٧/ ١٦٠.

(٤) أبو سعود ٤/ ١٧٥.

(٥) أبو سعود ٤/ ١٧٦.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ﴾ الخ [يونس:٩٩].

قال أبو السعود: تحقيق لدوران إيمان كافة المكلفين وجودًا وعدمًا على قطب مشيته تعالى مطلقًا إثر بيان تبعية كفر الكفرة لكلمته(١).

قوله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ الخ [يونس:١٠١].

اعلم أنه تعالى لما بين في الآيات السالفة أن الإيمان لا يحصل إلا بتخليق الله تعالى ومشيته أمر بالنظر والاستدلال في الدلائل حتى لا يتوهم أن الحق هو الجبر المحض(٢).

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ﴾ الخ [يونس:١٠٢].

قال المسكين: تقرير لما سبق من عدم إغناء الآيات والنذر عنهم ببيان أنهم لا يؤمنون حتى يقع عليهم العذاب فيؤمنون حيث لا ينفعهم الإيمان.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ﴾ الخ [يونس:١٠٤].

اعلم أنه تعالى لما ذكر الدلائل على أقصى الغايات وأبلغ النهايات أمر رسوله بإظهار دينه وبإظهار المباينة عن المشركين لكي تزول الشكوك والشبهات في أمره وتخرج عبادة الله تعالى من طريقة السر إلى الإظهار(٣).

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ الخ [يونس:١٠٧].

قال أبو السعود: تقرير لما أورد في حيز الصلة من سلب النفع من الأصنام

---

(١) أبو سعود ٤/ ١٧٧.

(٢) التفسير الكبير ١٧/ ١٦٩.

(٣) التفسير الكبير ١٧/ ١٧٢.

وتصويرٌ لاختصاصه به سبحانه(١).

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ الخ [يونس:١٠٨].

قال المسكين: إتمام للحجة بعد تبليغ الدين.

قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعْ ﴾ الخ [يونس:١٠٩].

قال المسكين: أمر له عليه الصلاة والسلام بالإتباع والصبر على التبليغ إثر الأمر بالتبليغ.

***

(١) أبو سعود ٤/ ١٨٠ .

سورة هود عليه الصلاة والسلام

فاتحة هذه وخاتمة ما قبلها تشتملان على بيان الرسالة[١].

قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ الخ [هود:٢].

قال أبو السعود: كأنه قيل: كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا إلا الله أي لتتركوا عبادة غير الله لأ وتتمحضوا في عبادته فإن الأحكام والتفصيل على ما فصل من المعاني مما يدعوهم إلى الإيمان والتوحيد وما يتفرع عليه من الطاعات قاطبة[٢].

قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ الخ [هود:٥].

قال المسكين: بيان للتولي وإشارة إلى جزائه.

قوله تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الخ [هود:٦].

اعلم أنه تعالى لما ذكر في الآية الأولى أنه يعلم ما يسرون وما يعلنون أردفه بما يدل على كونه تعالى عالما بجميع المعلومات فذكر أن رزق كل حيوان إنما يصل إليه من الله تعالى فلو لم يكن عالمًا بجميع المعلومات لما حصلت هذه المهمات[٣].

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الخ [هود:٧].

اعلم أنه تعالى لما أثبت بالدليل المتقدم كونه عالما بالمعلومات أثبت بهذا الدليل

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) أبو سعود ٤/ ١٨٣.

(٣) التفسير الكبير ١٧/ ١٨٥.

كونه تعالى قادرًا على كل المقدورات[١].

(فهو تقرير لقوله تعالى فيما قبل: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [هود:٤])[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن قُلْتَ ﴾ الخ [هود:٧].

اعلم أنه تعالى لما بين أنه خلق هذا العالم لأجل ابتلاء المكلفين وامتحانهم فهذا يوجب القطع بحصول الحشر والنشر فعند هذا خاطب محمدًا عليه الصلاة والسلام وقال: ولئن قلت الخ[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ ﴾ الخ [هود:٨].

قال المسكين آخذا من أبي السعود: لما أوعدهم الله تعالى بالعذاب في قوله: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود:٣] تعجبوا من تأخيره فأجاب الله تعالى في هذه الآية[٤].

قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ الخ [هود:٩].

قال أبو السعود: ووجه تعلق الآيات الثلث بما قبلهن من حيث أن إذاقة النعماء ومساس الضراء فصل من باب الابتلاء واقع موقع التفصيل من الإجمال الواقع في قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود:٧] والمعنى أن كلا من إذاقة النعماء ونزعها في كونه ابتلاء للإنسان أيشكر أم يكفر؟ لا يهتدي فيه إلى سنن الصواب بل يحيد في كلتا الحالتين عنه إلى مهاوي الضلال فلا يظهر منه بأحسن عمل إلا من

---

(١) التفسير الكبير ١٧/ ١٨٧.

(٢) ما بين القوسين في هامش الكتاب زيادة من المؤلف.

(٣) التفسير الكبير ١٧/ ١٨٨.

(٤) أبو سعود ٤/ ١٨٩.

الصابرين الصالحين أو من حيث أن إنكارهم بالبعث واستهزائهم العذاب بسبب بطرهم وفخرهم كأنه قيل: إنما فعلوا ما فعلوا لأن طبيعة الإنسان مجبولة على ذلك[١].

قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ ﴾ الخ [هود:١٢].

اعلم أن هذا نوع آخر من كلمات الكفار والله تعالى بين أن قلب الرسول ضاق بسببه ثم أنه تعالى قواه وأيده بالإكرام والتأييد[٢].

قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ ﴾ الخ [هود:١٣].

اعلم أن القوم لما طلبوا منه المعجز (بقولهم: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ ﴾ [هود:١٢] الخ).

قال: معجزى هذا القرآن ولما حصل المعجز الواحد كان طلب الزيادة بغيًا وجهلًا ثم قرر كونه معجزًا بأن تحداهم بالمعارضة[٣].

قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ الخ [هود:١٥].

قال أبو السعود: لما أمر نبيه عليه الصلاة والسلام والمؤمنين بأن يزدادوا علمًا ويقينًا بأن القرآن منزل بعلم الله وبأن لا قدرة لغيره على شيئ أصلًا وهيجهم على الثبات على الإسلام والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون من دون الله عن المعارضة وتبين أنهم ليسوا على شيء أصلًا اقتضى الحال أن يتعرض لبعض شؤونهم الموهمة لكونهم على شيء في الجملة من نيلهم الحظوظ العاجلة واستيلائهم

---

(١) أبو سعود ٤/ ١٩٠.

(٢) التفسير الكبير ١٧/ ١٩٢.

(٣) التفسير الكبير ١٧/ ١٩٤ وما بين القوسين من الهامش.

على المطالب الدنيوية وبيان أن ذلك بمعزل عن الدلالة عليه ولقد بين ذلك أي بيان ثم أعيد الترغيب فيما ذكر من الإيمان بالقرآن والتوحيد والإسلام فقيل: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ الخ [هود:١٧] وتقديره أفمن كان على بينة من ربه كأولئك الذين ذكرت أعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم يعني أن بينهما تفاوتًا عظيمًا(١).

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾ إلى قوله: ﴿ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ الخ [هود:١٨-٢٢].

قال أبو السعود: وهذه الآيات كما ترى مقررة لما سبق من إنكار المماثلة بين من كان على بينة من ربه وبين ما كان يريد الحياة الدنيا أبلغ تقرير فإنهم حيث كانوا أظلم من كل ظالم وأخسر من كل خاسر لم يتصور مماثلة بينهم وبين أحد من الظلمة الأخسرين فما ظنك بالمماثلة بينهم وبين من هو في أعلى مدارج الكمال ولما ذكر فريق الكفار وأعمالهم شرح في بيان حال أضدادهم أعني فريق المؤمنين وما يؤول إليه أمرهم من العواقب الحميدة تكملة لما سلف عن محاسنهم المذكورة في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ الآية [هود:١٧] ليتبين ما بينهما من التباين البين حالا ومآلًا فقيل: إن الذين آمنوا الخ وبعد بيان حاليهما عقلًا أريد بيان تباينهما حسًّا فقيل: مثل الفريقين كالأعمى(٢).

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾ [هود:٢٥] إلى آخر القصص المذكورة في السورة.

قال أبو السعود: ولما بين من فاتحة السورة الكريمة إلى هذا المقام أنها كتاب محكم الآيات، مفصلها، نازل في شأن التوحيد وترك عبادة غير الله سبحانه وأن

---

(١) أبو سعود ٤/ ١٩٤.

(٢) أبو سعود ٤/ ١٩٧، ١٩٨.

الذي أنزل عليه نذير وبشير من جهته تعالى وقرر في تضاعيف ذلك ماله مدخل في تحقيق هذا المرام من الترغيب والترهيب وإلزام المعاندين بما يقارنه من الشواهد الحقة الدالة على كونه من عند الله تعالى، وتسلية الرسول ﷺ مما عراه من ضيق الصدر العارض له من اقتراحاتهم الشنيعة وتكذيبهم له وتسميتهم للقرآن تارة سحرًا وأخرى مفترى، وتثبيته عليه الصلاة والسلام والمؤمنين على التمسك به والعمل بموجبه على أبلغ وجه وأبدع أسلوب.

شرع في تحقيق ما ذكر وتقريره بذكر قصص الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين المشتملة على ما اشتمل عليه فاتحة السورة الكريمة ليتأكد ذلك بطريقين:

أحدهما أن ما أمر به من التوحيد وفروعه مما أطبق عليه الأنبياء قاطبة والثاني أن ذلك إنما علمه رسول الله ﷺ بطريق الوحي فلا يبقى في حقيته كلام أصلًا وليتسلى بما يشاهده من معاناة الرسل قبله من أممهم ومقاساتهم الشدائد من جهتهم[1].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّمَنْ ﴾ الخ [هود:١٠٣].

قال المسكين: ذكر أعظم منافع بيان القصص ثم اتبعه بذكر يوم الآخرة وأحواله وما يلقى الناس فيه من سعداء وأشقياء.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ ﴾ الخ [هود:١٠٩].

قال أبو السعود: ولما كان مساق النظم الكريم قبيل الشروع في القصص لبيان غاية سوء حال الكفرة وكمال حسن حال المؤمنين وقد ضرب لهم مثلًا فقيل: مثل الفريقين الخ وقد قص عقيب ذلك من أنباء الأمم السالفة مع رسلهم المبعوثة إليهم

---

(١) أبو سعود ٤/ ١٩٩.

ما يتذكر به المتذكر نهي رسول الله ﷺ عن كونه في شك من مصير أمر هؤلاء المشركين في العاجل والآجل ثم علل ذلك فقيل: ما يعبدون الخ أي هم وآباؤهم سواء في الشرك وقد بلغك ما لحق بآبائهم فيلحقهم مثل ذلك فإن تماثل الأسباب يقتضي تماثل المسببات(١).

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ﴾ الخ [هود:١١٠].

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى إصرار كفار مكة وبين تعالى أن هؤلاء الكفار كانوا على هذه السيرة الفاسدة مع كل الأنبياء عليهم السلام ضرب لذلك مثلًا وهو أنه لما أنزل التوراة اختلفوا فيه وذلك يدل على أن عادة الخلق هكذا(٢).

قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ ﴾ الخ [هود:١١٢].

قال أبو السعود: لما بين في تضاعيف القصص سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل وأن كل واحد من المؤمنين والكافرين يوفى جزاء عمله أمر رسول الله ﷺ بالاستقامة كما أمر به(٣).

قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ الخ [هود:١١٤].

اعلم أنه تعالى لما أمره بالاستقامة أردفه بالأمر بالصلاة وذلك يدل على أن أعظم العبادات بعد الإيمان بالله هو الصلاة(٤).

قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ ﴾ الخ [هود:١١٦].

---

(١) أبو سعود ٤/ ٢٤٣.

(٢) التفسير الكبير ١٨/ ٦٨ و٦٩.

(٣) أبو سعود ٤/ ٢٤٤.

(٤) التفسير الكبير ١٨/ ٧٢.

اعلم أنه تعالى لما بين أن الأمم المتقدمين حل بهم عذاب الاستيصال بين السبب فيه[١].

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ ﴾ الخ [هود:١١٨].

قال المسكين: كان المذكور في الآية الأولى السبب الظاهري وفي هذه الآية السبب الخفي.

قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ ﴾ الخ [هود:١٢٠].

اعلم أنه تعالى لما ذكر القصص الكثيرة في هذه السورة ذكر في هذه الآية نوعين من الفائدة (أحدهما للرسول وثانيهما للمؤمنين) الخ[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الخ [هود:١٢١].

اعلم أنه تعالى لما بلغ الغاية في الإعذار والإنذار والترغيب والترهيب اتبع ذلك بأن قال للرسول: ﴿ وَقُل ﴾ الخ [هود:١٢١][٣].

***

---

(١) التفسير الكبير ١٨/ ٧٥.

(٢) التفسير الكبير ١٨/ ٧٩ وما بين القوسين في الهامش.

(٣) التفسير الكبير ١٨/ ٨٠.

سورة يوسف عليه الصلاة والسلام

لما قال في آخر السورة التي تقدمت: وكلا نقص عليك من أنباء الرسول الخ بين في هذه السورة القصة التي هي أحسن القصص(١).

قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ الخ [يوسف:١٠٢].

اعلم أن المقصد من هذا إخبار عن الغيب فيكون معجزًا(٢).

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ ﴾ الخ [يوسف:١٠٣].

اعلم أن وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أن كفار قريش وجماعة من اليهود طلبوا هذه القصة من رسول الله ﷺ على سبيل التعنت، واعتقد رسول الله ﷺ أنه إذا ذكرها فربما آمنوا فلما ذكرها أصروا على كفرهم فنزلت هذه الآية(٣).

قال المسكين: ثم ذكر غفلتهم عن الآيات الكونية كغفلتهم عن الآيات المنزلة وذكر الوعيد بالعذاب على الغفلة ثم أمر عليه السلام بإظهار حقيقة سبيل الحق الذي بعث به والدعوة إليه ثم دفع الاستبعاد في كونه عليه الصلاة والسلام رسولًا لكونه بشرًا وذكر عاقبة المكذبين للرسل من حلول العذاب بهم ولو بعد حين ثم نبه على فائدة ذكر القصص في القرآن وقرر كون القرآن المشتمل على هذه القصص حقا وصدقا وهدى ورحمة.

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) التفسير الكبير ١٨/ ٢٢٢.

(٣) التفسير الكبير ١٨/ ٢٢٣.

سورة الرعد

والمناسبة بين أول هذه السورة وآخر السورة المتقدمة أن كليهما يشتركان في إثبات حقية القرآن[١] .

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ الخ [الرعد:٢] .

اعلم أنه تعالى لما ذكر أن أكثر الناس لا يؤمنون ذكر عقيبه ما يدل على صحة التوحيد والمعاد[٢] .

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ الخ [الرعد:٣] .

اعلم أنه تعالى لما قرر الدلائل السماوية أردفها بتقرير الدلائل الأرضية[٣] .

قوله تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ ﴾ الخ [الرعد:٤] .

قال أبو السعود: جملة مستأنفة مشتملة على طائفة أخرى من الآيات[٤] .

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِن تَعْجَبْ ﴾ الخ [الرعد:٥] .

اعلم أنه تعالى لما ذكر الدلائل القاهرة على ما يحتاج إليه في معرفة المبدء ذكر بعده مسألة المعاد[٥] .

قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ ﴾ الخ [الرعد:٦] .

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب .

(٢) التفسير الكبير ١٨/ ٢٣١ .

(٣) التفسير الكبير ١٩/ ٢ .

(٤) أبو سعود ٥/ ٥ .

(٥) التفسير الكبير ١٩/ ٨ .

اعلم أنه ﷺ كان يهددهم تارة بعذاب القيامة وتارة بعذاب الدنيا، والقوم كلما هددهم بعذاب القيامة أنكروا القيامة والبعث والحشر والنشر وهو الذي تقدم ذكره في الآية الأولى وكلما هددهم بعذاب الدنيا قالوا له: فجئنا بهذا العذاب فلهذا السبب حكى الله عنهم أنهم يستعجلون[(١)].

قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الخ [الرعد:٧].

اعلم أنه تعالى حكى عن الكفار أنهم طعنوا في نبوته بسبب طعنهم في الحشر والنشر أولًا، ثم طعنوا في نبوته بسبب طعنهم في صحة ما ينذرهم به من نزول عذاب الاستيصال ثانيًا، ثم طعنوا في نبوته بأن طلبوا منه المعجزة (اي من مقترحاتهم الواهية) والبينة ثالثًا، وهو المذكور في هذه الآية[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ ﴾ الخ [الرعد:٨].

قال المسكين: هذا الركوع بكماله تقرير للتوحيد وإبطال للشرك مرتبط بقوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ الخ [الرعد:٢] وفي تضاعيفه جعل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ الخ [الرعد:١١] غاية للحفظ المذكور في قوله: يحفظونه من أمر الله وضرب أمثالًا للحق والباطل، وبين جزاء المحق والمبطل ثم ذكر أوصاف المحقين والمبطلين بقوله: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ الخ - إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:١٩-٢٥].

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ ﴾ الخ [الرعد:٢٦].

اعلم أنه تعالى لما حكم على نقض عهد الله في قبول التوحيد والنبوة بأنهم

---

(١) التفسير الكبير ١٩/ ١٠.

(٢) التفسير الكبير ١٩/ ١٢ وما بين القوسين من الهامش.

ملعونون في الدنيا ومعذبون في الآخرة فكأنه قيل لو كانوا أعداء الله لما فتح الله عليهم أبواب النعم واللذات في الدينا فأجاب الله عنه بهذه الآية[(١)].

قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الخ [الرعد:٢٧].

قال المسكين: كان المذكور إلى ههنا أمر التوحيد وما يتعلق به والآن شرع في إثبات الرسالة والجواب عن شبهاتهم فيها وتقريعهم على إنكارها ففي هذه الآية أجاب عن شبهتهم المشهورة: لو لا أنزل عليه آية من ربه. حاصل الجواب أنا أعطيناك آية عظيمة هي الذكر أي القرآن الذي تطمئن به قلوب المؤمنين ويضل به المردة من الطاغين.

قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ ﴾ الخ [الرعد:٣٠].

قال المسكين: فيه تصريح بالمقصود وأما قوله: وهم يكفرون بالرحمن فلعل المراد به تسلية النبي ﷺ أي لا تحزن لو كفروا بك فإنهم يكفرون بالرحمن فتوكل عليه ولا تهتم بهم.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ ﴾ الخ [الرعد:٣١].

قال المسكين: فيه إثبات لأمر القرآن الدال على النبوة وإقناط من إيمانهم وبيان لجزائهم على الكفر.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ ﴾ الخ [الرعد:٣٢].

قال المسكين: فيه تسلية للنبي ﷺ عما لقي من المشركين من التكذيب والاقتراح على طريقة الاستهزاء به ووعيد لهم ثم أشار إلى استحقاقهم العذاب في قوله تعالى: أفمن هو قائم على كل نفس الخ ببيان أن أمر التوحيد عقلي بديهي لا عذر لأحد في

---

(١) التفسير الكبير ١٩/ ٤٧.

الإعراض عنه وإهمال أمره.

قوله تعالى: ﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ﴾ الخ [الرعد:٣٥].

اعلم أنه تعالى لما ذكر عذاب الكفار في الدنيا والآخرة اتبعه بذكر ثواب المتقين(١).

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الخ [الرعد:٣٦].

قال المسكين: هذا دليل آخر على حقية القرآن الذي جاء به الرسول بأن أهل الكتاب يصدقونه ثم أشار إلى ركاكة رأي المنكرين بقوله: قل إنما أمرت الخ أي ليس فيما أنزل إلى أمر التوحيد وهذا مما لا ينكر.

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ الخ [الرعد:٣٧].

قال المسكين: فيه تصريح أيضًا بالمقصود من إنزال القرآن على الرسول.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ ﴾ الخ [الرعد:٣٨].

اعلم أن القوم كانوا يذكرون أنواعًا من الشبهات في إبطال نبوته فالشبهة الأولى قولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان:٧] وهذه الشبهة إنما ذكرها الله تعالى في سورة أخرى والشبهة الثانية قولهم: الرسول لا بد وأن يكون من جنس الملائكة فأجاب الله تعالى عنه ههنا بقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ﴾ الخ.

الشبهة الثالثة عابوا رسول الله ﷺ بكثرة الزوجات فأجاب الله تعالى عنه بقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ﴾ الخ.

والشبهة الرابعة قالوا لو كان رسولًا من عند الله لكان أي شيء طلبنا منه من

---

(١) التفسير الكبير ١٩/ ٥٨.

المعجزات أتى به ولم يتوقف فأجاب الله تعالى عنه بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ الخ [الرعد:٣٨].

الشبهة الخامسة أنه ﷺ كان يخوفهم بنزول العذاب ثم إن ذلك الموعود كان يتأخر فأجاب الله تعالى عنه بقوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد:٣٨].

الشبهة السادسة قالوا: لو كان في دعوى الرسالة محقا لما نسخ الأحكام التي نص الله تعالى على ثبوتها في الشرائع المتقدمة فأجاب الله سبحانه وتعالى عنه بقوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [الرعد:٣٩] (١).

قوله تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ الخ [الرعد:٤٠].

قال المسكين: كأنه تفصيل وتوضيح لقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ الخ [الرعد:٣٨].

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي﴾ الخ [الرعد:٤١].

اعلم أنه تعالى لما وعد رسوله بأن يريه بعض ما وعده أو يتوفاه قبل ذلك بين في هذه الآية أن آثار حصول تلك المواعيد وعلاماتها قد ظهرت (٢).

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الخ [الرعد:٤٣].

اعلم أنه تعالى حكى عن القوم أنهم أنكروا كونه رسولًا من عند الله ثم أنه تعالى احتج عليهم بأمرين الأول شهادة الله والمراد أنه تعالى أظهر المعجزات والثاني قوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ الخ[الرعد:٤٣] (٣).

---

(١) التفسير الكبير ١٩/ ٦٣،٦٢.

(٢) التفسير الكبير ١٩/ ٦٧.

(٣) التفسير الكبير ١٩/ ٦٩.

سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام

بين أمر الرسالة في آخر المتقدمة وأول هذه فهذا هو وجه الربط بينهما[١].

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ ﴾ الخ [إبراهيم:٤].

قال المسكين: كأنه تسليم لقوله لتخريج الناس من الظلمات أي كافتهم فكان الحاصل أنا بعثنا جميع الرسل إلى أقوامهم خاصة وأرسلناك إلى الناس عامة.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ ﴾ الخ [إبراهيم:٥].

قال أبو السعود: شروع في تفصيل ما أجمل في قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا ﴾ (وقد مر مرارًا ما في ذكر القصص من الحكم)[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ ﴾ الخ [إبراهيم:٧].

قال أبو السعود: من جملة مقال موسى عليه الصلاة والسلام لقومه[٣].

قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ ﴾ الخ [إبراهيم:٩].

قال المسكين: هذا ترهيب منه عليه الصلاة والسلام غب ترغيب ويحتمل أن يكون ابتداء مخاطبة من الله تعالى لقوم الرسول ﷺ ثم ذكر تعالى المناظرة التي وقعت بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأقوامهم إلى خاتمة الركوع ثم ذكر تعالى جزاء المكذبين في قوله تعالى: فأوحى إليهم ربهم إلى آخر الركوع وأشار في تضاعيفه بقوله تعالى: ألم تر أن الله خلق السموات والأرض الخ إلى أن من هذا شأنه حقيق بأن

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) أبو سعود ٥/ ٣٣ وما بين القوسين من هامش الكتاب.

(٣) أبو سعود ٥/ ٣٤.

يؤمن به ويرجى ثوابه ويخشى عقابه.

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ الخ [إبراهيم:٢٢].

اعلم أنه تعالى لما ذكر المناظرة التي وقعت بين الرؤساء والاتباع من كفرة الإنس أردفها بالمناظرة التي وقعت بين الشيطان وبين اتباعه من الإنس(١).

قوله تعالى: ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ الخ [إبراهيم:٢٣].

اعلم أنه تعالى لما بالغ في شرح أحوال الأشقياء من الوجوه الكثيرة شرح أحوال السعداء(٢).

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ ﴾ الخ [إبراهيم:٢٤].

اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال الأشقياء وأحوال السعداء ذكر مثالًا يبين الحال في حكم هذين القسمين(٣).

قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ﴾ الخ [إبراهيم:٢٧].

قال المسكين: بيان كيفية التشبيه وآثاره.

قوله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ ﴾ الخ [إبراهيم:٢٨].

اعلم أنه تعالى عاد إلى وصف أحوال الكفار في هذه الآية.

(أقول: كان فيما قبل بيان الكفار السابقين وههنا ذكر حال الموجودين منهم)(٤).

---

(١) التفسير الكبير ١٩/ ١٠٩.

(٢) التفسير الكبير ١٩/ ١١٥.

(٣) التفسير الكبير ١٩/ ١١٦.

(٤) التفسير الكبير ١٩/ ١٢٣ وما بين القوسين من الهامش.

قوله تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الخ [إبراهيم:٣١] .

اعلم أنه تعالى لما أمر الكافرين على سبيل التهديد والوعيد بالتمتع بنعيم الدنيا امر المؤمنين في هذه الآية بترك التمتع بالدنيا والمبالغة في المجاهدة بالنفس والمال(١) .

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ الخ [إبراهيم:٣٢] .

اعلم أنه تعالى لما أطال الكلام في وصف أحوال السعداء وأحوال الأشقياء وكانت العمدة في حصول السعادات معرفة الله تعالى بذاته وبصفاته وفي حصول الشقاوة فقدان هذه المعرفة لا جرم ختم الله تعالى وصف أحوال السعداء والأشقياء بالدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته(٢) .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ الخ [إبراهيم:٣٥] .

اعلم أنه تعالى لما بين بالدلائل المتقدمة أنه لا معبود إلا الله سبحانه وتعالى وأنه لا يجوز عبادة غيره تعالى البتة حكى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام مبالغة في إنكار عبادة الأوثان(٣) .

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا ﴾ الخ [إبراهيم:٤٢] .

قال المسكين: هذا عود إلى ذكر جزاء المكذبين بالتوحيد والنبوة ويمتد إلى خاتمة السورة فخلاصة السورة كلها تقرير أمر النبوة ووعيد المنكرين لها والله أعلم.

ثم فخم شأن الكتاب الكافل لما ذكر بقوله: هذا بلاغ للناس، وبين فوائده العلمية والعملية.

---

(١) التفسير الكبير ١٩/ ١٢٤ .

(٢) التفسير الكبير ١٩/ ١٢٦ .

(٣) التفسير الكبير ١٩/ ١٣١ .

سورة الحجر

لما ختم السورة التي مرت ببيان جزاء المكذبين بين في أول هذه السورة تمنيهم الإسلام إذ رأوا الجزاء[١].

قوله تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ ﴾ الخ [الحجر:٣].

قال أبو السعود: لما بين كون السورة الكريمة بعضا من الكتاب والقرآن لتوجيه المخاطبين إلى حسن تلقى ما فيها من الأحكام والقصص والمواعظ شرع في بيان ما يتضمنه فقيل: ربما وقال: هذه بيان حقارة شأن الكفار وعدم الاعتداد بما هم فيه من الكفر والتكذيب كما ينطق به قوله تعالى: ذرهم يأكلوا[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ ﴾ الخ [الحجر:٤].

قال أبو السعود: شروع في بيان سر تأخير عذابهم[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ ﴾ الخ [الحجر:٦].

قال أبو السعود: شروع في بيان كفرهم بمن أنزل عليه الكتاب بعد بيان كفرهم بالكتاب وما يؤول إليه حالهم[٤].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ ﴾ الخ [الحجر:٩].

قال أبو السعود: رد لإنكارهم التنزيل واستهزائهم برسول الله ﷺ وتسلية

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) أبو سعود ٥/ ٦٣، ٦٤.

(٣) أبو سعود ٥/ ٦٥.

(٤) أبو سعود ٥/ ٦٦.

له[١].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ ﴾ الخ [الحجر:١٠].

اعلم أن القوم لما أساؤوا في الأدب وخاطبوه بالسفاهة وقالوا: إنك لمجنون فالله تعالى ذكر أن عادة هؤلاء الجهال مع جميع الأنبياء هكذا كانت ولك أسوة في الصبر[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ﴾ الخ [الحجر:١٤].

اعلم أن القوم لما طالبوا نزول الملائكة بين الله تعالى في هذه الآية أن بتقدير أن يحصل هذا المعنى لقال الذين كفروا: هذا من باب السحر[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ﴾ الخ [الحجر:١٦].

اعلم أنه تعالى لما أجاب عن شبهة منكرى النبوة وكان قد ثبت أن القول بالنبوة متفرع على القول بالتوحيد اتبعه بدلائل التوحيد فقال: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ ﴾ الخ [الحجر:١٦] ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا ﴾ الخ [الحجر:١٩] ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ﴾ الخ [الحجر:٢٠]، ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا﴾ الخ [الحجر:٢١] ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾ الخ [الحجر:٢٢] ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي ﴾ الخ [الحجر:٢٣] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ ﴾ الخ [الحجر:٢٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ﴾ الخ [الحجر:٢٥] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ ﴾ الخ [الحجر:٢٥][٤].

---

(١) أبو سعود ٥/ ٦٨.

(٢) التفسير الكبير١٩/ ١٦١.

(٣) التفسير الكبير ١٩/ ١٦٦.

(٤) التفسير الكبير ١٩/ ١٦٨.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ الخ [الحجر:٢٨].

اعلم أنه تعالى لما ذكر حدوث الإنسان الأول واستدل بذكره على وجود الإله القادر المختار ذكر بعده واقعته[(١)].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ ﴾ الخ [الحجر:٤٥].

اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال أهل العقاب اتبعه بصفة أهل الثواب[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ الخ [الحجر:٥١].

قال أبو السعود: المقصود اعتبارهم بما جرى على إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع اهله من البشرى في تضاعيف الخوف، وبما حل بقوم لوط من العذاب ونجاته عليه الصلاة والسلام مع أهله التابعين له في ضمن الخوف، وتنبيههم بحلول انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بأن عذاب الله هو العذاب الأليم[(٣)].

وفي الكبير: اعلم أنه تعالى لما بالغ في تقرير النبوة ثم أردفه بذكر دلائل التوحيد ثم ذكر عقيبه أحوال القيامة وصفة الأشقياء والسعداء اتبعه بذكر قصص الأنبياء عليهم السلام ليكون سماعها مرغبًا في الطاعة الموجبة للفوز بدرجات الأنبياء ومحذرًا عن المعصية لاستحقاق دركات الأشقياء فبدأ أولًا بقصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام[(٤)].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ الخ [الحجر:٨٥].

---

(١) التفسير الكبير ١٩/ ١٨١.

(٢) التفسير الكبير ١٩/ ١٩١.

(٣) أبو سعود ٥/ ٨٠.

(٤) التفسير الكبير ١٩/ ١٩٥.

اعلم أنه تعالى لما ذكر أنه أهلك الكفار فكأنه قيل الإهلاك والتعذيب كيف يليق بالرحيم الكريم؟ فأجاب عنه أنها خلقت الخلق ليكونوا مشتغلين بالعبادة والطاعة فإذا تركوها وأعرضوا عنها وجب في الحكمة إهلاكهم وتطهير وجه الأرض منهم.

(ليس المراد بالوجوب الوجوب العقلي كما عند المعتزلة بل بمحض إرادته ومشيته كما عند أهل الحق)[1].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا ﴾ الخ [الحجر:٨٧].

اعلم أنه تعالى لما صبره على أذى قومه وأمره بأن يصفح الصفح الجميل اتبع بذكر النعم العظيمة التي خص الله تعالى محمدًا ﷺ بها لأن الإنسان إذا تذكر كثرة نعم الله عليه سهل عليه الصفح والتجاوز[2].

قوله تعالى: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ الخ [الحجر:٨٨].

لما عرف رسوله ﷺ عظم نعمه عليه فيما يتعلق بالدين نهاه عن الرغبة في الدنيا[3].

قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ﴾ الخ [الحجر:٨٩].

اعلم أنه تعالى لما أمر رسوله بالزهد في الدنيا وخفض الجناح للمؤمنين أمره بأن يقول للقوم: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴾ فيدخل تحت كونه نذيرًا كونه مبلغًا لجميع التكاليف[4].

---

(١) التفسير الكبير ١٩/ ٢٠٥ و٢٠٦ وما بين القوسين في الهامش.

(٢) التفسير الكبير ١٩/ ٢٠٧.

(٣) التفسير الكبير ١٩/ ٢١٠.

(٤) التفسير الكبير ١٩/ ٢١١.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ ﴾ الخ [الحجر:٩٧] .

اعلم أنه تعالى لما ذكر أن قومه يسفهون عليه قال له: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ﴾ لأن الجبلة البشرية والمزاج الإنساني يقتضي ذلك فعند هذا قال له: ﴿ فَسَبِّحۡ ﴾ الخ [الحجر:٩٨][١] .

***

(١) التفسير الكبير ١٩/ ٢١٥ .

سورة النحل

ختم السورة السابقة بإثبات الرسالة وافتتح هذه ببيان التوحيد. وأيضًا لما قال في تلك: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ﴾ [الحجر:٩٧] أخبر في هذه بأنه ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ الخ لئلا يضيق صدره(١).

قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ الخ [النحل:١].

قال المسكين: لعل المقصود الأصلي منه إثبات التوحيد وافتتحه بالوعيد على الإعراض عنه واتبعه ببيان أنه دين أجمع عليه جمهور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأمروا بدعوة الناس إليه.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الخ [النحل:٣].

اعلم أنه تعالى لما بين فيما سبق أن معرفة الحق مطلع السعادات اتبعه بذكر الدلائل على وجود الصانع الإله تعالى وكمال قدرته وحكمته(٢).

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ الخ [النحل:١٧].

قال المسكين: هو كالنتيجة لما سبق من الدلائل التي هي نعم أيضًا.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ﴾ الخ [النحل:٢٤].

اعلم أنه تعالى لما بالغ في تقرير دلائل التوحيد وأورد الدلائل القاهرة في إبطال مذاهب عبدة الأصنام ذكر بعد ذلك شبهات منكري النبوة مع الجواب عنها

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) التفسير الكبير ١٩/ ٢٢٢.

فالشبهة الأولى أن رسول الله ﷺ لما احتج على صحة نبوة نفسه بكون القرآن معجزة طعنوا في القرآن وقالوا إنه أساطير الأولين وليس هو من جنس المعجزات ولما ثبت كون القرآن معجزًا مرارًا كثيرة لا جرم اقتصر في هذه الآية على مجرد الوعيد(١).

قوله تعالى: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ الخ [النحل:٢٦].

اعلم أن المقصود من هذه الآية المبالغة في وصف وعيد أولئك الكفار(٢).

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ﴾ الخ [النحل:٣٠].

اعلم أنه تعالى لما بين أحوال الأقوام الذين إذا قيل لهم: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ﴾ قالوا: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ اتبعه بذكر وصف المؤمنين(٣).

قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن ﴾ الخ [النحل:٣٣].

اعلم أن هذا هو الشبهة الثانية لمنكري النبوة فإنهم طلبوا أن ينزل الله تعالى ملكًا من السماء يشهد على صدقه في ادعاء النبوة(٤).

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ الخ [النحل:٣٥].

اعلم أن هذا هو الشبهة الثالثة لمنكري النبوة وتقريرها أنهم تمسكوا بصحة القول بالجبر على الطعن في النبوة فالكل من الله ولا فائدة في مجيئك وإرسالك فكان القول بالنبوة باطلًا(٥).

---

(١) التفسير الكبير ٢٠/ ١٨، ١٩.

(٢) التفسير الكبير ٢٠/ ١٩.

(٣) التفسير الكبير ٢٠/ ٢٣.

(٤) التفسير الكبير ٢٠/ ٢٦.

(٥) التفسير الكبير ٢٠/ ٢٧.

قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ الخ [النحل:٣٨].

اعلم أن هذا هو الشبهة الرابعة لمنكري النبوة فقالوا: القول بالبعث والحشر والنشر باطل فكان القول بالنبوة باطلًا[١].

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ الخ [النحل:٤١].

اعلم أنه تعالى لما حكى عن الكفار أنهم تمادوا في الغي والجهل والضلال وفي مثل هذه الحالة لا يبعد إقدامهم على إيذاء المسلمين وحينئذ يلزم على المؤمنين أن يهاجروا فذكر الله تعالى حكم تلك الهجرة[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ ﴾ الخ [النحل:٤٣].

اعلم أن هذا هو الشبهة الخامسة لمنكري النبوة كانوا يقولون: الله أعلى وأجل من أن يكون رسوله واحدًا من البشر[٣].

قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا ﴾ الخ [النحل:٤٥].

قال المسكين آخذًا من الكبير: لعله راجع إلى بيان حال الذين اضطر المسلمون إلى الهجرة من إيذائهم فهددهم الله تعالى[٤].

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ ﴾ الخ [النحل:٤٨].

قال المسكين: رجوع إلى إثبات التوحيد وإقامة الدلائل عليه وإبطال أقوال

---

(١) التفسير الكبير ٢٠/ ٣٠.

(٢) التفسير الكبير ٢٠/ ٣٤.

(٣) التفسير الكبير ٢٠/ ٣٥.

(٤) التفسير الكبير ٢٠/ ٣٨.

المشركين من اتخاذ الولد له تعالى ونحوه وتهديدهم بقوله: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ ﴾ [النحل:٦١] وفساد مذهب عبدة الأصنام بالأمثال من قوله: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ﴾ الخ [النحل:٧٦] ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴾ الخ [النحل:٧٦] واختصاص علم الغيب به تعالى في قوله: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النحل:٧٧] وكمال قدرته على كل شيء من الأمور التي يؤيد مطلب التوحيد وامتدت هذه الدلائل إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا ﴾ [النحل:٨١] إلى آخر الآية ثم نبه على كون تلك الأمور نعمًا تامًا بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ [النحل:٨١] ثم سلى رسول الله ﷺ إن تولوا وأنكروا بعد المعرفة بقوله: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ [النحل:٨٢] وقوله : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ الخ [النحل:٨٣].

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ الخ [النحل:٨٤].

اعلم أنه تعالى لما بين من حال القوم أنهم عرفوا نعمة الله ثم أنكروها اتبعه بالوعيد فذكر حال يوم القيامة[1].

قال المسكين: وامتد ذلك إلى قوله: ويوم نبعث المكرر ولما كان المبين لهذه المهمات هو القرآن ختمه بالثناء على القرآن بقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ﴾ الخ [النحل:٨٩].

قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ﴾ الخ [النحل:٩٠].

قال المسكين آخذًا من أبي السعود: كأنه دليل لكون القرآن تبيانًا لكل شيء يعني أمر الله تعالى في هذا القرآن بكل محمود، ونهي فيه عن كل مذموم فصدق كونه

---

(١) التفسير الكبير ٢٠/ ٩٥.

تبيانًا وهدى الخ ويحتمل أن يكون إجمالًا لما سبق من تفصيل الأحكام[(١)].

قوله تعالى: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ﴾ الخ [النحل:٩١].

اعلم أنه تعالى لما جمع كل المأمورات والمنهيات في الآية الأولى على سبيل الإجمال ذكر في هذه الآية بعض تلك الأقسام[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ الخ [النحل:٩٣].

قال المسكين: هذا بيان حكمة تخصيص التبيين بيوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ ﴾ الخ [النحل:٩٦].

قال أبو السعود: تعليل للخيرية بطريق الاستيناف[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ ﴾ الخ [النحل:٩٧].

قال أبو السعود: شروع في تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح غب ترغيب طائفة منهم في الثبات على ما هم عليه من عمل صالح مخصوص دفعًا لتوهم اختصاص الأجر الموفور بهم وبعملهم المذكور[(٤)].

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ الخ [النحل:٩٨].

اعلم أنه تعالى لما قال قبل هذه الآية: ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧] أرشد إلى العمل الذي به تخلص أعماله عن الوساوس فقال:

---

(١) أبو سعود ٥/ ١٣٦.

(٢) التفسير الكبير ٢٠/ ١٠٦.

(٣) أبو سعود ٥/ ١٣٨.

(٤) أبو سعود ٥/ ١٣٩.

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ الخ [النحل:٩٨] [(١)].

قال أبو السعود: وتخصيص قراءة القرآن من بين الأعمال الصالحة بالاستعاذة عند إرادتها للتنبيه على أنها لغيره عليه السلام وفي سائر الأعمال أهم فإنه عليه الصلاة والسلام حيث أمر بها عند قراءة القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فما ظنكم بمن عداه عليه الصلاة والسلام فيما عدا القراءة من الأعمال [(٢)].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ﴾ الخ [النحل:١٠١].

اعلم أنه تعالى شرع من هذا الموضع في حكاية شبهات منكري نبوة محمد ﷺ (بعد إثبات التوحيد من فاتحة السورة) [(٣)].

قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ ﴾ الخ [النحل:١٠٦].

قال أبو السعود: هو ابتداء كلام لبيان حال من كفر بآيات الله بعد ما آمن بها بعد بيان حال من لم يؤمن بها رأسا [(٤)].

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ ﴾ الخ [النحل:١١٠].

لما ذكر في الآية المتقدمة حال من كفر بالله وحال من أكره على الكفر ذكر بعده حال من هاجر من بعد ما فتن [(٥)].

قال المسكين: ثم ذكر اليوم الذي يجازي فيه الكافر والمؤمن فقال: يوم تأتي كل

---

(١) التفسير الكبير ٢٠/ ١١٤.

(٢) أبو سعود ٥/ ١٣٩ و١٤٠.

(٣) التفسير الكبير ٢٠/ ١١٥ وما بين القوسين من الهامش زيادة من المؤلف.

(٤) أبو سعود ٥/ ١٤٢ و١٤٣.

(٥) التفسير الكبير ٢٠/ ١٢٥.

نفس.

قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً ﴾ الخ [النحل:١١٢] .

اعلم أنه تعالى لما هدد الكفار بالوعيد الشديد في الآخرة هددهم أيضًا بآفات الدنيا وهو الوقوع في الجوع والخوف(١) .

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ ﴾ الخ [النحل:١١٣] .

قال أبو السعود: من تتمة المثل جيئ بها لبيان أن ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة منهم لقضية فقط بل كان ذلك معارضة لحجة الله على الخلق(٢) .

قوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ الخ [النحل:١١٤] .

يعني أن ذلك الجوع إنما كان بسبب كفركم فاتركوا الكفر حتى تأكلوا(٣) .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ ﴾ الخ [النحل:١١٥] .

يعني أنكم لما آمنتم وتركتم الكفر فكلوا الحلال الطيب واتركوا الخبائث(٤) .

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ ﴾ الخ [النحل:١١٦] .

اعلم أنه تعالى لما حصر المحرمات بالغ في تأكيد ذلك الحصر(٥) .

قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ الخ [النحل:١١٨] .

---

(١) التفسير الكبير ٢٠/ ١٢٧ .

(٢) أبو سعود ٥/ ١٤٥ .

(٣) التفسير الكبير ٢٠/ ١٣٠ .

(٤) التفسير الكبير ٢٠/ ١٣٠ .

(٥) التفسير الكبير ٢٠/ ١٣١ .

قال أبو السعود: هو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بإبطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فإنهم كانوا يقولون: لسنا أول من حرمت عليه وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الأمر إلينا[١].

قال المسكين: يمكن أن يكون هذا تأييدًا لما سلف من وقوع الجوع والخوف على القرية بسبب كفرهم وحينئذ محط الفائدة قوله: وما ظلمناهم.

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا ﴾ الخ [النحل:١١٩].

اعلم أن المقصود بيان أن الافتراء على الله ومخالفة أمر الله لا يمنعهم من التوبة وحصول المغفرة والرحمة[٢].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ الخ [النحل:١٢٠].

اعلم أنه تعالى لما زيف في هذه السورة مذاهب المشركين في قولهم بإثبات الشركاء وطعنهم في نبوة الأنبياء وقولهم بتحليل وتحريم أشياء وكان إبراهيم عليه السلام رئيس الموحدين وقدوة الأصوليين والمشركون كانوا مفتخرين به لا جرم ذكره الله تعالى في آخر هذه السورة ليصير ذلك حاملًا على الإقرار بالتوحيد والرجوع عن الشرك[٣].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ ﴾ الخ [النحل:١٢٤].

قال أبو السعود: تحقيق لذلك النفي الكلي (المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣]) وتوضيح له بإبطال ما عسى يتوهم كونه قادحًا في

---

(١) أبو سعود ٥/ ١٤٨.

(٢) التفسير الكبير ٢٠/ ١٣٣.

(٣) التفسير الكبير ٢٠/ ١٣٤.

كليته فإن اليهود كانوا يدعون أن السبت من شعائر الإسلام وأن إبراهيم عليه السلام كان محافظًا عليه - أن ليس السبت من شرائع إبراهيم وشعائر ملته التي أمرت باتباعها حتى يكون بينه عليه الصلاة والسلام وبين بعض المشركين علاقة في الجملة وإنما شرع ذلك لبني إسرائيل بعد مدة طويلة[١].

قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ الخ [النحل:١٢٥].

اعلم أنه تعالى لما أمر محمدًا ﷺ باتباع إبراهيم عليه السلام بين الشيء الذي أمره بمتابعته فيه فقال: ﴿ ٱدْعُ ﴾ (فسقط ما يتوهم من لزوم كون الشريعة المحمدية غير مستقلة)[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ ﴾ الخ [النحل:١٢٦].

قال أبو السعود: بعد ما أمره عليه الصلاة والسلام فيما يختص به من شأن الدعوة بما أمره به من الوجه اللائق عقبه بخطاب شامل له ولمن شايعه فيما يعم الكل فإن الدعوة المأمور بها لا تكاد تنفك عن ذلك كيف لا هي موجبة لصرف الوجوه عن القبل المعبودة وإدخال الأعناق في قلادة غير معهودة قاضية عليهم بفساد ما يأتون وما يذرون وبطلان دين استمرت عليهم آباؤهم. وقد ضاقت عليهم الحيل وعييت لهم العلل وسدت عليهم طرق المحاجة والمناظرة وارتجت دونهم أبواب المباحثة والمحاورة[٣].

***

(١) أبو سعود ٥/ ١٥٠ وما بين القوسين من الهامش.

(٢) التفسير الكبير ٢٠/ ١٣٨ وما بين القوسين في الهامش.

(٣) أبو سعود ٥/ ١٥٢.

سورة بني إسرائيل

لما سلى الله تعالى رسوله ﷺ في آخر السورة المتقدمة زاده تسلية في هذه ببيان إكرامه بالإسراء كيلا يلتفت إلى أعدائه[١].

قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الخ [الإسراء:٢].

ذكر الله تعالى في الآية الأولى إكرامه محمدًا ﷺ بأن أسرى به وذكر في هذه الآية أنه أكرم موسى عليه الصلاة والسلام قبله بالكتاب الذي آتاه[٢].

قوله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا ﴾ الخ [الإسراء:٣].

قال أبو السعود: والمراد تأكيد الحمل على التوحيد بتذكير إنعامه تعالى عليهم في ضمن إنجاء آبائهم من الغرق في سفينة نوح عليه الصلاة والسلام[٣].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ الخ [الإسراء:٣].

قال أبو السعود: فيه إيذان بأن إنجاء من معه كان ببركة شكره عليه الصلاة والسلام وحث الذرية على الاقتداء به وزجر لهم عن الشرك الذي هو أعظم مراتب الكفران[٤].

قوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ الخ [الإسراء:٤].

اعلم أنه تعالى لما ذكر إنعامه على بني إسرائيل بإنزال التوراة عليهم وبأنه جعل

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) التفسير الكبير ٢٠/ ١٥٣.

(٣) أبو سعود ٥/ ١٥٦.

(٤) أبو سعود ٥/ ١٥٦.

التوراة هدى لهم بين أنهم ما اهتدوا بهداه بل وقعوا في الفساد[(١)] .

قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ ﴾ الخ [الإسراء:٧] .

اعلم أنه تعالى حكى عنهم أنهم لما عصوا سلط عليهم أقوامًا ولما تابوا أزال عنهم تلك المحنة فعند ذلك ظهر أنهم إن أطاعوا فقد أحسنوا إلى أنفسهم وإن أصروا على المعصية فقد أساؤوا إلى أنفسهم[(٢)] .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى ﴾ الخ [الإسراء:٩] .

اعلم أنه تعالى لما شرح ما فعله في حق عباده المخلصين وهو الإسراء برسول الله ﷺ وإيتاء الكتاب لموسى عليه الصلاة والسلام وما فعله في حق العصاة والمتمردين وهو تسليط أنواع البلاء عليهم كان ذلك تنبيهًا على أن إطاعة الله توجب كل خير وكرامة ومعصيته توجب كل بلية وغرامة لا جرم أثنى على القرآن (الذي فيه تفصيل الطاعات والمعاصي)[(٣)] .

قوله تعالى: ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ ﴾ الخ [الإسراء:١١] .

قال أبو السعود: بيان لحال المهدي إثر بيان الهادي إظهارًا لما بينهما من التباين والمراد بالإنسان الجنس، أسند إليه حال بعض أفراده أو حكى عنه حاله في بعض أحيانه فالمعنى على الأول أن القرآن يدعو الإنسان إلى الخير الذي لا خير فوقه من الأجر الكبير ويحذره من الشر وما وراءه من العذاب الأليم وهو أي بعض منه – وهو الكافر – يدعو لنفسه بما هو الشر من العذاب المذكور إما بلسانه حقيقه كدأب

(١) التفسير الكبير ٢٠/ ١٥٥ .

(٢) التفسير الكبير ٢٠/ ١٥٨ .

(٣) التفسير الكبير ٢٠/ ١٦٠ وما بين القوسين زيادة من المؤلف في الهامش .

مـن قـال مـنهم: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الأنفال:٣٢] وإما بأعمالهم السيئة المفضية إليه الموجبة له مجازًا كما هو ديدن كلهم وعلى الثاني أن القرآن يدعو الإنسان إلى ما هو خير وهـو في بعض أحيانه – كما عند الغضب – يدعه ويدعو الله تعالى لنفسه وأهله وماله بما هو شر[١].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ الخ [الإسراء:١٢].

لما بين في الآية المتقدمة ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء:٩] وذلك الأقوم ليس إلا ذكر الدلائل الدالة على التوحيد والنبوة لا جرم أردفه بذكر دلائل التوحيد وهو عجائب العالم العلوي والسفلي[٢].

قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ﴾ الخ [الإسراء:١٣].

قـال المسكين: لما بين تعـالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء:٩] وبين حال المكلفين نبه في هذه الآية أن أمر الأعمال ليس مهملًا بل يسئلون عنه يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا﴾ الخ [الإسراء:١٥].

قال أبو السعود: فذلكة لما تقدم من بيان كون القرآن هاديًا لأقوم الطرائق ولزوم الأعمال لأصحابها[٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ﴾ الخ [الإسراء:١٥].

---

(١) أبو سعود ٥/ ١٥٨.

(٢) التفسير الكبير ٢٠/ ١٦٤.

(٣) أبو سعود:٥/ ١٦١.

قال أبو السعود: تاكيد للجملة الثانية الخ[١] .

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ ﴾ الخ [الإسراء:١٥] .

قال أبو السعود: بيان للعناية الربانية إثر بيان اختصاص آثار الهداية والضلال بأصحابها وعدم حرمان المهتدي من ثمرات هدايته وعدم مؤاخذة النفس بجناية غيرها[٢] .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ ﴾ الخ [الإسراء:١٦] .

قال أبو السعود: بيان لكيفية وقوع التعذيب بعد البعثة التي جعلت غاية لعدم صحته[٣] .

قوله تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾ الخ [الإسراء:١٨] .

قال المسكين: لما ذكر فيما سبق جزاء الأعمال ذكر في هذه الآية شرط قبولها وهو إرادة الآخرة بالعمل وبين عدم الاغترار بالدنيا وزخارفها بأنها من العطاء العام الذي لا يدل على القبول.

قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ الخ [الإسراء:٢٢] .

لما بين أن الناس فريقان منهم من يريد بعمله الدنيا وهم أهل العقاب والعذاب، ومنهم من يريد به طاعة الله وهم أهل الثواب. ثم شرط ذلك بشرائط ثلاثة أولها إرادة الآخرة، وثانيها أن يعمل عملًا ويسعى سعيًا موافقا لطلب الآخرة، وثالثها أن يكون مؤمنا، لاجرم فصل في هذه الآية تلك المجملات فبدأ أولًا بشرح

---

(١) أبو سعود ٥/ ١٦٢ .

(٢) أبو سعود ٥/ ١٦٢ .

(٣) أبو سعود ٥/ ١٦٢ .

الإيمان وأشرف أجزاء الإيمان هو التوحيد ونفي الشركاء والأضداد فقال: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ ثم ذكر عقيبه سائر الأعمال التي يكون المقدم عليها والمشتغل بها ساعيًا سعيًا يليق بطلب الآخرة وصار من الذين سعد طائرهم وحسن بختهم وكملت أحوالهم(١).

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾ الخ [الإسراء:٣٩].

اعلم أنه تعالى جمع في هذه الآية خمسة وعشرين نوعًا من التكاليف بعضها أوامر وبعضها نواهٍ، جمعها الله تعالى في هذه الآيات وجعل فاتحتها قوله: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومًا مَّخۡذُولًا﴾ [الإسراء:٢٢] وخاتمتها قوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا﴾ [الإسراء:٣٩](٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا﴾ الخ [الإسراء:٤١].

قال المسكين آخذًا عن أبي السعود: هذا تأكيد لإثبات الألوهية أي كررنا هذا المعنى في هذا القرآن بحيث لا يبقى التباس فيه(٣).

قوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ﴾ الخ [الإسراء:٤٢].

قال المسكين: عود إلى إبطال الشرك.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ الخ [الإسراء:٤٥].

اعلم أنه تعالى لما تكلم في الآية المتقدمة في المسائل الإلهية تكلم في هذه الآية فيما

---

(١) التفسير الكبير ٢٠/ ١٨٢.

(٢) التفسير الكبير ٢٠/ ٢١٣.

(٣) أبو سعود ٥/ ١٧٤.

يتعلق بتقرير النبوة[1].

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا ﴾ الخ [الإسراء:٤٩].

اعلم أنه تعالى لما تكلم أولًا في الإلهيات ثم اتبعه بذكر شبهاتهم في النبوات ذكر في هذه الآية شبهات القوم في إنكار المعاد والبعث وقد ذكرنا كثيرًا أن مدار القرآن على المسائل الأربعة وهي الإلهيات والنبوات والمعاد والقضاء والقدر[2].

قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى ﴾ الخ [الإسراء:٥٣].

لما ذكر الحجة اليقينية في إبطال الشرك وفي صحة المعاد قال في هذه إذا أردتم إيراد الحجة على المخالفين فاذكروا تلك الدلائل بالطريق الأحسن وهو أن لا يكون ذكر الحجة مخلوطًا بالشتم والسب[3].

قوله تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾ الخ [الإسراء:٥٤].

قال المسكين: كأنه تعليل للقول الأحسن وعدم الخشونة بأنه لا فائدة فيها لأن الهداية والضلال متعلقان بالمشيئة الأزلية.

قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن ﴾ الخ [الإسراء:٥٥].

يعني أن علمه غير مقصور عليكم ولا على أحوالكم بل علمه بجميع الموجودات والمعدومات فيعلم حال كل واحد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد فلهذا السبب فضل بعض النبيين على بعض وأوتي موسى التوراة وداؤد الزبور وعيسى الإنجيل فلم يبعد أيضًا أن يؤتي محمدًا القرآن وأن يفضله على جميع

---

(١) التفسير الكبير ٢٠/ ٢٢٠.

(٢) التفسير الكبير ٢٠/ ٢٢٤.

(٣) التفسير الكبير ٢٠/ ٢٢٨.

الخلق[١].

قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم ﴾ الخ [الإسراء:٥٦].

قال المسكين: رجوع إلى إبطال الشرك ببيان أن الذين تعبدونهم محتاجون إلى الإله الحق فكيف تتخذونهم آلهة.

قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ ﴾ الخ [الإسراء:٥٨].

قال أبو السعود: بيان لتحتم حلول عذابه تعالى بمن لا يحذره إثر بيان أنه حقيق بالحذر وأن أساطين الخلق من الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام على حذر من ذلك[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ ﴾ الخ [الإسراء:٥٩].

قال المسكين: عود إلى مسألة النبوة بالجواب عن اقتراحهم بالآيات الدالة على النبوة على زعمهم.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ ﴾ الخ [الإسراء:٦٠].

قال المسكين آخذًا من أبي السعود: هذا متمم للجواب المذكور في الآية الأولى وحاصله أن الله محيط بجميع الأشياء وقد علم أن هؤلاء يكذبون ولو ظهرت لهم مقترحاتهم كما كذبوا بالرؤيا التي أريناك وكما كذبوا بالشجرة التي جعلت في القرآن للملعونين وتنبت في أصل الجحيم فلو أنا أرسلنا بما اقترحوه من الآيات لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرها وفعل بهم ما فعل بأشياعهم وقد قضينا بتأخير العقوبة العامة لهذه

---

(١) التفسير الكبير ٢٠/ ٢٣٠.

(٢) أبو سعود ٥/ ١٧٩.

الأمة إلى الطامة الكبرى وهو معنى قوله: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٦٠] [(١)].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ الخ [الإسراء:٦١].

قال المسكين: لما قرر الله تعالى أمر التوحيد والنبوة وكيفية الأعمال شرع الآن في تعديد النعم الباعثة على الإيمان والرادعة عن الكفر فذكر أولًا قصة إكرام بني آدم بذكر إكرام أبيهم آدم عليه الصلاة والسلام وتضمنت هذه الحكاية تحقيق مضمون قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ [الإسراء:٥٧] ببيان أن الملائكة امتثلوا وأطاعوا من غير تردد وتلعثم وتحقيق مضمون قوله تعالى: ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٦٠] ببيان عناد إبليس وعتوه عن أمر الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ﴾ الخ [الإسراء:٦٦].

قال أبو السعود: وهذا تذكير لبعض النعم التي هي دلائل التوحيد وتمهيد لذكر توحيدهم عند مساس الضر تكملة لما مر من قوله تعالى: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ﴾ الخ [الإسراء:٥٦] [(٢)].

قوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ الخ [الإسراء:٧٠].

اعلم أن المقصود من هذه الآية ذكر نعمة أخرى جليلة رفيعة من نعم الله تعالى على الإنسان[(٣)].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ﴾ الخ [الإسراء:٧١].

---

(١) أبو سعود ٥/ ١٨٢ .

(٢) أبو سعود ٥/ ١٨٤ .

(٣) التفسير الكبير ٢١/ ١٢ .

اعلم أنه تعالى لما ذكر أنواع كرامات الإنسان في الدنيا ذكر أحوال درجاته في الآخرة[١].

قال المسكين: وأيضًا هو تقرير لما مر من إثبات البعث والحساب.

قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ الخ [الإسراء:٧٣].

قال المسكين: هذا بيان عداوة الكفار مع النبي ﷺ في أمر الدين وهو المذكور في هذه الآية وفي أمر الدنيا وهو فيما بعد في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ ﴾ الخ [الإسراء:٧٦] وهو راجع إلى بحث النبوة فكان المذكور فيما سبق هو التكذيب وههنا العداوة.

قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾ الخ [الإسراء:٧٨].

لما قال: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ ﴾ أمره تعالى بالإقبال على عبادته تعالى لكي ينصره عليهم فكأنه قيل لا تبال لسعيهم في إخراجك من بلدتك ولا تلتفت إليهم واشتغل بعبادة الله تعالى وداوم على أداء الصلوات ونظيره قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ [ق:٣٩][٢].

قال المسكين: ثم ذكر ثمرة إقباله عليه السلام على عبادته تعالى تطييبًا لقلبه وشغلًا له عن عداوتهم والاهتمام بهم فقال: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء:٧٩] ثم أمر عليه الصلاة والسلام بأن يفوض أمره دخوله وخروجه إليه تعالى في كل حال ويطلب منه العز والنصر ولا يبالي بكيدهم ولا يدبر لنفسه فقال: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ الخ [الإسراء:٨٠]. ثم بشره الله تعالى بإجابة دعائه بالنصر فقال:

---

(١) التفسير الكبير ٢١/ ١٧.

(٢) التفسير الكبير ٢١/ ٢٥.

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [الإسراء:٨٢] .

قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ ﴾ الخ [الإسراء:٨٢] .

قال المسكين: هذا دليل لنبوته ﷺ ببيان معجزته التي فاقت كل معجزة فهو أيضًا عائد إلى تقرير النبوة التي ذكرت في الآيات السالفة. ثم إنه تعالى ذكر السبب الأصلي في وقوع هؤلاء الجاهلين الضالين في أودية الضلال ومقامات الخزي والنكال وهو الاستكبار والبطر واليأس والقنوط ويجمعها الغفلة والقسوة فقال: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ ﴾ [الإسراء:٨٣] الخ ثم بين في قوله: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ ﴾ الخ [الإسراء:٨٤] أن أعمال المؤمنين من قبول الهدى والرحمة وأعمال الكافرين من الغفلة والقسوة على طريقتهم التي تشاكل حالهم.

قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ الخ [الإسراء:٨٥] .

قال المسكين: هذا أيضًا متعلق بمسألة النبوة وجواب عما أراد اليهود بالسؤال عنه إبطال أمر نبوته ﷺ وإلزام الحجة عليه.

قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ ﴾ الخ [الإسراء:٨٦] .

قال المسكين: هذا أيضًا تقرير لنبوته ﷺ بكونه ﷺ مؤيدًا بالوحي وثباته من الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ ﴾ الخ [الإسراء:٨٨] .

قال المسكين: بيان لجلالة القرآن العظيم بأنه كاف شاف واف للمقصود وذكر لشدة عناد الكفار المنكرين.

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ ﴾ الخ [الإسراء:٩٠] .

قال المسكين: هذا جواب عن قدحهم في نبوته ﷺ باقتراح الآيات عنادًا.

وحاصل الجواب أني بشر لا أقدر بنفسي على الإتيان بالآيات لكنني رسول يكفي للدلالة على رسالتي دليل ما لأن الدليل الواحد السالم عن القادح يكفي في إثبات المطلوب ولا يلزم اجتماع الدلائل الكثيرة وإلا لم يثبت شيء من المطالب لأن المخاصم لا ينتهي إلى حد بل لا يزال يطالب مدة عمره بالدلائل الغير المتناهية وهذه سفسطة بينة.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ ﴾ الخ [الإسراء:٩٤].

اعلم أنه تعالى لما حكي شبهة القوم في اقتراح المعجزات الزائدة وأجاب عنها حكى عنهم شبهة آخر وهي أن الله تعالى لو أرسل رسولًا إلى الخلق لوجب أن يكون من الملائكة فأجاب الله تعالى عن هذه[1].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ ﴾ الخ [الإسراء:٩٦].

تقريره أن الله تعالى لما أظهر المعجزة على وفق دعواى كان ذلك شهادة من الله تعالى على كوني صادقًا فبعد ذلك قول القائل بأن الرسل يجب أن يكون ملكًا لا إنسانًا تحكم فاسد[2].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ الخ [الإسراء:٩٧].

اعلم أنه تعالى لما أجاب عن شبهات القوم في إنكار النبوة وأردفها بالوعيد الإجمالي وهو قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ ﴾ الخ [الإسراء:٩٦] ذكر بعده الوعيد الشديد

---

(١) التفسير الكبير ٢١/ ٥٩.

(٢) التفسير الكبير ٢١/ ٦٠.

على سبيل التفصيل[(١)].

قال المسكين: وعلل الوعيد بشيئين الكفر بالآيات الدالة على التوحيد والنبوة وإنكار البعث ثم أجاب عن استبعادهم للبعث بقوله: ﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ﴾ الخ [الإسراء:٩٩] فمدار الكلام ههنا على أمر النبوة والمعاد.

قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ ﴾ الخ [الإسراء:١٠٠].

إن الكفار لما قالوا لن نؤمن لك الخ طلبوا إجراء الأنهار والعيون في بلدتهم لتكثر أموالهم وتتسع عليهم معيشتهم فبين الله تعالى لهم أنهم لو ملكوا خزائن رحمة الله لبقوا على بخلهم وشحهم ولما أقدموا على إيصال النفع إلى أحد وعلى هذا التقرير فلا فائدة في إسعافهم بهذا المطلوب الذي التمسوه[(٢)].

قال المسكين: خلاصة المرام أن إظهار المقترحات إما للدلالة على النبوة فجوابه ما مر في قوله: ﴿ هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء:٩٣] وإما لاتساع الأرزاق فجوابه على ما ذكر ههنا أن الاتساع لا يكون حسب قانون التمدن إلا بأن يعاون بعضهم بعضًا وهؤلاء لبخلهم ما كانوا ليعاونوا فانتفت هذه الفائدة أيضًا فكان إظهار المقترحات عبثًا محضًا فافهم والأحسن والأقرب أن يفسر الرحمة بالنبوة ويقال: إنه تعالى لما بين فيما قبل إنكارهم للنبوة الدال على الكراهة فرع على هذه الكراهة أنكم لو تملكون فرضًا أمر النبوة لما أعطيتموها أحدًا.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ الخ [الإسراء:١٠١].

قال المسكين: نظير لإتيان الرسول بالآيات العظام وعناد الكفرة الجهلة اللئام.

---

(١) التفسير الكبير ٢١/ ٦٠.

(٢) التفسير الكبير ٢١/ ٦٢.

قوله تعالى: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ الخ [الإسراء:١٠٥] .

عاد إلى تعظيم حال القرآن وجلالة درجته[١] .

قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ الخ [الإسراء:١١٠] .

قال المسكين: تقرير للتوحيد والعبادة في الخاتمة كما كان في الفاتحة فتناسب الأول والآخر.

***

(١) التفسير الكبير ٢١/ ٦٧ .

سورة الكهف

ختم السورة المتقدمة بالتكبير وافتتح هذه بالتحميد وتعانقهما ظاهر[١] .

قوله تعالى: ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ ﴾ الخ [الكهف:٢] .

اعلم أنه تعالى لما ذكر أنه أنزل على عبده هذا الكتاب الموصوف بهذه الصفات المذكورة أردفه ببيان ما لأجله أنزله[٢] .

قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ ﴾ الخ [الكهف:٦] .

الغرض تسلية الرسول ﷺ[٣] .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ - إلى قوله: ﴿صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ الخ [الكهف:٧، ٨] .

قال أبو السعود: والمعنى لا تحزن بما عانيت من القوم من تكذيب ما أنزلنا عليك من الكتاب فإنا قد جعلنا ما على الأرض من فنون الأشياء زينة لها لنختبر أعمالهم فنجازيهم بحسبها وإنا لمفنون جميع ذلك عن قريب ومجازون لهم بحسب أعمالهم[٤] .

قال المسكين: خلاصة القول أن الدنيا دار الابتلاء لا دار الجزاء فلا يحزنك تمتعهم ههنا فإنما يجازون ولا بد في دار الجزاء.

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب .

(٢) التفسير الكبير ٢١/ ٧٦ .

(٣) التفسير الكبير ٢١/ ٧٩ .

(٤) أبو سعود ٥/ ٢٠٥ .

قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ ﴾ الخ [الكهف:٩].

قال المسكين: لما بين الله تعالى في الآيات المتقدمة إنزال الكتاب عليه ﷺ الدال على نبوته وقد أراد اليهود امتحان نبوته بالسؤال عن أمور منها قصة أصحاب الكهف حكاها الله تعالى ليستدل بها على دعوى النبوة.

وأما حكمة بدئها بهذا العنوان العجيب فتقريره على ما في الكبير: ويظهر به أيضًا وجه ارتباط عنوان هذه الآية بعنوان الآية المتقدمة هكذا: اعلم أن القوم تعجبوا من قصة أصحاب الكهف وسألوا عنها الرسول ﷺ على سبيل الامتحان فقال تعالى: ام حسبت أن أصحاب الكهف كانوا عجبًا من آياتنا فقط فلا تحسبن ذلك فإن آياتنا كلها عجب، فإن من كان قادرًا على تخليق السموات والأرض ثم يزين الأرض بأنواع المعادن والنبات والحيوان ثم يجعلها بعد ذلك صعيدًا جرزًا خالية عن الكل كيف يستبعدون من قدرته وحفظه ورحمته حفظ طائفة مدة ثلث مائة سنة وأكثر في النوم[١].

قوله تعالى: ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ ﴾ الخ [الكهف:٢٧].

قال المسكين: عود إلى مضمون قوله: ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف:١] وقوله: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الخ [الكهف:٢] فذكر الله تعالى ههنا آداب التبليغ من التسوية بين المخاطبين الأغنياء منهم والفقراء، وعدم الالتفات إلى الدنيا لفنائها، وعدم المبالاة بعدم إيمانهم لكون النار جزاء وفاقا لهم وما يقارب ذلك من المضامين كما في الكبير:

اعلم أن من هذه الآية إلى قصة موسى والخضر كلام واحد من قصة واحدة

---

(١) التفسير الكبير ٢١/ ٨١ و٨٢.

وذلك أن أكابر كفار قريش احتجوا وقالوا لرسول الله ﷺ: إن أردت أن نؤمن بك فاطرد من عندك هؤلاء الفقراء الذين آمنوا بك والله تعالى نهاه عن ذلك ومنعه عنه وأطنب في جملة هذه الآيات[١].

قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ ﴾ الخ [الكهف:٢٩].

لما أمر رسوله بأن لا يلتفت إلى أولئك الأغنياء قال: وقل الحق أي قل لهؤلاء إن هذا الدين الحق إنما أتى من عند الله فإن قبلتموه عاد النفع إليكم وإن لم تقبلوا عاد الضرر إليكم[٢].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الخ [الكهف:٣٠].

اعلم أنه تعالى لما ذكر وعيد المبطلين أردفه بوعد المحقين[٣].

قوله تعالى: ﴿ ۞وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا ﴾ الخ [الكهف:٣٢].

اعلم أن المقصود من هذا أن الكفار افتخروا بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين فبين الله تعالى أن ذلك لا يوجب الافتخار لاحتمال أن يصير الفقير غنيًا والغني فقيرًا أما الذي يجب حصول المفاخرة به فطاعة الله وعبادته وهي حاصلة لفقراء المؤمنين وبين ذلك بضرب هذا المثل المذكور في الآية[٤].

قوله تعالى: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ الخ [الكهف:٤٥].

اعلم أن المقصود اضرب مثلًا آخر يدل على حقارة الدنيا وقلة بقائها[٥].

---

(١) التفسير الكبير ٢١/ ١١٤.

(٢) التفسير الكبير ٢١/ ١١٨.

(٣) التفسير الكبير ٢١/ ١٢١.

(٤) التفسير الكبير ٢١/ ١٢٣ و١٢٤.

(٥) التفسير الكبير ٢١/ ١٣٠.

قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ﴾ الخ [الكهف:٤٦] .

لما بين أن الدنيا سريعة الانقراض بين تعالى أن المال والبنون زينة الحياة الدنيا[١] .

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ الخ [الكهف:٤٨] .

اعلم أنه تعالى لما بين خساسة الدنيا وشرف القيامة أردفه بأحوال القيامة[٢] .

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الخ [الكهف:٥٠] .

قال أبو السعود: والمراد بتذكير قصته تشديد النكير على المنكرين المفتخرين بأنسابهم وأموالهم المستنكفين عن الانتظام في سلك فقراء المؤمنين ببيان أن ذلك من صنع إبليس وأنهم في ذلك تابعون لتسويله كما ينبئ عنه قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ [الكهف:٥٠] فتطيعونهم بدل طاعتي[٣] .

قوله تعالى: ﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾ الخ [الكهف:٥١] .

قال أبو السعود: استيناف مسوق لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور[٤] .

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟﴾ الخ [الكهف:٥٢] .

قال المسكين: هو بيان لعدم نفع ولاية الشياطين لهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ الخ [الكهف:٥٤] .

---

(١) التفسير الكبير ٢١/ ١٣٠ .

(٢) التفسير الكبير ٢١/ ١٣٢ .

(٣) أبو سعود ٥/ ٢٢٧ .

(٤) أبو سعود ٥/ ٢٢٨ .

قال المسكين: بيان لكون الموعظة القرآنية في الواقعة المذكورة وغيرها بالغة وجدال الإنسان فيها وتمادي كفره إلى أن يقع به العذاب والإشارة إلى قرب وقوعه بهم وبأضرابهم من أهل القرى.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾ الخ [الكهف:٦٠].

اعلم أن هذا ابتداء قصة ثالثة ذكرها الله تعالى في هذه السورة هذا وإن كان كلامًا مستقلًا في نفسه إلا أنه يعين على ما هو المقصود أما نفع هذه القصة في الرد على الكفار فهو أن موسى عليه السلام مع كثرة علمه وعمله وعلو منصبه ذهب إلى الخضر لطلب العلم وتواضع له وذلك يدل على أن التواضع خير من التكبر (خصوصًا في طلب العلم خصوصًا من أفضل الأنبياء محمد ﷺ)[1].

قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ الخ [الكهف:٨٣].

إن اليهود أمروا المشركين أن يسألوا رسول الله ﷺ عن قصة أصحاب الكهف وعن قصة ذي القرنين وعن الروح فالمراد من قوله: ويسئلونك عن ذي القرنين هو ذلك السؤال[2].

قال المسكين: ويمكن أن يجعل إشارة إلى أن ذم المال والجاه الذي ذكر فيما مر ليس على الإطلاق بل إذا جعلا الإنسان طاغيًا باغيًا وأما إذا شكر الله تعالى عليهما ونفع بهما عباده فهو من أعظم النعم كما كان لذي القرنين الذي جمع المال والعلم.

قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ الخ [الكهف:١٠٢].

اعلم أنه تعالى لما بين من حال الكافرين أنهم أعرضوا عن الذكر وعن استماع ما

---

(١) التفسير الكبير ٢١/ ١٤٣ وما بين القوسين في الهامش زيادة من المؤلف.

(٢) التفسير الكبير ٢١/ ١٦٣.

جاء به الرسول اتبعه بقوله أفحسب الخ والمراد أفظنوا أنهم ينتفعون بما عبدوه مع إعراضهم عن تدبر الآيات وتمردهم عن قبول أمره وأمر رسوله[1].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الخ [الكهف:١٠٨].

اعلم أنه تعالى لما ذكر الوعيد اتبعه بالوعد ولما ذكر في الكفار أن جهنم نزلهم اتبعه بذكر ما يرغب في الإيمان والعمل الصالح[2].

قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا﴾ الخ [الكهف:١٠٩].

اعلم أنه تعالى لما ذكر في هذه السورة أنواع الدلائل والبينات وشرح فيها أقاصيص الأولين نبه على كمال حال القرآن فقال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا﴾ الخ[3].

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ الخ [الكهف:١١٠].

قال المسكين: لما بين تعالى في الآيتين المتقدمتين فضل الإيمان والعمل الصالح وفضل القرآن العظيم ذكر ما يدل على إثبات النبوة بالجواب عن طعن الكفار بالبشرية بأن البشرية لا تنافي النبوة بل مدار النبوة على الوحي وقد يوحي إلي وخصص من بين ما يوحي أمر التوحيد لاهتمامه ولمناسبة المقام لأن التوحيد والنبوة أصلان عظيمان للإيمان ثم نبه على ما لا بد من رعايته في الاعتداد للآخرة من العمل الصالح وشرط قبوله من ترك الشرك الجلي والخفي الذي هو الرياء فقال: من كان يرجو لقاء ربه الخ.

***

---

(١) التفسير الكبير ٢١/ ١٧٤.

(٢) التفسير الكبير ٢١/ ١٧٥.

(٣) التفسير الكبير ٢١/ ١٧٦.

سورة مريم عليها السلام

لما ختم السورة المتقدمة بإثبات نبوته عليه الصلاة والسلام بقوله: قل إنما أنا بشر مثلكم وبين في هذه السورة نبوة بعض الأنبياء السابقين حصل المناسبة بينهما(١).

اعلم أن الغرض من هذه السورة بيان التوحيد والنبوة والحشر والمنكرون للتوحيدهم الذين أثبتوا معبودًا سوى الله تعالى وهؤلاء فريقان منهم من أثبت معبودًا غير الله حيًا عاقلًا وهم النصارى، ومنهم من أثبت معبودًا غير الله جمادًا ليس بحي ولا عاقل ولا فاهم وهم عبدة الأوثان(٢).

قال المسكين: في قصص هذه السورة إثبات للتوحيد كما ذكر من قصة عيسى عليه السلام وفيه رد للفريق الأول، ومن وعظ إبراهيم عليه السلام وفيه رد للفريق الثاني وإثبات النبوة بوجهين أحدهما ببيان نبوة الأنبياء للدلالة على أن النبوة ليست بأمر بدع فأي بعد في نبوة محمد ﷺ وثانيهما أن النبي ﷺ لم يخالط العلماء ثم قص القصص على ما وقعت فهذه دلالة بينة على كونه مؤيدًا بالوحي ثم بعد ذكر القصص ذكر المعاد مختلطًا بالتوحيد كما يظهر من تلاوة تلك الآيات.

قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ الخ [مريم:٥٨].

اعلم أنه تعالى أثنى على كل واحد ممن تقدم ذكره من الأنبياء بما يخصه من الثناء ثم جمعهم آخرًا فقال: أولئك الذين الخ(٣).

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) لم أجده أيضًا في الكبير ولا في أبي السعود والأسلوب أسلوب الكبير.

(٣) التفسير الكبير ٢١/ ٢٣٣.

قوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ ﴾ الخ [مريم:٥٩].

اعلم أنه تعالى لما وصف هؤلاء الأنبياء بصفات المدح ترغيبًا لنا في التأسى بطريقتهم ذكر بعدهم من هو بالضد منهم[(١)].

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ الخ [مريم:٦٠].

قال المسكين: هذا استثناء من المذكورين.

قوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ﴾ الخ [مريم:٦١].

اعلم أنه تعالى لما ذكر في التائب أنه يدخل الجنة وصف الجنة بأمور[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَ ﴾ الخ [مريم:٦٤].

قال المسكين: هذا حكاية لقول جبريل عليه السلام ولعل وضعه ههنا لتقرير أمر التوحيد والنبوة ببيان أن الملائكة مأمورون تحت أمر الله تعالى فدل ذلك على كمال عظمة الله تعالى وانفراده بالأمر كله ودل على أن الرسالة شأنها محض المأمورية فلا يحتمل أن يقولوا ما لم يؤمروا فانتفت شكوك الشاكين فيها.

قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ ﴾ الخ [مريم:٦٦].

قال المسكين: شرع من ههنا في إثبات المعاد وأحواله.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا ﴾ الخ [مريم:٧٣].

قال المسكين آخذًا من أبي السعود: حكاية لما قالوا عند سماع الآيات الناعية عليهم فظاعة حالهم ووخامة مآلهم ثم رد عليهم اغترائهم بزخارف الدنيا بقوله:

---

(١) التفسير الكبير ٢١/ ٢٣٥.

(٢) التفسير الكبير ٢١/ ٢٣٦.

وكم أهلكنا قبلهم من قرن الخ ثم بين حكمة إمهالهم بقوله: قل من كان في الضلالة الخ ثم ذكر غاية للمد وهذا هو المقصود وما سبق كان للتمهيد له في قوله: حتى إذا رأوا ما يوعدون الخ[١].

ويمكن أن يكون كما – في الكبير – جوابًا عن شبهتهم في البعث بأنا في سعة ههنا فكذا ثمه لو كان فرضًا[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ﴾ الخ [مريم:٧٦].

قال أبو السعود: كلام مستأنف سيق لبيان حال المهتدين إثر بيان حال الضالين[٣].

قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾ الخ [مريم:٧٧].

اعلم أنه تعالى لما ذكر الدلائل أولًا على صحة البعث ثم أورد شبهة المنكرين وأجاب عنها أورد عنهم الآن ما ذكروه على سبيل الاستهزاء طعنًا في القول بالحشر (من كونهم في أطيب عيش في الدنيا وأجاب عنها بقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ [مريم:٧٤] وبقوله: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ ﴾ [مريم:٧٥])[٤].

قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الخ [مريم:٨١].

اعلم أنه تعالى لما تكلم في مسألة الحشر والنشر تكلم الآن في الرد على عباد الأصنام (لتقرير أمر التوحيد وإبطال الشرك وبيان وخامة حالهم يوم المعاد بأنهم

---

(١) أبو السعود ٥/ ٢٧٦.

(٢) التفسير الكبير ٢١/ ٢٤٥.

(٣) أبو سعود ٥/ ٢٧٨.

(٤) التفسير الكبير ٢١/ ٢٤٩ وما بين القوسين في الهامش زيادة من المؤلف.

يبقون منفردين لا شفيع لهم)[١].

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدًا ﴾ الخ [مريم:٨٨].

قال أبو السعود: حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب أن الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا إثر حكاية عبدة الأصنام بطريق عطف القصة على القصة[٢].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الخ [مريم:٩٦].

اعلم أنه تعالى لما رد على أصناف الكفرة وبالغ في شرح أحوالهم في الدنيا والآخرة ختم السورة بذكر أحوال المؤمنين[٣].

قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ الخ [مريم:٩٧].

كلام مستأنف بين به عظيم موقع هذه السورة لما فيها من التوحيد والنبوة والحشر والنشر والرد على فرق المضلين المبطلين[٤].

قوله تعالى: ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا ﴾ الخ [مريم:٩٨].

قال أبو السعود: وعد لرسول الله ﷺ في ضمن وعيد الكفرة بالإهلاك وحث له عليه الصلاة والسلام على الإنذار[٥].

***

(١) التفسير الكبير ٢١/ ٢٥٠ وما بين القوسين في الهامش زيادة من المؤلف.

(٢) أبو سعود ٥/ ٢٨٢.

(٣) التفسير الكبير ٢١/ ٢٥٥.

(٤) التفسير الكبير ٢١/ ٢٥٦.

(٥) أبو سعود ٥/ ٢٨٤.

سورة طه

ختم السورة المتقدمة بذكر نزول القرآن وتيسيره بلسان محمد ﷺ وكذلك افتتح هذه السورة ببيان تنزيل القرآن ونفي العسر والمشقة عنه ﷺ وهذا هو وجه التناسب بينهما[(١)].

قوله تعالى: ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ﴾ الخ [طه:٢].

قال أبو السعود: استيناف مسوق لتسليته عليه الصلاة والسلام عما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَذۡكِرَةً ﴾ الخ [طه:٣].

قال أبو السعود: كأنه قيل ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب في تبليغه ولكن تذكرة لمن يخشى[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنۡ خَلَقَ ﴾ الخ [طه:٤].

قال أبو السعود: مصدر مؤكد لمضمر مستأنف مقرر لما قبله أي نزل تنزيلًا[(٤)].

(وفي الكبير: أنه تعالى عظم حال القرآن بأن نسبه إلى أنه تنزيل لمن خلق الأرض وخلق السموات على علوها وإنما قال ذلك لأن تعظيم الله تعالى يظهر

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) أبو سعود ٦/ ٣.

(٣) أبو سعود ٦/ ٣.

(٤) أبو سعود ٦/ ٤.

بتعظيم خلقه ونعمه)[١].

قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ الخ [طه:٥].

قال أبو السعود: فيه إشارة إلى أن تنزيل القرآن أيضًا من أحكام رحمته تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى: الرحمن علم القرآن[٢].

قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ الخ [طه:٦].

قال أبو السعود: بيان لسعة سلطنته وشمول قدرته لجميع الكائنات[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ ﴾ الخ [طه:٧].

قال أبو السعود: بيان لإحاطة علمه تعالى بجميع الأشياء إثر بيان سعة سلطنته وشمول قدرته لجميع الكائنات[٤].

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الخ [طه:٨].

قال أبو السعود: استيناف مسوق لبيان أن ما ذكر من صفات الكمال موصوفها ذلك المعبود بالحق[٥].

قوله تعالى: ﴿ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ الخ [طه:٨].

قال أبو السعود: بيان لكون ما ذكر من الخالقية والرحمانية والمالكية والعالمية

---

(١) التفسير الكبير ٢٢/ ٥ وقول الكبير هذا ذكره المؤلف في هامش الكتاب.

(٢) أبو سعود ٦/ ٥.

(٣) أبو سعود ٦/ ٥.

(٤) أبو سعود ٦/ ٥.

(٥) أبو سعود ٦/ ٥.

أسماءه وصفاته من غير تعدد في ذاته تعالى[(١)].

قوله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ الخ [طه:٩].

قال أبو السعود: استيناف مسوق لتقرير أمر التوحيد الذي إليه انتهى مساق الحديث وبيان أنه أمر مستمر فيما بين الأنبياء كابرًا عن كابر وقد خوطب به موسى عليه السلام حيث قيل له: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾ [طه:١٤] وبه ختم عليه الصلاة والسلام مقاله حيث قال: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [طه:٩٨] وأما ما قيل من أن ذلك لترغيب النبي ﷺ في الائتساء بموسى عليه السلام في تحمل أعباء النبوة والصبر على مقاساة الخطوب في تبليغ أحكام الرسالة فيأباه أن مساق النظم الكريم لصرفه عليه الصلاة والسلام عن اقتحام المشاق[(٢)].

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ﴾ الخ [طه:٩٩].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما شرح قصة موسى عليه السلام اتبعه بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ من سائر أخبار الأمم وأحوالهم تكثيرًا لشأنك وزيادة في معجزاتك وليكثر الاعتبار والاستبصار للمكلفين بها في الدين[(٣)].

قال المسكين: ثم ذكر الكتاب المنطوي على هذه القصص ثم عظم أمره ببيان وعيد المعرض عنه وذكر يوم الوعيد وأهواله من نفخ الصور والحشر ونسف الجبال وغيرها ثم بين حال قسيم المعرض المؤمن بالقرآن والعامل به في قوله: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ - إلى قوله: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾[طه:٩٩-١١٢].

---

(١) أبو سعود ٦/٦.

(٢) أبو سعود ٦/٦.

(٣) التفسير الكبير ٢٢/١١٣.

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ الخ [طه:١١٣].

اعلم أن قوله: وكذلك عطف على قوله: كذلك نقص أي ومثل ذلك الإنزال وعلى نهجه أنزلنا القرآن كله[١].

قوله تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ ﴾ الخ [طه:١١٤].

قال أبو السعود: استعظام له تعالى ولشؤونه التي يصرف عليها عباده من الأوامر والنواهي والوعد والوعيد وغير ذلك[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ الخ [طه:١١٤].

قال أبو السعود: نهى عن ذلك إثر ذكر الإنزال بطريق الاستطراد وأمر باستفاضة العلم واستزادته منه تعالى فقيل: وقل أي في نفسك رب زدني علمًا أي سل الله لأ زيادة العلم فإنه الموصل إلى طلبتك دون الاستعجال[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ ﴾ الخ [طه:١١٥].

قال أبو السعود: كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من تصريف الوعيد في القرآن وبيان أن أساس بني آدم على العصيان وعرقه أرسخ في النسيان مع ما فيه من إنجاز الموعود في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَ ﴾ [طه:٩٩][٤].

قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ ﴾ الخ [طه:١٢٨].

قال أبو السعود: كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى: وكذلك

---

(١) التفسير الكبير ٢٢/ ١٢١.

(٢) أبو سعود ٦/ ٤٤.

(٣) أبو سعود ٦/ ٤٤.

(٤) أبو سعود٦/ ٤٤.

نجزي[١].

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ ﴾ الخ [طه:١٢٩].

قال أبو السعود: كلام مستأنف سيق لبيان حكمة عدم وقوع ما يشعر به قوله تعالى: أفلم يهد لهم الآية من أن يصيبهم مثل ما أصاب القرون المهلكة[٢].

قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ الخ [طه:١٣٠].

لما أخبر نبيه بأنه لا يهلك أحدًا قبل استيفاء أجله أمره بالصبر ثم قال: فسبح وهو نظير قوله: واستعينوا بالصبر والصلاة[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ الخ [طه:١٣١].

اعلم أنه تعالى لما صبر رسوله ﷺ على ما يقولون وأمره بأن يعدل إلى التسبيح اتبع ذلك نهيه عن مد عينيه إلى ما متع به القوم[٤].

قوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ ﴾ الخ [طه:١٣٢].

قال أبو السعود: أمر ﷺ بأن يأمر أهل بيته أوالتابعين له من امته بعد ما أمر هو بها (أي الصلاة) ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بأمر المعيشة ولا يلتفتوا لفت أرباب الثروة[٥].

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا ﴾ الخ [طه:١٣٣].

---

(١) أبو سعود ٦/ ٤٨.

(٢) أبو سعود ٦/ ٤٩.

(٣) التفسير الكبير ٢٢/ ١٣٣.

(٤) التفسير الكبير ٢٢/ ١٣٥.

(٥) أبو سعود ٦/ ٥١.

إنه سبحانه بعد هذه الوصية حكى عنهم شبهتهم فكأنه من تمام قوله: فاصبر على ما يقولون ثم بين أنه تعالى أزاح لهم كل عذر وعلة في التكليف فقال: ولو أنا أهلكنا الخ ثم إنه سبحانه ختم السورة بضرب من الوعيد فقال: قل كل متربص الخ[١].

***

(١) التفسير الكبير ٢٢/ ١٣٧ .

سورة الأنبياء عليهم السلام

ختم التي تقدمت وافتتح هذه بذكر الوعيد بالتربص والحساب فالمناسبة جلية غير خفية[(١)].

قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ﴾ الخ [الأنبياء:١].

قال أبو السعود: مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الخاتمة الشريفة غنية عن البيان[(٢)].

قوله تعالى: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٍ﴾ الخ [الأنبياء:٢].

قال المسكين: هذا بيان لإعراضهم وغفلتهم بذكر جناياتهم المعتادة من لعبهم ولهوهم وجنايتهم الخاصة من أسرار النجوي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ﴾ الخ [الأنبياء:٤].

لما أورد هذا الكلام عقيب ما حكى عنهم وجب أن يكون كالجواب لما قالوه فكأنه قال: إنكم وإن أخفيتم قولكم وطعنكم فإن ربي عالم بذلك وإنه من وراء عقوبته فتوعدوا بذلك لكيلا يعودوا إلى مثله[(٣)].

قوله تعالى: ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ﴾ الخ [الأنبياء:٥].

إنه تعالى عاد إلى حكاية قولهم المتصل بقوله: ﴿هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ﴾ الخ

---

(١) في الاصل بهامش الكتاب.

(٢) أبو سعود ٦/ ٥٣.

(٣) التفسير الكبير ٢٢/ ١٤٢.

[الأنبياء:٣] ثم إن الله تعالى بدأ بالجواب عن السؤال الأخير بقوله: ما آمنت والمعنى أنهم في العتو أشد من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله فلو أعطيناهم ما يقترحون لكانوا أشد نكثًا[1].

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ ﴾ الخ [الأنبياء:٧].

قال أبو السعود: جواب لقولهم: ﴿هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ﴾ الخ [الأنبياء:٣] متضمن لرد ما دسوا تحت قولهم: كما أرسل الأولون من التعريض بعدم كونه عليه السلام مثل أولئك الرسل صلوات الله عليهم أجمعين[2].

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ ﴾ الخ [الأنبياء:٩].

قال المسكين: متمم لحكاية الرسل لتسلية رسول الله ﷺ وتهديد المنكرين.

قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ﴾ الخ [الأنبياء:١٠].

قال أبو السعود: مستأنف مسوق لتحقيق حقية القرآن العظيم الذي ذكر في صدر السورة الكريمة وإعراض الناس عما يأتيهم من آياته واستهزائهم به وتسميتهم تارة سحرًا وتارة أضغاث أحلام وأخرى مفتري وشعرًا، وبيان علو رتبته إثر تحقيق رسالته ﷺ ببيان أنه كسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام[3].

قوله تعالى: ﴿ وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن ﴾ الخ [الأنبياء:١١].

قال أبو السعود: نوع تفصيل لإجمال قوله تعالى: وأهلكنا المسرفين وبيان

---

(١) التفسير الكبير ٢٢/ ١٤٣.

(٢) أبو سعود ٦/ ٥٦.

(٣) أبو سعود ٦/ ٥٨.

لكيفية إهلاكهم وسببه، وتنبيه على كثرتهم[(١)] .

قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ ﴾ الخ [الأنبياء:١٦] .

قال المسكين: لما نعى الله تعالى على الكفار الموجودين والماضين شناعة حالهم في الإعراض واللهو والظلم بين أن الإنسان لم يخلق عبثًا ولم يترك سدى ببيان القول الكلي في ذلك لأنه يلزم منه اللهو واللعب في جنابه تعالى عن ذلك علوا كبيرا بل مقتضى حكمته أن يميز بين الحق والباطل وأن ذلك مما يقتضي إرسال الرسل الذين منهم محمد ﷺ الذي ينكرون نبوته ويصفونه بما لا يليق به ﵇ ويستحقون به الويل ثم أكد كون العباد مكلفين بقوله: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ الخ [الأنبياء:١٩] فحاصل هذا الكلام تقرير لأمر النبوة.

قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ الخ [الأنبياء:٢١] .

اعلم أن الكلام من أول السورة إلى ههنا كان في النبوات وما يتصل بها من الأحكام سؤالًا وجوابًا وأما هذه الآيات فإنها في بيان التوحيد ونفي الأضداد والأنداد[(٢)] .

قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ الخ [الأنبياء:٣٤] .

قال المسكين: جواب عن شماتتهم بموته ﵇ وتمهيد لبيان المعاد المذكور في قوله: ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥] المقصود، فشرع من ههنا في إثباته بعد النبوة والتوحيد إلى قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧] وذكر في تضاعيفه استهزائهم بالرسول المخبر عن المعاد واستعجالهم بالعذاب ومآل المستهزئين وكلاءة الله تعالى

---

(١) أبو سعود ٦/ ٥٨ .

(٢) التفسير الكبير ٢٢/ ١٤٩ .

لهم في الدنيا عن العذاب، وضعف آلهتهم عنها وعدم اغترارهم بالتمتع الدنيوي ووقوع ما يدفع نزول العذاب بهم من نقص الأطراف وتيقن وقوع العذاب لإتيان الوحي به وإن لم يسمعه الصم وغير ذلك مما يناسب المعاد.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴾ الخ [الأنبياء:٤٨].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما تكلم في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد شرع في قصص الأنبياء عليهم السلام(١).

وفيه كما قال أبو السعود: نوع تفصيل لما أجمل في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ [الأنبياء:٧] إلى قوله تعالى: ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنبياء:٩]، وإشارة إلى كيفية إنجائهم وإهلاك أعدائهم(٢).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ الخ [الأنبياء:٩٢].

قال المسكين: كأنها نتيجة القصص أي ملة التوحيد الذي أجمع عليه الأنبياء عليهم السلام ملة واحدة ثم أفسده هؤلاء بالتفريق المذكور في قوله: ﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم﴾ الخ [الأنبياء:٩٣] ثم ذكر أمر المعاد بقوله: ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴾ [الأنبياء:٩٣] إلى قوله: ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٤] أو إلى قوله الصالحون إن فسر الأرض بأرض الجنة وإن فسرت بأرض الدنيا كان مناسبة هذه الآية الأخيرة بما قبلها أن الأعمال الصالحة موجبة للإعزاز في الدارين أما في الآخرة فذكر أولا وأما في دار الدنيا فذكر في هذه الآية ثم أثنى على السورة الكريمة المشتملة على التوحيد والنبوة والمعاد بقوله: ﴿ إِنَّ فِى هَـٰذَا لَبَلَـٰغًا لِّقَوْمٍ عَـٰبِدِينَ ﴾

(١) التفسير الكبير ٢٢/ ١٧٨.

(٢) أبو سعود ٦/ ٧١.

[الأنبياء:١٠٦] ثم على الرسول الآتي بهذا الكتاب بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٦].

قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ الخ [الأنبياء:١٠٨].

اعلم أنه تعالى لما أورد على الكفار الحجج في أن لا إله سواه من الوجوه التي تقدم ذكرها وبين أنه أرسل رسوله رحمة للعالمين اتبع ذلك بما يكون إعذارًا وإنذارًا في مجاهدتهم والإقدام عليهم[(١)].

***

(١) التفسير الكبير ٢٢/ ٢٣٢.

سورة الحج

كانت السورة المتقدمة مختتمة وهذه مفتتحة بالإنذار فالارتباط ظاهر[١].

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ ﴾ الخ [الحج:١].

أمر الناس بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ ﴾ الخ [الحج:٣].

قال أبو السعود: كلام مبتدأ جيئ به إثر بيان عظم شأن الساعة المنبئة عن البعث بيانا لحال بعض المنكرين لها[٣].

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ ﴾ الخ [الحج:٥].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما حكى عنهم الجدال بغير العلم في إثبات الحشر والنشر وذمهم عليه فهو سبحانه وتعالى أورد الدلالة على صحة ذلك من وجهين أحدهما الاستدلال بخلقة الحيوان أولًا والوجه الثاني الاستدلال بحال خلقة النبات ذلك[٤].

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى ﴾ الخ [الحج:٨].

قال أبو مسلم: الآية الأولى واردة في اتباع المقلدين وهذه الآية واردة في

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) التفسير الكبير ٢٣/ ٣.

(٣) أبو سعود ٦/ ٩٢.

(٤) التفسير الكبير ٢٣/ ٧.

المتبوعين المقلدين[(١)].

قال المسكين: والقرينة عليه قوله تعالى ههنا: ليضل عن سبيل الله فإن الإضلال من شأن المتبوع.

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ ﴾ الخ [الحج:١١].

اعلم أنه تعالى لما بين حال المظهرين للشرك المجادلين فيه عقبه بذكر المنافقين[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ﴾ الخ [الحج:١٤].

اعلم أنه سبحانه لما بين في الآية السابقة حال عبادة المنافقين وحال معبودهم بين في هذه الآية صفة عباده المؤمنين وصفة معبودهم[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ ﴾ الخ [الحج:١٥].

قال المسكين: بيان لنصرة المعبود الحق لأوليائه مقابلة لقوله في الآلهة الباطلة ما لا يضره وما لا ينفعه.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ الخ [الحج:١٧].

قال المسكين: بيان لمآل كل فريق إثر تقسيم الناس إلى طرائق.

قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ ﴾ الخ [الحج:١٨].

قال أبو السعود: بيان لما يوجب الفصل المذكور من أعمال الفرق المذكورة مع

---

(١) التفسير الكبير ٢٣/ ١١.

(٢) التفسير الكبير ٢٣/ ١٣.

(٣) التفسير الكبير ٢٣/ ١٥.

الإشارة إلى كيفيته وكونه بطريق التعذيب والإثابة والإكرام والإهانة[(١)] .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ ﴾ الخ [الحج:٢٥] .

اعلم أنه تعالى بعد أن فصل بين الكفار والمؤمنين ذكر عظم حرمة البيت وعظم كفر هؤلاء[(٢)] .

قوله تعالى: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ ﴾ الخ [الحج:٣٨] .

اعلم أنه تعالى لما بين ما يلزم في الحج ومناسكه وما فيه من منافع الدنيا والآخرة وقد ذكر أن الكفار صدوهم اتبع ذلك ببيان ما يزيل الصد ويؤمن معه التمكن من الحج[(٣)] .

قوله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ ﴾ الخ [الحج:٤٢] .

قال أبو السعود: تسلية لرسول الله ﷺ متضمنة للوعد الكريم بإهلاك من يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى له الموعود بقوله تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ الخ[الحج:٤٠] [(٤)] .

قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ﴾ الخ [الحج:٤٨] .

قال المسكين: لما تضمنت الآية الأولى وعيد العذاب لهم استعجلوا به فأجابهم الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ الخ [الحج:٤٩] .

---

(١) أبو سعود ٦/ ١٠٠ .

(٢) التفسير الكبير ٢٣/ ٢٣ .

(٣) التفسير الكبير ٢٣/ ٣٨ .

(٤) أبو سعود ٦/ ١١٠ .

قال المسكين: هذا بيان لعدم مدخليته ﷺ في العذاب وإنما شأنه الإنذار فقط ثم بين حال الفريقين في قوله: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ الخ[الحج:٥٠].

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ ﴾ الخ [الحج:٥٢].

قال المسكين: لما بين الله تعالى سعى الكفار في إبطال الآيات وكيدهم فيما قبل ذكر في هذه الآية كيد الشياطين فيه وما نسخه الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ ﴾ الخ [الحج:٥٨].

اعلم أنه تعالى لما ذكر أن الملك له يوم القيامة وأنه يحكم بينهم ويدخل المؤمنين الجنات اتبعه بذكر وعده الكريم للمهاجرين(١).

قوله تعالى: ﴿ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ﴾ الخ [الحج:٦٠].

قال المسكين: ذكر فيما قبل كون المهاجر مقتولًا والآن ذكر حكم كونه قاتلًا وجارحًا ووعده بالنصر ثم ذكر قدرته على النصر بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ ﴾ الخ [الحج:٦١] ثم ذكر اختصاصه بالقدرة بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ الخ[الحج:٦٢].

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ ﴾ الخ [الحج:٦٣].

اعلم أنه تعالى لما دل على قدرته من قبل بما ذكره من ولوج الليل في النهار ونبه به على نعمه اتبعه بأنواع آخر من الدلائل على قدرته ونعمته(٢).

قوله تعالى: ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا ﴾ الخ [الحج:٦٧].

---

(١) التفسير الكبير ٢٣/ ٥٧.

(٢) التفسير الكبير ٢٣/ ٦١.

قال أبو السعود: كلام مستأنف جيئ به لزجر معاصريه ﷺ من أهل الأديان السماوية عن منازعته ﷺ ببيان حال ما تمسكوا به من الشرائع وإظهار خطأهم في النظر[١].

قال المسكين: فكأنه قسيم لقوله في صدر السورة: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ ﴾ [الحج:٣] فكانت تلك المجادلة بغير علم وهذه بعلم لكن مع الخطأ.

قوله تعالى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الخ [الحج:٧١].

قال أبو السعود: حكاية لبعض أباطيل المشركين وأحوالهم الدالة على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم من بناء أمر دينهم على غير مبني من دليل سمعي أو عقلي وإعراضهم عما ألقي عليهم من سلطان بين هو أساس الدين وقاعدته أشد إعراض[٢].

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ الخ [الحج:٧٥].

اعلم أنه سبحانه لما قدم ما يتعلق بالآلهيات ذكر ههنا ما يتعلق بالنبوات[٣].

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ ﴾ الخ [الحج:٧٧].

اعلم أنه سبحانه لما تكلم في الآلهيات ثم في النبوات اتبعه بالكلام في الشرائع[٤].

***

(١) أبو سعود ٦/ ١١٨.

(٢) أبو سعود ٦/ ١١٩.

(٣) التفسير الكبير ٢٣/ ٦٩.

(٤) التفسير الكبير ٢٣/ ٧٣.

سورة المؤمنين

كان في خاتمة السورة الأولى ذكر الشرائع من الأمر بالركوع والسجود والمجاهدة في الله وكذا في أول هذه السورة فارتبطتا[١].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ الخ [المؤمنون:١٢].

اعلم أنه سبحانه لما أمر بالعبادات في الآية المتقدمة، والاشتغال بعبادة الله تعالى لا يصح إلا بعد معرفة الإله الخالق لا جرم عقبها بذكر ما يدل على وجوده، واتصافه بصفات الجلال والوحدانية فذكر من الدلائل أنواعًا. النوع الأول الاستدلال بتقلب الإنسان في أدوار الخلقة وأكوان الفطرة وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾.

النوع الثاني من الدلائل الاستدلال بخلقه السموات وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ ﴾ [المؤمنون :١٧].

النوع الثالث بنزول الأمطار وكيفية تأثيراتها في النبات، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ الخ [المؤمنون :١٨].

النوع الرابع الاستدلال بأحوال الحيوانات وهو قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ الخ [المؤمنون :١٩].

واعلم أنه سبحانه وتعالى لما بين دلائل التوحيد أردفها بالقصص كما هو العادة في سائر السور.

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

القصة الأولى قصة نوح ﷺ[1].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾ الخ [المؤمنون:٢٣].

قال أبو السعود: شروع في بيان إهمال الأمم السالفة وتركهم النظر والاستدلال فيما عدد من النعم الفائتة للحصر وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم وما حاق بهم لذلك من فنون العذاب تحذيرًا للمخاطبين[2].

قال صاحب الكبير: القصة الثانية قصة هود أو صالح عليهما السلام قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ [المؤمنون:٤٢][3].

القصة الثالثة قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴾ الخ [المؤمنون:٤٢].

اعلم أنه سبحانه وتعالى يقص القصص في القرآن تارة على سبيل التفصيل كما تقدم وأخرى على سبيل الإجمال كههنا وقيل المراد قصة لوط وشعيب وأيوب ويوسف عليهم السلام[4].

القصة الرابعة قصة موسى ﷺ قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ ﴾ الخ [المؤمنون:٤٥][5].

القصة الخامسة قصة عيسى ومريم عليهما السلام قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ

---

(١) التفسير الكبير ٢٣/ ٨٣-٩٠.

(٢) أبو سعود ٦/ ١٢٩.

(٣) التفسير الكبير ٢٣/ ٩٦.

(٤) التفسير الكبير ٢٣/ ١٠٠.

(٥) التفسير الكبير ٢٣/ ١٠١.

مَرْيَمَ ﴾ الخ [المؤمنون:٥٠] [١].

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ ﴾ يا الخ [المؤمنون:٥١].

قال المسكين: لما أمر الله تعالى بالعبادة في صدر السورة ثم ذكر الآيات الدالة على القدرة والنعم وأيدها ببيان القصص بين ههنا أن الأمر بالعبادة وإفاضة النعم وترتب العبادة عليهما شرع قديم أمر به جميع الرسل.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ الخ [المؤمنون:٥٢].

المعنى أنه كما يجب اتفاقهم على أكل الحلال والأعمال الصالحة فكذلك هم متفقون على التوحيد وعلى الاتقاء من معصية الله تعالى [٢].

قوله تعالى: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم ﴾ الخ [المؤمنون:٥٣].

قال أبو السعود: حكاية لما ظهر من أمم الرسل بعدهم من مخالفة الأمر وشق العصا [٣].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ الخ [المؤمنون:٥٧].

قال أبو السعود: استيناف مسوق لبيان من له المسارعة في الخيرات إثر إقناط الكفار عنها وإبطال حسبانهم الكاذب [٤].

قوله تعالى: ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ الخ [المؤمنون:٦٢].

---

(١) التفسير الكبير ٢٣/ ١٠٢.

(٢) التفسير الكبير ٢٣/ ١٠٤.

(٣) أبو سعود ٦/ ١٣٩.

(٤) أبو سعود ٦/ ١٣٩.

قال أبو السعود: جملة مستأنفة سيقت للتحريض على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات المودي إلى نيل الخيرات ببيان سهولته وقوله تعالى: ولدينا كتاب الخ تتمة لما قبله ببيان أحوال ما كلفوه من الأعمال وأحكامها المترتبة عليها من الحساب والثواب والعقاب(١).

قوله تعالى: ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ ﴾ الخ [المؤمنون:٦٣].

قال المسكين: تمهيد لبيان مؤاخذة الكفار المذكور في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ ﴾ [المؤمنون:٦٤] إثر ذكر أعمالهم مع بيان عدم النصرة لهم.

قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ الخ [المؤمنون:٦٦].

اعلم أنه سبحانه لما بين فيما قبل أنه لا ينصر أولئك الكفار اتبعه بعلة ذلك ثم إنه سبحانه لما وصف حالهم رد عليهم بأن بين أن إقدامهم على هذه الأمور لا بد وأن يكون لأحد أمور أربعة: أحدها أن لا يتأملوا في دليل نبوته وهو المراد من قوله تعالى: أفلم يدبروا القول، وثانيها أن يعتقدوا أن مجيئ الرسل أمر على خلاف العادة وهو المراد من قوله: أم جاءهم مالم يأت، وثالثها أن لا يكونوا عالمين بديانته وحسن خصاله قبل ادعائه للنبوة وهو المراد من قوله: أم لم يعرفوا رسولهم، ورابعها أن يعتقدوا فيه الجنون وهو المراد من قوله: أم يقولون به جنة ثم إنه سبحانه بعد أن عد هذه الوجوه ونبه على فسادها قال: بل جاءهم الخ(٢).

قوله تعالى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ ﴾ الخ [المؤمنون:٧١].

قال أبو السعود: استيناف مسوق لبيان أن أهواءهم الزائغة التي ما كرهوا الحق

---

(١) أبو سعود ٦/ ١٤١.

(٢) التفسير الكبير ٢٣/ ١١٠، ١١١.

إلا لعدم موافقته إياها مقتضية للطامة[(١)].

قوله تعالى: ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾ الخ [المؤمنون:٧١].

قال أبو السعود انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق الذي به يقوم العالم إلى تشنيعهم بالإعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها[(٢)].

في الكبير: ثم بين سبحانه أنه ﷺ لا يطمع فيهم حتى يكون ذلك سببًا للنفرة فقال: أم تسألهم خرجًا[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ ﴾ الخ [المؤمنون:٧٣].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما زيف طريقة القوم اتبعه ببيان صحة ما جاء به الرسول ﷺ[(٤)].

قال المسكين: ثم بين عدولهم عن الصراط المستقيم وعلة عدولهم عنه بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الخ [المؤمنون:٧٤] ثم بين شدة عنادهم ولجاجهم بقوله: ﴿ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم ﴾ الخ[المؤمنون:٧٥].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ ﴾ الخ [المؤمنون:٧٦].

قال أبو السعود: استيناف مسوق للاستشهاد على مضمون الشرطية[(٥)].

قال المسكين: ثم بين استكانتهم إذا عاينوا عذاب الآخرة بقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا

---

(١) أبو سعود ٦/ ١٤٤.

(٢) أبو السعود ٦/ ١٤٤.

(٣) التفسير الكبير ٢٣/ ١١٢.

(٤) التفسير الكبير ٢٣/ ١١٣.

(٥) أبو سعود ٦/ ١٤٦.

﴿عَلَيْهِم﴾ الخ[المؤمنون:٧٧] .

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ الخ [المؤمنون:٧٨] .

قال المسكين: عود إلى باب التوحيد والإنعام إثر بيان ما يتعلق بالنبوة.

قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ الخ [المؤمنون:٨١] .

اعلم أنه سبحانه لما أوضح القول في دلائل التوحيد عقبه بذكر المعاد[(١)] .

قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ﴾ الخ [المؤمنون:٨٤] .

اعلم أنه يمكن أن يكون المقصود من هذه الآيات الرد على منكري الإعادة وأن يكون المقصود الرد على عبدة الأوثان[(٢)] .

قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ الخ [المؤمنون:٩١] .

قال المسكين: ظاهره إثبات التوحيد وفيه إشارة إلى اختصاصه بالقدرة على البعث وعدم قدرة أحد على معارضته تعالى فيه.

قوله تعالى: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى﴾ الخ [المؤمنون:٩٣] .

قال أبو السعود: إيذان بكمال فظاعة ما وعدوه من العذاب وكونه بحيث يجب أن يستعيذ منه من لا يكاد يمكن أن يحيق به ورد لإنكارهم إياه واستعجالهم به على طريقة الاستهزاء به[(٣)] .

قال المسكين: ثم أمره ﷺ بما يعامل به الكفار في إنكارهم واستهزائهم بقوله:

(١) التفسير الكبير ٢٣/ ١١٥ .

(٢) التفسير الكبير ٢٣/ ١١٥، ١١٦ .

(٣) أبو سعود ٦/ ١٤٩ .

﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [المؤمنون:٩٦].

قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ﴾ الخ [المؤمنون:٩٧] .

اعلم أنه سبحانه لما أدب رسوله ﷺ بقوله: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ اتبعه بما يقوي على ذلك(١) .

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ الخ [المؤمنون:٩٩] .

قال المسكين: تتميم لذكر المعاد ووقته وأحواله وما يقع فيه إلى آخر السورة.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ﴾ الخ [المؤمنون:١١٧] .

اعلم أنه سبحانه لما بين أنه هو الملك الحق لا إله إلا هو اتبعه بأن من ادعى إلهًا آخر فقد ادعى باطلًا من حيث لا برهان لهم فيه(٢) .

قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ﴾ الخ [المؤمنون:١١٨] .

قال أبو السعود: بدأت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفي الفلاح عن الكافرين ثم أمر رسول الله ﷺ بالاستغفار والاسترحام فقيل: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ﴾ الخ إيذانًا بأنهما من أهم الأمور الدينية حيث أمر به من قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بمن عداه(٣) .

***

---

(١) التفسير الكبير ٢٣/ ١١٨ .

(٢) التفسير الكبير ٢٣/ ١٣٨ .

(٣) أبو السعود ٦/ ١٥٤ .

سورة النور

انكر تعالى في خاتمة السورة المتقدمة على خلق الإنسان عبثًا مهملًا وبين في هـذه السورة كون الإنسان مكلفا ببعض الأحكام، واستلزام التكليف عدم كون خلقه عبثًا بديهي[١].

قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾ الخ [النور:١].

اعلم أنه سبحانه ذكر في هذه السورة أحكامًا كثيرة.

الحكم الأول قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟﴾ الخ [النور:٢].

الحكم الثاني قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ الخ [النور:٣].

الحكم الثالث القذف قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ﴾ الخ [النور:٤].

الحكم الرابع حكم اللعان قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾ الخ [النور:٥].

الحكم الخامس قصة الإفك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ الخ [النور:١١].

الحكم السادس في الاستيذان قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟﴾ الخ [النور:٢٧]

الحكم السابع حكم النظر قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ الخ [النور:٣٠].

الحكم الثامن ما يتعلق بالنكاح قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ الخ [النور:٣٠]

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

الحكم التاسع في الكتابة قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ الخ [النور:٣٣] .

الحكم العاشر الإكراه على الزنا قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ ﴾ الخ[النور:٣٣] (١) .

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ﴾ الخ [النور:٣٤] .

قال أبو السعود: كلام مستأنف جيئ به في تضاعيف ما ورد من الآيات السابقة واللاحقة لبيان جلالة شؤونها المستوجبة للإقبال على العمل بمضمونها(٢) .

قوله تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ الخ [النور:٣٥] .

قال أبو السعود: استيناف مسوق لتقرير ما فيها من البيان مع الإشعار بكونه في غاية الكمال(٣) .

قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ ﴾ الخ [النور:٣٦] .

قال أبو السعود: لما ذكر شأن القرآن الكريم في بيانه للشرائع والأحكام ومباديها وغاياتها المترتبة عليها من الثواب والعقاب وغير ذلك من أحوال الآخرة وأهوالها واشيرالي كونه في غاية ما يكون من التوضيح والإظهار حيث مثل بما فصل من نور المشكاة واشيرالي أن ذلك النور مع كونه في أقصى مراتب الظهور إنما يهتدي بهداه من تعلقت مشية الله تعالى بهدايته دون من عداه، عقب ذلك بذكر الفريقين وتصور بعض اعمالهم المعربة عن كيفية حالهم في الاهتداء وعدمه(٤) .

---

(١) التفسير الكبير ٢٣/ ١٣٠-٢٢٠ .

(٢) أبو سعود ٦/ ١٧٤ .

(٣) أبو سعود ٦/ ١٧٥ .

(٤) أبو سعود ٦/ ١٧٨ .

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ ﴾ الخ [النور:٤١].

اعلم أنه سبحانه لما وصف أنوار قلوب المؤمنين وظلمات قلوب الجاهلين اتبع ذلك بدلائل التوحيد(١).

قال المسكين: وامتد هذا إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور:٤٥] ثم عاد إلى وصف الآيات بقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ﴾ الخ [النور:٤٦].

قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ الخ [النور:٤٧].

قال أبو السعود: شروع في بيان أحوال بعض من لم يشأ الله هدايته إلى الصراط المستقيم قال الحسن: نزلت في المنافقين(٢).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الخ [النور:٥١].

اعلم أنه تعالى لما حكي قول المنافقين وما قالوه اتبعه بذكر ما كان يجب أن يفعلوه وما يجب أن يسلكه المؤمنون(٣).

قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ الخ [النور:٥٥].

قال أبو السعود: استيناف مقرر لما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ﴾ [النور:٥٤] من الوعد الكريم، معرب عنه بطريق التصريح ومبين لتفاصيل ما أجمل فيه من فنون السعادات الدينية والدنيوية التي هي من آثار الاهتداء، ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التي نيط بها الاهتداء (وهي التي ذكرت في قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟

---

(١) التفسير الكبير ٢٤/ ٩.

(٢) أبو سعود ٦/ ١٨٦.

(٣) التفسير الكبير ٢٤/ ٢٢.

﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النور:٥٦])[١].

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الخ [النور:٥٧].

قال أبو السعود: لما بين حال من أطاعه عليه الصلاة والسلام وأشير إلى فوزه بالرحمة المطلقة المستتبعة لسعادة الدارين عقب ذلك ببيان حال من عصاه عليه الصلاة والسلام ومآل أمره في الدنيا والآخرة بعد بيان تناهيه في الفسق تكميلًا لأمر الترغيب والترهيب[٢].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ﴾ الخ [النور:٥٨].

قال أبو السعود: رجوع إلى بيان تتمة الأحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب الامتثال بالأوامر والنواهي الواردة فيها وفي الأحكام اللاحقة من التمثيلات والترغيب والترهيب والوعيد[٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الخ [النور:٦٢].

قال أبو السعود: استيناف جيء به في أواخر الأحكام السابقة تقريرًا لها وتاكيدًا لوجوب مراعاتها وتكميلًا لها ببيان بعض آخر من جنسها[٤].

قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ﴾ الخ [النور:٦٣].

قال أبو السعود: استيناف مقرر لمضمون ما قبلها[٥].

---

(١) أبو سعود ٦/ ١٩٠ وما بين القوسين في الهامش.

(٢) أبو سعود ٦/ ١٩٢.

(٣) أبو سعود ٦/ ١٩٣.

(٤) أبو سعود ٦/ ٢٩٧.

(٥) أبو سعود ٦/ ١٩٨.

سورة الفرقان

ختم السورة المتقدمة بذكر حقوق الرسول عليه الصلاة والسلام ووجوب إطاعته، كذلك أثبت رسالته بالدلائل وإزاحةِ الشبهات في مفتح هذه السورة فتناسبتا[1].

قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ الخ [الفرقان:١] .

اعلم أن الله سبحانه وتعالى تكلم في هذه السورة في التوحيد والنبوة وأحوال القيامة ثم ختمها بذكر صفات العباد المخلصين الموقنين ولما كان إثبات الصانع وإثبات صفات جلاله يجب أن يكون مقدمًا على الكل لا جرم افتتح الله هذه السورة بذلك[2].

قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ الخ [الفرقان:٣] .

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما وصف نفسه بصفات الجلال والعزة والعلو أردف بتزئيف مذهب عبدة الأوثان[3].

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ الخ [الفرقان:٤] .

اعلم أنه سبحانه تكلم (أوّلًا) في التوحيد وثانيا في الرد على عبدة الأوثان وثالثا في هذه الآية: تكلم في مسألة النبوة وحكي سبحانه شبهتهم في إنكار نبوة محمد ﷺ.

الشبهة الأولى قولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ﴾ وإن الله تعالى: أجاب عن هذه الشبهة

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب .

(٢) التفسير الكبير ٢٤/ ٤٤ .

(٣) التفسير الكبير ٢٤/ ٤٨ .

بقوله: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾. الشبهة الثانية لهم قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الخ [الفرقان:٥]. الشبهة الثالثة وهي في نهاية الركاكة ذكروا له صفات خمسة فزعموا أنها تخل بالرسالة فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بوجوه أحدها قوله: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟﴾ الخ [الفرقان:٩] (١).

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ﴾ الخ [الفرقان:١٠].

اعلم أن هذا هو الجواب الثاني عن تلك الشبهة (٢).

قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ﴾ الخ [الفرقان:١١].

هذا جواب ثالث عن تلك الشبهة كأنه سبحانه وتعالى قال ليس ما تعلقوا به شبهة علمية في نفس المسألة بل الذي حملهم على تكذيبك تكذيبهم بالساعة استثقالاً للاستعداد لها. ويحتمل أن يكون المعنى أنهم يكذبون بالساعة فلا يرجون ثوابًا ولا عقابًا ولا يتحملون كلفة النظر والفكر فلهذا لا ينتفعون بما يورد عليهم من الدلائل (٣).

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ الخ [الفرقان:١٥].

اعلم أنه تعالى لما وصف حال العقاب المعد للمكذبين بالساعة اتبعه بما يوكد الحسرة والندامة فقال لرسوله: ﴿قُلْ﴾ الخ (٤).

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ الخ [الفرقان:١٧].

---

(١) التفسير الكبير ٢٤/ ٥٠-٥٤.

(٢) التفسير الكبير ٢٤/ ٥٣.

(٣) التفسير الكبير ٢٤/ ٥٤.

(٤) التفسير الكبير ٢٤/ ٥٧.

اعلم أن قوله: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ ﴾ راجع إلى قوله: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ [الفرقان:٣] [١].

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ ﴾ الخ [الفرقان:٢٠].

هذا جواب عن قولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ ﴾ الخ[الفرقان:٧] [٢].

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ الخ [الفرقان:٢٠].

صبره الله تعالى على كل تلك الأذية وبين أنه جعل الخلق بعضهم فتنة لبعض [٣].

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ ﴾ الخ [الفرقان:٢١].

اعلم أن قوله تعالى: وقال الذين الخ هو الشبهة الرابعة لمنكري نبوة محمد ﷺ وحاصله لم لم ينزل الله الملائكة حتى يشهدوا أن محمدًا محق في دعواه أو نرى ربنا حتى يخبرنا بأنه أرسله إلينا [٤].

قوله تعالى: ﴿ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ ﴾ الخ [الفرقان:٢١].

اعلم أن هذا هو الجواب عن تلك الشبهة [٥].

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ الخ [الفرقان:٢٢].

---

(١) التفسير الكبير ٢٤/ ٦١.

(٢) التفسير الكبير ٢٤/ ٦٥.

(٣) التفسير الكبير ٢٤/ ٦٦.

(٤) التفسير الكبير ٢٤/ ٦٧.

(٥) التفسير الكبير ٢٤/ ٦٨.

هو جواب لقولهم: لو لا أنزل علينا الملائكة فبين تعالى أن الذين سألوه سيوجد ولكنهم يلقون منه ما يكرهون[١].

قوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ ﴾ الخ [الفرقان:٢٣].

قال المسكين: بيان لارتفاع أسباب النفع إثر بيان اجتماع أسباب الضرر.

قوله تعالى: ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ ﴾ الخ [الفرقان:٢٤].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما بين حال الكفار في الخسار الكلي والخيبة التامة شرع وصف أهل الجنة تنبيهًا على أن الحظ كل الحظ في طاعة الله تعالى[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ ﴾ الخ [الفرقان:٢٥].

اعلم أن هذا الكلام مبني على ما استدعوه من إنزال الملائكة فبين سبحانه أنه يحصل ذلك في يوم له صفات[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ ﴾ الخ [الفرقان:٣٠].

اعلم أن الكفار لما أكثروا من الاعتراضات الفاسدة ووجوه التعنت ضاق صدر الرسول ﷺ وشكاهم إلى الله ﷻ وقال: ﴿يَٰرَبِّ﴾ الخ ثم إنه تعالى قال مسليًا لرسوله عليه الصلاة والسلام ومعزيا له: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا﴾ الخ[٤].

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ ﴾ الخ [الفرقان:٣٢].

---

(١) التفسير الكبير ٢٤/ ٧٠.

(٢) التفسير الكبير ٢٤/ ٧٢.

(٣) التفسير الكبير ٢٤/ ٧٣.

(٤) التفسير الكبير ٢٤/ ٧٧.

اعلم أن هذا هو الشبهة الخامسة لمنكري نبوة محمد ﷺ[(١)].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾ الخ [الفرقان:٣٣].

لما بين فساد قولهم بالجواب الواضح قال: ولا يأتونك بمثل من الجنس الذي تقدم ذكره من الشبهات إلا جئناك بالحق الذي يدفع قولهم[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ﴾ الخ [الفرقان:٣٤].

الأقرب أنه صفة للقوم الذين أوردوا هذه الأسئلة على سبيل التعنت وإن كان غيرهم من أهل النار يدخل معهم.

واعلم أنه تعالى بعد أن تكلم في التوحيد ونفي الأنداد وإثبات النبوة والجواب عن شبهات المنكرين لها وفي أحوال القيامة شرع في ذكر قصص على السنة المعلومة، القصة الأولى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى﴾[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى﴾ الخ [الفرقان:٣٥].

اعلم أنه تعالى لما قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان:٣١] اتبعه بذكر جماعة من الأنبياء وعرفه بما نزل بمن كذب من أممهم[(٤)].

القصة الثانية قصة نوح عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ الخ [الفرقان:٣٧][(٥)].

القصة الثالثة قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟﴾ [الفرقان:٣٨][(٦)].

---

(١) التفسير الكبير ٢٤/ ٧٨.

(٢) التفسير الكبير ٢٤/ ٧٩.

(٣) التفسير الكبير ٢٤/ ٨٠.

(٤) التفسير الكبير ٢٤/ ٨٠.

(٥) التفسير الكبير ٢٤/ ٨٠.

(٦) التفسير الكبير ٢٤/ ٨١-٨٢.

القصة الرابعة قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ ﴾ الخ [الفرقان:٤٠] [١].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ ﴾ الخ [الفرقان:٤١].

اعلم أنه سبحانه لما بين مبالغة المشركين في إنكار نبوته وفي إيراد الشبهات في ذلك بين بعد ذلك أنهم إذا رأوا الرسول اتخذوه هزوًا فلم يقتصروا على ترك الإيمان به بل زادوا عليه بالاستهزاء والاستحقار [٢].

قوله تعالى: ﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ الخ [الفرقان:٤٢].

لما حكى عنهم هذا الكلام زيف طريقتهم في ذلك [٣].

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ ﴾ الخ [الفرقان:٤٥].

اعلم أنه تعالى لما بين جهل المعرضين عن دلائل الله تعالى وفساد طريقتهم في ذلك ذكر بعده أنواعًا من الدلائل الدالة على وجود الصانع [٤].

قال المسكين: وامتد هذا الاستدلال إلى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان:٥٤] وأشار في تضاعيفه إلى عموم بعثته ﷺ بقوله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا ﴾ [الفرقان:٥١] ونهاه ﷺ عن المداراة مع الكفار والتلطف في الدعوة في قوله: ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ ﴾ [الفرقان:٥٢] مناسبة لقوله: ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الفرقان:٥٠].

قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ الخ [الفرقان:٥٥].

---

(١) التفسير الكبير ٢٤/ ٨٣.

(٢) التفسير الكبير ٢٤/ ٨٤.

(٣) التفسير الكبير ٢٤/ ٨٦.

(٤) التفسير الكبير ٢٤/ ٨٨.

اعلـم أنـه تعـالى لمـا شرح دلائـل التوحيـد عـاد إلى تهجـين سـيرتهم في عبـادة الأوثان[١].

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا ﴾ الخ [الفرقان:٥٦].

قال المسكين: لما زيف طريق الكفار أمر الرسول ﷺ بدعوتهم إلى الحق وعدم الحزن إن لم يؤمنوا وبإعلامهم بإخلاص الدعوة وبالتوكل على الله تعالى فيما يعرض في الدعوة ثم لما أمره بأن يتوكل عليه وصف نفسه بأمور الحياة والعلم والقدرة والرحمة.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ ﴾ الخ [الفرقان:٦٠].

قال المسكين: لما ذكر أوصاف الكمال له تعالى ذكر جهالة الكفار في نفورهم عن عبادة من هو موصوف بتلك الأوصاف والكمالات.

قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ ﴾ الخ [الفرقان:٦١].

اعلم أنه سبحانه لما حكى عن الكفار مزيد النفرة عن السجود ذكر ما لو تفكروا فيه (لعرفوا)[٢] وجوب السجود والعبادة للرحمان فقال: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا ﴾ (عن ابن عباس رضي الله عنهما أن البروج هي الكواكب العظام)[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ الخ [الفرقان:٦٣].

---

(١) التفسير الكبير ٢٤/ ١٠١.

(٢) قال المؤلف في الهامش لعله:سقط ههنا لفظ من الناسخ وكان العبارة:لعلموا وجوب الخ ولم يذكر المؤلف اللفظ الساقط. أقول قول المؤلف بسقوط اللفظ من نسخته صواب واللفظ موجود في النسخة التي أحلنا إليها ولكنه لفظ:لعرفوا (كما حررنا وجعلناه بين القوسين).

(٣) التفسير الكبير ٢٤/ ١٠٦ وما بين القوسين من هامش الكتاب.

قال أبو السعود: كلام مستأنف مسوق لبيان أوصاف خلص عباد الرحمن وأحوالهم الدنيوية والأخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته والسجود له[١].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ ﴾ الخ [الفرقان:٧٧].

قال أبو السعود: أمر رسول الله ﷺ بأن يبين للناس أن الفائزين بتلك النعم الجليلة التي يتنافس فيها المتنافسون إنما نالوها بما عدد من محاسنهم ولو لا ها لم يعتد بهم أصلًا (فالدعاء بمعنى العبادة)[٢].

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ الخ [الفرقان:٧٧].

قال أبو السعود: بيان لحال الكفرة من المخاطبين كما أن ما قبله بيان لحال المؤمنين منهم[٣].

***

(١) أبو سعود ٦/ ٢٢٨.

(٢) أبو سعود ٦/ ٢٣٢ وما بين القوسين زيادة من المؤلف.

(٣) أبو سعود ٦/ ٢٣٢.

سورة الشعراء

ذكـر في خاتمـة الـسورة المتقدمـة الوعيـد عـلى التكـذيب وذكـر في هـذه الـسورة تفصيل جزاء المكذبين السابقين[١].

قوله تعالى: ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ الخ [الشعراء:١، ٢] .

لما ذكر الله تعالى أنه بين الأمور قال بعده: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ ﴾ [الشعراء:٣] منبها بذلك على أن الكتاب وإن بلغ في البيان كل غاية فغير مـدخل لهـم في الإيـمان لمـا أنـه سـبق حكم الله بخلافه فلا تبالغ في الحزن والأسف على ذلك، ثم بين تعـالى أنـه قـادر عـلى أن ينزل آية يذلون عندها ويخضعون وقولـه: ﴿ مَا يَأْتِيهِم ﴾ [الأنبياء:٢] الـخ مـن تمام قوله: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم ﴾ الخ [الأنبياء:٤] فنبه تعالى على أنه مع قدرته على أن يجعلهم مؤمنين بالإلجاء رحيم بهم من حيث يأتيهم حالًا بعد حال بالقرآن وهو الذكر وهـم مع ذلك على حد واحد في الإعراض والاستهزاء ثم عند ذلـك زجـر وتوعـد فقـال: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا ﴾ [الشعراء:٦] ثم أنه تعالى بين أنه مـع إنزالـه القـرآن حـالًا بعـد حـال قـد أظهر أدلة تحدث حالًا بعد حال فقال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ الخ [الشعراء:٧][٢].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ الخ [الشعراء:٨] .

المعنى أن في ذلك دلالة لمن يتفكر ويتـدبر ومـع كـل ذلـك يـستمر أكثـرهم عـلى كفرهم[٣].

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب .

(٢) التفسير الكبير ٢٤/ ١١٩-١٢٠ .

(٣) التفسير الكبير ٢٤/ ١٢٠ .

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء:٩].

والمراد أنهم مع كفرهم وقدرة الله تعالى على أن يجعل عقابهم لا يترك رحمتهم بما تقدم ذكره من خلق كل زوج كريم من النبات ثم من إعطاء الصحة والعقل والهداية[(١)].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ ﴾ الخ [الشعراء:١٠].

قال أبو السعود: كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من إعراضهم عن كل ما يأتيهم من الآيات التنزيلية وتكذيبهم بها إثر بيان إعراضهم عما يشاهدون من الآيات التكوينية.

وإذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي ﷺ أي واذكر لأولئك المعرضين المكذبين زجرًا لهم عما هم عليه من التكذيب، وتحذيرًا من أن يحيق بهم مثل ما حاق بأضرابهم المكذبين الظالمين[(٢)].

في الكبير: القصة الثانية قصة إبراهيم عليه السلام[(٣)]:

قوله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ الخ [الشعراء:٦٩][(٤)].

القصة الثالثة قصة نوح عليه السلام قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ﴾ الخ [الشعراء:١٠٥][(٥)].

---

(١) التفسير الكبير ٢٤/ ١٢٠.

(٢) أبو سعود ٦/ ٢٣٥.

(٣) التفسير الكبير ٢٤/ ١٤١.

(٤) التفسير الكبير ٢٤/ ١٤١.

(٥) التفسير الكبير ٢٤/ ١٥٣.

القصة الرابعة قصة هود عليه السلام قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ الخ [الشعراء:١٢٣][١].

القصة الخامسة قصة صالح عليه السلام قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ الخ [الشعراء:١٤١][٢].

القصة السادسة قصة لوط عليه السلام قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ﴾ الخ [القمر:٣٣][٣].

القصة السابعة قصة شعيب عليه السلام قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ﴾ الخ [الشعراء:١٧٦][٤].

القول فيما ذكره الله تعالى من أحوال محمد عليه الصلاة والسلام.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ﴾ الخ [الشعراء:١٩٢][٥].

قال المسكين: هذا عود إلى ما ذكر في صدر السورة من حقية الكتاب المبين ونبوته عليه السلام وتمهد هذا إلى آخر السورة وذكر في تضاعيفها جهلهم وعنادهم وأمره عليه السلام بالتبليغ وعدم الاهتمام بكيدهم وشرهم وأجاب عن شبهاتهم الواهية وختم السورة بالتهديد العظيم لمن أنكر بعد وضوح الحجة.

***

---

(١) التفسير الكبير ٢٤/ ١٥٦ .

(٢) التفسير الكبير ٢٤/ ١٥٨ .

(٣) التفسير الكبير ٢٤/ ١٦٠ .

(٤) التفسير الكبير ٢٤/ ١٦٢ .

(٥) التفسير الكبير ٢٤/ ١٦٥ .

سورة النمل

بين حقية القرآن في فاتحة وخاتمة ما قبلها فحصلت المناسبة(١).

قال المسكين: افتتح الله هذه السورة بحقية القرآن وإيمان السعداء به وإنكار الأشقياء له ومآل كل من الفريقين.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ﴾ الخ [النمل:٦].

هذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الأقاصيص(٢).

واعلم أن الله تعالى ذكر في هذه السورة أنواعًا من القصص.

القصة الأولى قصة موسى عليه السلام قوله: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ الخ [النمل:٧].

القصة الثانية قصة داؤد وسليمان عليهما السلام قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ ﴾ الخ [النمل:١٥].

القصة الثالثة قصة صالح عليه السلام قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ ﴾ الخ [النمل:٤٥]

القصة الرابعة قصة لوط عليه السلام قوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ ﴾ الخ [النمل:٥٤](٣).

القول في خطاب الله تعالى مع محمد ﷺ(٤).

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) التفسير الكبير ٢٤/ ١٨٠.

(٣) التفسير الكبير ٢٤/ ١٨١-٢٠٤.

(٤) التفسير الكبير ٢٤/ ٢٠٥.

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ الخ [النمل:٥٩].

قال المسكين: لما فرغ من ذكر القصص بدأ في التوحيد وإثباته بالدلائل وإبطال الشرك فالمقصود هو قوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ الخ [النمل:٥٩].

وأما قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾ [النمل:٥٩] فهو كالخطبة المقدمة على المقصود توطئة وتبركًا.

قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الخ [النمل:٦٥].

قال أبو السعود: بعد ما حقق تفرده تعالى بالألوهية ببيان اختصاصه بالقدرة الكاملة التامة والرحمة الشاملة العامة عقبه بذكر ما هو من لوازمه وهو اختصاصه بعلم الغيب تكميلًا لما قبله وتمهيدًا لما بعده من أمر البعث[1].

قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ﴾ الخ [النمل:٦٦].

قال أبو السعود: لما نفى عنهم علم الغيب وأكد ذلك بنفي شعورهم بوقت ما هو مصيرهم لا محالة بولغ في تاكيده وتقريره[2].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ الخ [النمل:٦٧].

قال أبو السعود: بيان لجهلهم بالآخرة وعملهم منها بحكاية إنكارهم للبعث[3].

قوله تعالى: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الخ [النمل:٦٩].

---

(١) أبو سعود ٦/ ٢٩٦.

(٢) أبو سعود ٦/ ٢٩٦.

(٣) أبو سعود ٦/ ٢٩٧.

قال المسكين: أمر ﷺ بتهديدهم على التكذيب.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ الخ [النمل:٧٠].

قال المسكين: هذا تسلية له عليه الصلاة والسلام.

قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ الخ [النمل:٧١].

قال المسكين: عود إلى إنكارهم للبعث بنهج آخر ثم أجاب عنه بوعدهم ببعض ما استعجلوه في قوله: ﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ ﴾ الخ [النمل:٧٢].

ثم بين سبب تأخر العذاب الأكبر بقوله: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ ﴾ الخ [النمل:٧٣].

ثم أشار إلى أن لهم قبائح غير ما يظهرونه وأنه تعالى يجازيهم على الكل في قوله: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ ﴾ الخ [النمل:٧٤].

ثم أشار إلى أن قبائحهم كما هي معلومة له تعالى كذا هي مثبتة مع الأشياء الآخر في اللوح المحفوظ في قوله: ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ الخ [النمل:٧٥].

ثم بين فضائل القرآن العظيم المشتمل على هذه الأمور المهمة النافعة في قوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ الخ [النمل:٧٦].

ثم سلى رسول الله ﷺ بأن قضائهم موكول إلى الله تعالى فلا تهتم بهم إن كذبوك ولا تخفهم إن عاندوك بل توكل على الله ولا تحزن إن لم يؤمنوا لأنهم كالموتى والصم والعمى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي ﴾ – إلى قوله: ﴿ فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [النمل:٧٨- ٨١] فكل هذا متعلق بالنبوة ثم عاد إلى المعاد فقال:

﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ الخ [النمل:٨٢].

قال أبو السعود: بيان لما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿ بَعْضُ ٱلَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾

[النمل:٧٢] من بقية ما يستعجلونه من الساعة ومباديها[١] .

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ ﴾ الخ [النمل:٨٣] .

قال أبو السعود: بيان إجمالي لحال المكذبين عند قيام الساعة بعد بيان بعض مباديها[٢] .

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ ﴾ الخ [النمل:٨٦] .

قال المسكين آخذا من أبي السعود: هذا دليل لصحة البعث والنموذج له، يستدل به عليها فإن من تأمل في تعاقب الليل والنهار وشاهد من الآفاق تبدل ظلمة الليل المحاكية للموت بضياء النهار المضاهي للحيوة وعاين في نفسه تبدل النوم الذي هو أخو الموت بالانتباه الذي هو مثل الحيوة قضى بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور[٣] .

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ ﴾ الخ [النمل:٨٧] .

اعلم أن هذا هو العلامة الثانية لقيام القيامة (وكانت الأولى خروج الدابة من الأرض)[٤] .

قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ ﴾ الخ [النمل:٨٨] .

اعلم أن هذا هو العلامة الثالثة لقيام القيامة[٥] .

---

(١) أبو سعود ٦/ ٣٠٠ .

(٢) أبو سعود ٦/ ٣٠٢ .

(٣) أبو سعود ٦/ ٣٠٣ .

(٤) التفسير الكبير ٢٤/ ٢١٩ وما بين القوسين في الهامش .

(٥) التفسير الكبير ٢٤/ ٢٢٠ .

قوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾ الخ [النمل:٨٩] .

اعلم أنه تعالى لما تكلم في علامات القيامة شرح بعد ذلك أحوال المكلفين بعد قيام القيامة(١) .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ﴾ الخ [النمل:٩١] .

قال أبو السعود: أمر عليه الصلاة والسلام أن يقول لهم ذلك بعد ما بين لهم أحوال المبدء والمعاد وشرح أحوال القيامة تنبيهًا على أنه قد أتم أمر الدعوة بما لا مزيد عليه ولم يبق له عليه الصلاة والسلام بعد ذلك شأن سوى الاشتغال بعبادة الله لأ والاستغراق في مراقبته غير مبال بهم ضلوا أم رشدوا، أصلحوا أو أفسدوا(٢) .

قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ﴾ الخ [النمل:٩٣] .

إنه سبحانه ختم هذه الخاتمة في نهاية الحسن وهي قوله: وقل الحمد لله على ما أعطاني من نعمة العلم والحكمة والنبوة أو على ما وفقني من القيام بأداء الرسالة وبالإنذار سيريكم آياته القاهرة فتعرفونها لكن حين لا ينفعكم الإيمان وما ربك بغافل عما تعملون لأنه من وراء جزاء العاملين(٣) .

***

---

(١) التفسير الكبير ٢٤/ ٢٢١ .

(٢) أبو سعود ٦/ ٣٠٦ .

(٣) التفسير الكبير ٢٤/ ٢٢٣ .

سورة القصص

في خاتمة السورة السابقة لما تم الحجة على الكفار بقولـه : ﴿وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [النمل:٩٢] بـين في هـذه حـال مـن ضـل كفرعـون ومـن أنـذر كموسى عليه السلام[١].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا ﴾ الخ [القصص:٤].

قال أبو السعود: استيناف جار مجرى التفسير للمجمل الموعود[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الخ [القصص:٤٣].

قال أبو السعود: والتعرض لبيان كون إيتائها بعد إهلاكهم للإشعار بمساس الحاجة المراعية إليه تمهيدًا لما يعقبه من بيان الحاجة الداعية إلى إنزال القرآن الكريم على رسول الله ﷺ فإن إهلاك القرون الأولى من موجبات إندراس معالم الشرائع وانطماس آثارها وأحكامها المودين إلى اختلال نظام العالم وفساد أحوال الأمم المستدعين للتشريع الجديد بتقرير الأصول الباقية على مر الدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير أحوال الأمم الخالية الموجبة للاعتبار[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ ﴾ الخ [القصص:٤٤].

قال أبو السعود: شروع في بيان أن إنزال القرآن الكريم أيضًا واقع في زمان شدة مساس الحاجة إليه واقتضاء الحكمة له البتة[٤].

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) أبو سعود ٧/ ٢.

(٣) أبو سعود ٧/ ١٥.

(٤) أبو سعود ٧/ ١٥.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم ﴾ الخ [القصص:٤٧].

قال المسكين: هذا تعليل للإرسال أي أرسلناك قطعًا لمعاذيرهم بالكلية[1].

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ الخ [القصص:٤٨].

قال المسكين: من ههنا إلى قوله تعالى: ضل عنهم ما كانوا يفترون تهجين طريقة المشركين في أقوالهم وعقائدهم وبيان شبهاتهم والجواب عنها وتهديد بتذكير حال من قبلهم وبما يرون يوم القيامة وإثبات توحيده تعالى وعدم إغناء آلهتهم عنهم شيئًا فهذا كله كلام واحد متداخل بعضه في بعض ثم ذكر تعالى قصة قارون كالتفسير لإجمال قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾ الخ [القصص:٥٨] تنبيها على أن متاع الحياة الدنيا وزينتها لا ينبغي الاغترار به فإن ما عند الله خير وأبقى ثم ختم القصة ببيان من يصلح للدار الآخرة بقوله: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا ﴾ الخ [القصص:٨٣] ثم ذكر القول الكلي لبيان جزاء طالب الدنيا وطالب الآخرة بقوله: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾ الخ [القصص:٨٤].

ثم لما ختم تفصيل أحوال الكفار وكان رسول الله ﷺ في اهتمام واغتمام من أمرهم كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص:٥٦] خاطب عليه السلام ليقوى قلبه ببعض البشارات وذكر بعض الامتنانات وأمره بالاستقامة على الحق وعدم المبالاة بالكفار والثبات على الدعوة وتفويض الحكم إليه تعالى إذا رجع الكل إليه كل هذا مذكور في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [القصص:٨٥] إلى آخر السورة ولله الحمد.

***

(١) ذكره المؤلف من عند نفسه وقوله: أي أرسلناك الخ موجود في ابي سعود ٧/ ١٧ .

سورة العنكبوت

وجه تعلق السورتين مذكور في المتن[(١)].

قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ ﴾ الخ [العنكبوت:١، ٢].

الوجه في تعلق أول هذه السورة بما قبلها هو أنه تعالى لما قال في آخر السورة المتقدمة: وادع إلى ربك وكان في الدعاء إليه الطعان والحراب والضراب لأن النبي ﷺ وأصحابه كانوا مأمورين بالجهاد إن لم يؤمن الكفار بمجرد الدعاء فشق على البعض ذلك فقال: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ ﴾ الخ[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ ﴾ الخ [العنكبوت:٣].

ذكر الله ما يوجب تسليتهم فقال كذلك فعل الله بمن قبلهم ولم يتركهم بمجرد قولهم آمنًا بل فرض عليهم الطاعات وأوجب عليهم العبادات[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ﴾ الخ [العنكبوت:٤].

لما بين حسن التكليف بقوله: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ ﴾ بين أن من كلف بشيء ولم يأت به يعذب وإن لم يعذب في الحال فيعذب في الاستقبال ولا يفوت الله شيء في الحال ولا في المال[(٤)].

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ﴾ الخ [العنكبوت:٥].

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) التفسير الكبير ٢٥/ ٢٥.

(٣) التفسير الكبير ٢٥/ ٢٩.

(٤) التفسير الكبير ٢٥/ ٣٠.

لما بين بقوله: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ أن العبد لا يترك في الدنيا سدى وبين في قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [العنكبوت:٤] أن من ترك ما كلف به يعذب كذا بين أن من يعترف بالآخرة ويعمل لا يضيع عمله ولا يخيب أمله[١].

قوله تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ الخ [العنكبوت:٦].

لما بين أن التكليف حسن واقع وإن عليه وعدًا وإيعادًا ليس لهما دافع، بين أن طلب الله ذلك من المكلف ليس لنفع يعود إليه فإنه غني مطلقًا[٢].

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الخ [العنكبوت:٧].

لما بين إجمالًا أن من يعمل صالحًا فلنفسه بين مفصلًا بعض التفصيل جزاء المطيع الصالح عمله[٣].

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الخ [العنكبوت:٨].

لما بين الله حسن التكاليف ووقوعها وبين ثواب من حقق التكاليف وأصولها وفروعها تحريضًا للمكلف على الطاعة ذكر المانع ومنعه من أن يختار اتباعه فقال: الإنسان إن إنقاد لأحد ينبغي أن ينقاد لأبويه، ومع هذا لو أمراه بالمعصية لا يجوز اتباعهما فضلًا عن غيرهما فلا يمنعن أحدكم شيئ من طاعة الله ولا يتبعن أحد من يأمر بمعصية الله[٤].

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟﴾ الخ [العنكبوت:٩].

---

(١) التفسير الكبير ٢٥/ ٣٠.

(٢) التفسير الكبير ٢٥/ ٣١.

(٣) التفسير الكبير ٢٥/ ٣٣.

(٤) التفسير الكبير ٢٥/ ٣٥.

قال المسكين: أعاده لأن ما قبله كان بيانًا لحالتهم الحقيقية وهذا بيان لحالتهم الإضافية.

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ﴾ الخ [العنكبوت:١٠].

نقول: أقسام المكلفين ثلاثة مؤمن ظاهر بحسن اعتقاده، وكافر مجاهر بكفره وعناده، مذبذب بينهما يظهر الإيمان بلسانه ويضمر الكفر في فؤاده.

والله تعالى لما بين القسمين بقوله تعالى: ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:٣] وبين أحوالهما بقوله: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾- إلى قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [العنكبوت:٤-٧] بين القسم الثالث وقال: ومن الناس من يقول آمنا بالله[1].

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ الخ [العنكبوت:١٢].

قال أبو السعود: بيان لحملهم المؤمنين على الكفر بالاستمالة بعد بيان حملهم لهم بالأذية والوعيد[2].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾ الخ [العنكبوت:١٤].

إن الله تعالى لما بين التكليف وذكر أقسام المكلفين ووعد المؤمن الصادق بالثواب العظيم ووعد الكافر والمنافق بالعذاب الأليم وكان قد ذكر أن هذا التكليف ليس مختصًا بالنبي وأصحابه وأمته حتى صعب عليهم ذلك بل قبله كان كذلك كما قال تعالى: ولقد فتنا الذين من قبلهم، ذكر من جملة من كلف جماعة منهم

---

(١) التفسير الكبير ٢٥/ ٣٧.

(٢) أبو سعود ٧/ ٣٢.

نوح النبي عليه السلام وقومه ومنهم إبراهيم عليه السلام وغيرهما[١].

قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا ﴾ الخ [العنكبوت:٤١].

لما بين الله تعالى أنه أهلك من أشرك عاجلًا وعذب من كذب آجلًا ولم ينفعه في الدارين معبوده ولم يدفع ذلك عنه ركوعه وسجوده مثَّل اتخاذه ذلك معبودًا باتخاذ العنكبوت بيتا لا يجير آويًا ولا يريح ثاويًا[٢].

قال المسكين: ثم قرر أمر التوحيد ببيان ضعف ما يدعون من دونه وبلاغة المثل المذكور وأضرابه وكونه تعالى خالقًا ثم قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٤٤] أي دليلًا على التوحيد.

قوله تعالى: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ ﴾ الخ [العنكبوت:٤٥].

يعني إن كنت (تأسف) على كفرهم فاتل ما أوحي إليك لتعلم أن نوحًا ولوطًا وغيرهما كانوا على ما أنت عليه، بلغوا الرسالة وبالغوا في إقامة الدلالة ولم ينقذوا قومهم من الضلالة والجهالة[٣].

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ الخ [العنكبوت:٤٦].

لما بين الله طريقة إرشاد المشركين ونفع من انتفع وحصل اليأس ممن امتنع بين طريقة إرشاد أهل الكتاب ثم بعد ذلك ذكر دليلًا قياسيًا فقال: وكذلك أنزلنا إليك

---

(١) التفسير الكبير ٢٥/ ٤١.

(٢) التفسير الكبير ٢٥/ ٦٧.

(٣) التفسير الكبير ٢٥/ ٧١ وما بين القوسين من لفظ: «تأسف» زيد من الكبير وقد جاء في الهامش من قول المصحح: لعله ساقط ههنا لفظ: حزينا أو نحوه لكن في النسخة التي بين أيدينا ما يوجد سقط بل اللفظ المناسب موجود وهو الذي ذكرناه.

الكتاب يعني كما أنزلنا على من تقدمك أنزلنا إليك وهذا قياس[١] .

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ ﴾ الخ [العنكبوت:٤٨] .

هـذا المبحـث في الأجوبـة عـن الـشبهات في النبـوة مـن اقـتراحهم الآيـات واسـتعجال العـذاب إن كـان نبيًـا ونحوهمـا وامتـد هـذا إلى قولـه: ذوقـوا مـا كنـتم تعملون[٢] .

قوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ الخ [العنكبوت:٥٦] .

قال المسكين: بيان لأمر الهجرة إثر بيان عناد الكفار المفضي إليها غالبًا.

قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ الخ [العنكبوت:٥٧] .

لمـا أمـر الله تعـالى المـؤمنين بالمهـاجرة صـعب علـيهم تـرك الأوطـان ومفارقـة الإخوان فقال لهم إن ما تكرهون لا بد من وقوعه فإن كل نفس ذائقة الموت والموت مفـرق الأحبـاب فـالأولى أن يكـون ذلـك في سـبيل الله فيجـازيكم عليـه فـإن إلى الله مرجعكم[٣] .

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ الخ [العنكبوت:٥٨] .

بين ما يكون للمؤمنين وقت الرجوع إليه[٤] .

قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ ﴾ الخ [العنكبوت:٦٠] .

---

(١) التفسير الكبير ٢٥/ ٧٥ .

(٢) لم أجده في التفسير الكبير ولا في أبي السعود ولم ينسبه إلى نفسه المؤلف والمتقدم ليس من قوله.

(٣) التفسير الكبير ٢٥/ ٨٤ .

(٤) التفسير الكبير ٢٥/ ٨٥ .

قال أبو السعود: روى أن النبي ﷺ لما أمر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة إلى المدينة قالوا كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة[١].

قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم ﴾ الخ [العنكبوت:٦١].

قال المسكين: عود إلى تقرير التوحيد الذي كان مذكورًا في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا ﴾ الخ [العنكبوت:٤١] بإثبات الخالقية والرازقية وغيرهما له تعالى ثم حقر شأن الدنيا المانعة لهم عن الإقبال على الآخرة بالإيمان بالله ورسوله مع اعترافهم بالتوحيد وقت السؤال في قوله: ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ الخ [العنكبوت:٦٤] ثم أشار إلى عودهم إلى الفطرة الأصلية التي تقتضي التوحيد إذا زال المانع من الركون إلى الزخارف والشهوات وقت ركوبهم في الفلك بقوله: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ ﴾ الخ [العنكبوت:٦٥] ثم ذكر لهم نعمة عظيمة من أمنهم في الحرم تحملهم على الإيمان في قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ﴾ الخ [العنكبوت:٦٧].

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ ﴾ الخ [العنكبوت:٦٨].

لما بين الله الأمور على الوجه المذكور ولم يؤمن به أحد بين أنهم أظلم من يكون[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ﴾ الخ [العنكبوت:٦٩].

قال المسكين: كأنه قسيم لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ ﴾ [العنكبوت:٦٨] أي حال العاصي ذلك وحال المطيع هذا والله أعلم.

---

(١) أبو سعود ٧/ ٤٦.

(٢) التفسير الكبير ٢٥/ ٩٣.

سورة الروم

لما كان المذكور في خاتمة ما قبلها حال العاصي والمطيع من حيث إن أحدهما ظالم مستحق لجهنم والآخر مهتد مستحق لمعيته تعالى بين في فاتحة هذه السورة حالهما بوجه آخر من حيث كون أحدهما غالبا والآخر مغلوبًا كما أفصح عنه قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الروم:٤، ٥] (١).

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ﴾ الخ [الروم:٨].

قال أبو السعود: إنكار واستقباح لقصر نظرهم على ما ذكر من ظاهر الحياة الدنيا مع الغفلة عن الآخرة الخ(٢).

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الخ [الروم:٩].

قال أبو السعود: توبيخ لهم بعدم اتعاظهم بمشاهدة أحوال أمثالهم الدالة على عاقبتهم ومآلهم(٣).

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ الخ [الروم:١١].

قال المسكين: كان ما ذكر من قوله: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ﴾ [الروم:٩] الخ دليلًا ونموذجًا بوقوع الآخرة وهذا دعوى وقوعها وما يكون فيها من أحوال المؤمنين والكفار.

قوله تعالى: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ الخ [الروم:١٧].

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) أبو سعود ٧/ ٥١.

(٣) أبو سعود ٧/ ٥٢.

قال أبو السعود: إثر ما بين حال فريقي المؤمنين العاملين للصالحات والكافرين المكذبين بالآيات وما لهما من الثواب والعذاب أمروا بما ينجي من الثاني ويفضي إلى الأول من تنزيه الله لأ عن كل ما لا يليق بشأنه سبحانه ومن حمده تعالى على نعمه العظام(١).

قوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ الخ [الروم:١٩].

قال المسكين: بيان لبعض أعاجيب قدرته تعالى ليدل على استحقاقه للحمد وليدل على صحة البعث التي فيها الكلام ههنا ثم ذكر الآيات الدالة على البعث إلى قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الروم:٢٧].

قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا ﴾ الخ [الروم:٢٨].

لما بين الإعادة والقدرة عليها بالمثل بعد الدليل بين الوحدانية أيضًا بالمثل بعد الدليل(٢).

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ﴾ الخ [الروم:٣٣].

لما بين التوحيد بالدليل وبالمثل بين أن لهم حالة يعرفون بها وإن كانوا ينكرونها في وقت وهي حالة الشدة(٣).

قوله تعالى: ﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا ﴾ الخ [الروم:٣٥].

لما سبق قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الروم:٢٩]

---

(١) أبو سعود ٧/ ٥٤.

(٢) التفسير الكبير ٢٥/ ١١٨.

(٣) التفسير الكبير ٢٥/ ١٢١.

حقق ذلك بالاستفهام بمعنى الإنكار[١].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةً ﴾ الخ [الروم:٣٦].

قال المسكين: بيان لآثار التوحيد المتزلزل الذي كان في المشركين ثم بين قصور نظرهم في قوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ الخ [الروم:٣٦] ببيان كون كل من الأحوال من الله تعالى فيجب أن يرجع إليه في كل حال ثم ذكر علامات اعتقاد كون الرزق من الله تعالى الذي يجب أن يتصف به المؤمنون من إيتاء أهل الحقوق حقوقهم الدال على كمال التوكل وعدم الخشية من الإقلال ونهاهم عن الحرص والطمع وطلب الزيادة في قوله: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ إلى قوله: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ﴾ [الروم:٣٨، ٣٩].

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ ﴾ الخ [الروم:٤٠].

قال المسكين: عود إلى مسألة التوحيد والحشر.

قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ ﴾ الخ [الروم:٤١].

وجه تعلق هذه الآية بما قبلها هو أن الشرك سبب الفساد[٢].

قوله تعالى: ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ الخ [الروم:٤٢].

لما بين حالهم بظهور الفساد في أحوالهم بسبب فساد أقوالهم بين لهم هلاك أمثالهم وأشكالهم الذين كانت أفعالهم كأفعالهم[٣].

قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ ﴾ الخ [الروم:٤٣].

---

(١) التفسير الكبير ٢٥/ ١٢٢.

(٢) التفسير الكبير ٢٥/ ١٢٧.

(٣) التفسير الكبير ٢٥/ ١٢٨.

قال المسكين: أمر بالتوحيد مع الوعيد من إتيان القيامة وفصل الأمور فيها.

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ﴾ الخ [الروم:٤٦].

قال المسكين: إقامة لدلائل التوحيد والبعث.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ ﴾ الخ [الروم:٤٧].

قال أبو السعود: لعل توسيط الآية الكريمة بطريق الاعتراض بين ما سبق وما لحق من أحوال الرياح وأحكامها لإنذار الكفرة وتحذيرهم عن الإخلال بواجب الشكر المطلوب بقوله تعالى: ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ بمقابلة النعم المعدودة المنوطة بإرسالها كيلا يحل بهم مثل ما حل بأولئك الأمم من الانتقام(١).

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ﴾ الخ [الروم:٤٨].

قال أبو السعود: استيناف مسوق لبيان ما أجمل فيها سبق من أحوال الرياح(٢).

قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا ﴾ الخ [الروم:٥١].

لما بين أنهم عند توقف الخير يكونون مبلسين آيسين وعند ظهوره يكونون مستبشرين بين أن تلك الحالة أيضًا لا يدومون عليها بل لو أصاب زرعهم ريح مصفر لكفروا فهم منقلبون غير ثابتين لنظرهم إلى الحال لا إلى المآل(٣).

قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ الخ [الروم:٥٢].

لما علم تعالى رسوله أنواع الأدلة وأصناف الأمثلة ووعد وأوعد ولم يزدهم

---

(١) أبو سعود ٧/ ٦٤.

(٢) أبو سعود ٧/ ٦٤.

(٣) التفسير الكبير ٢٥/ ١٣٤.

دعائه إلا فرارا قال له: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ﴾ الخ[١].

قوله تعالى: ﴿ ۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم ﴾ الخ [الروم:٥٤].

لما أعاد من الدلائل التي مضت دليلًا من الآفاق وهو قوله: ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ ﴾ [الروم:٥٤] وذكر أحوال الريح من أوله إلى آخره أعاد دليلًا من دلائل الأنفس وهو خلق الآدمي وذكر أحواله فقال: ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ الخ[الروم:٥٤][٢].

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ﴾ الخ [الروم:٥٥].

قال المسكين: تصريح بالمطلوب من إثبات الحشر بعد المقدمة من بيان الدليل.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ ﴾ الخ [الروم:٥٨].

إشارة إلى إزالة الأعذار والإتيان بما فوق الكفاية من الإنذار وإلى أنه لم يبق من جانب الرسول تقصير فإن طلبوا شيئًا آخر فذلك عناد ثم بين تعالى أن ذلك بطبع الله على قلوبهم بقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ ﴾ [الروم:٥٩] ثم أنه تعالى سلى قلب النبي ﷺ بقوله: ﴿ فَاصْبِرْ ﴾ الخ [الروم:٦٠][٣].

***

---

(١) التفسير الكبير ٢٥/ ١٣٤، ١٣٥ .

(٢) التفسير الكبير ٢٥/ ١٣٦ .

(٣) التفسير الكبير ٢٥/ ١٣٧ و١٣٨ .

سورة لقمان عليه السلام

وجه الارتباط بين السورتين مذكور في المتن[(١)].

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ الخ [لقمان:١، ٢].

وجه ارتباط أول هذه السورة بآخر ما قبلها هو أن الله تعالى لما قال: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾ الخ [الروم:٥٨] إشارة إلى كونه معجزة وقال: ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ [الروم:٥٨] إشارة إلى أنهم يكفرون بالآيات، بين ذلك : ﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ أي هذه آيات ولم يؤمنوا بها وإلى هذا أشار بعد هذا بقوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ﴾ الخ [لقمان:٧][(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى﴾ الخ [لقمان:٦].

لما بين أن القرآن كتاب حكيم يشتمل على آيات حكيمة بين من حال الكفار أنهم يتركون ذلك ويشتغلون بغيره[(٣)].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الخ [لقمان:٨].

لما بين حال من إذا تتلى عليه الآيات ولي، بين حال من يقبل على تلك الآيات ويقبلها[(٤)].

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) التفسير الكبير ٢٥/ ١٣٩.

(٣) التفسير الكبير ٢٥/ ١٤٠.

(٤) التفسير الكبير ٢٥/ ١٤٢.

قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ﴾ الخ [لقمان:١٠].

قال أبو السعود: استيناف مسوق للاستشهاد بها فصل فيه على عزته تعالى التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم وتمهيد قاعدة التوحيد وتقريره وإبطال أمر الإشراك وتبكيت أهله[١].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ﴾ الخ [لقمان:١٢].

قال أبو السعود: كلام مستأنف اعترض به على نهج الاستطراد في أثناء وصية لقمان تأكيدًا لما فيها من النهي عن الشرك[٢].

قوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ ﴾ الخ [لقمان:١٦].

قال أبو السعود: شروع في حكاية بقية وصايا لقمان إثر تقرير ما في مطلعها من النهي عن الشرك وتأكيده بالاعتراض[٣].

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ ﴾ الخ [لقمان:٢٠].

قال أبو السعود: رجوع إلى سنن ما سلف قبل قصة لقمان من خطاب المشركين وتوبيخ لهم على إصرارهم على ما هم عليه مع مشاهدتهم لدلائل التوحيد[٤].

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ ﴾ الخ [لقمان:٢٢].

لما بين حال المشرك والمجادل في الله بين حال المسلم المستسلم لأمر الله[٥].

---

(١) أبو سعود ٧/ ٧٠.

(٢) أبو سعود ٧/ ٧١.

(٣) أبو سعود ٧/ ٧٢.

(٤) أبو سعود ٧/ ٧٣.

(٥) التفسير الكبير ٢٥/ ١٥٣.

قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ ﴾ الخ [لقمان:٢٣] .

قال المسكين: هذا تسلية للنبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم ﴾ الخ [لقمان:٢٥] .

لما استدل بخلق السموات بغير عمد وبنعمه الظاهرة والباطنة بين أنهم معترفون بذلك غير منكرين له(١) .

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ الخ [لقمان:٢٧] .

قال المسكين: بيان لكمال عظمته تعالى ببيان عظمة كلماته.

قوله تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ ﴾ الخ [لقمان:٢٨] .

لما بين كمال قدرته وعلمه ذكر ما يبطل استبعادهم للحشر الخ(٢) .

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ ﴾ الخ [لقمان:٢٩] .

قال المسكين: عود إلى إثبات التوحيد بالدلائل وكذا قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي ﴾ الخ [لقمان:٣١] .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ ﴾ الخ [لقمان:٣٢] .

لما ذكر الله أن في ذلك لآيات ذكر أن الكل معترفون به غير أن البصير يدركه أولًا ومن في بصيرته ضعف لا يدركه أولًا فإذا غشيه موج ووقع في شدة اعترف(٣) .

---

(١) التفسير الكبير ٢٥/ ١٥٥ .

(٢) التفسير الكبير ٢٥/ ١٥٨ .

(٣) التفسير الكبير ٢٥/ ١٦٢ .

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ الخ [لقمان:٣٣] .

لما ذكر الدلائل من أول السورة إلى آخرها وعظ بالتقوى لأنه تعالى لما كان واحدًا أوجب التقوى البالغة فإن من يعلم أن الأمر بيد اثنين لا يخاف أحدهما مثل ما يخاف لو كان الأمر بيد أحدهما لا غير[1] .

قال المسكين: وأيضًا فيه بيان لكيفية الحشر وما ههنا.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ الخ [لقمان:٣٤] .

قال المسكين: لما بين الساعة فيها قبل سألوا متى الساعة فذكر الله تعالى اختصاصه بعلمها مع أخواتها من علوم الغيب، والله أعلم.

***

(١) التفسير الكبير ٢٥/ ١٦٣ .

سورة الم السجدة

وجه المناسبة بينها وبين ما قبلها مذكور في المتن[(١)].

قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ الخ [الم السجدة:٢].

لما ذكر الله تعالى في السورة المتقدمة دليل الوحدانية وذكر الأصل الآخر وهو الحشر وختم السورة بهما بدأ ببيان الرسالة في هذه السورة[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ الخ [الم السجدة:٤].

لما ذكر الرسالة بين ما على الرسول من الدعاء إلى التوحيد وإقامة الدليل[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا ﴾ الخ [الم السجدة:١٠].

لما قال: ﴿ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾ [الم السجدة:٩] بين عدم شكرهم بإتيانهم بضده وهو الكفر وإنكار قدرته على إحياء الموتى وقد ذكرنا أن الله تعالى في كلامه القديم كلما ذكر أصلين من الأصول الثلاثة لم يترك الأصل الثالث وههنا كذلك لما ذكر الرسالة بقوله: ﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ إلى قوله: ﴿ لِتُنذِرَ ﴾ لتنذر وذكر الوحدانية بقوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ - إلى قوله: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾ ذكر الأصل الثالث وهو الحشر بقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا ﴾ الخ[(٤)].

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) التفسير الكبير ٢٥/ ١٦٦.

(٣) التفسير الكبير ٢٥/ ١٦٧.

(٤) التفسير الكبير ٢٥/ ١٧٥.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ الخ [الم السجدة:١٢] .

لما ذكر أنهم يرجعون إلى ربهم بين ما يكون عند الرجوع على سبيل الإجمال(١) .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ الخ [الم السجدة:١٥] .

قال المسكين: بيان لحال المؤمنين إثر حال الكافرين.

قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا ﴾ الخ [الم السجدة:١٨] .

لما بين حال المجرم والمؤمن قال للعاقل: هل يستوي الفريقان ثم بين أنهما لا يستويان ثم بين عدم الاستواء على سبيل التفصيل(٢) .

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ﴾ الخ [الم السجدة:٢٢] .

يعني لنذيقنهم ولا يرجعون فيكونون قد ذكروا بآيات الله من النعم أولًا والنقم ثانيًا ولم يؤمنوا فلا أظلم منهم أحد(٣) .

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ﴾ الخ [الم السجدة:٢٣] .

لما قرر الأصول الثلاثة على ما بيناه عاد إلى الأصل الذي بدأ به وهو الرسالة في قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ وقال: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ الخ[الأحقاف:٩] (٤) .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ ﴾ الخ [الم السجدة:٢٥] .

قال المسكين: بيان للفصل بين من آمن بالرسل ومن لم يؤمن بهم إثر إثبات

---

(١) التفسير الكبير ٢٥/ ١٧٧ .

(٢) التفسير الكبير ٢٥/ ١٨٢ .

(٣) التفسير الكبير ٢٥/ ١٨٥ .

(٤) التفسير الكبير ٢٥/ ١٨٥ .

الرسالة.

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ الخ [الم السجدة:٢٦].

قال المسكين: وعيد للمكذبين الرسول وهذا تذكير للنقم التي ربما تحمل على الإيمان.

قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ ﴾ الخ [الم السجدة:٢٨].

قال المسكين هذا تذكير للنعم التي ربما تحمل على الإيمان.

قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ ﴾ الخ [الم السجدة:٢٨].

قال المسكين: لما أوعدوا بوقوع الفصل في قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الم السجدة:٢٥] استبعدوه فحكى الله تعالى استبعادهم وأجابهم عنه.

***

سورة الأحزاب

ختم السورة ببيان الوعد للمكذبين للرسل وبين في هذه حقوقه ﷺ من تصديقه وتعظيمه مفصلًا وبينهما من التقابل ما لا يخفى (١).

قال المسكين في جميع هذه السورة ذب عن رسول الله ﷺ فيما أوذي به من أنواع الإيذاء قتال الأحزاب معه ومعاونة المنافقين لهم وطعن المنافقين في نكاحه عليه الصلاة والسلام بزينب رضي الله عنها وطلب الأزواج الزيادة في الإنفاق واشتغال بعض المسلمين بالأحاديث في بيته ﷺ ونحو ذلك مما تأذى به النبي ﷺ فهذا القدر هو المقصود الأصلي من السورة وما سوى ذلك فهو إما توطئة لبعض ما هو المقصود وإما مكمل له كما يظهر كل ذلك من التأمل في النظم الكريم ولما كان اشد الإيذاء من الكفرين والمنافقين بدأ الله تعالى بالأمر بتقوى الله تعالى وعدم خشيته لهم التي تفضي أحيانًا إلى الإطاعة وبالتوكل على الله تعالى فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ الخ [الأحزاب:١] .

ثم صرح ببعض مقاصد السورة بقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ الخ [الأحزاب:٤] جوابًا عن قصة زينب وذكر قبله مثلًا لتأيده بقوله: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ﴾ [الأحزاب:٤].

ثم أشار إلى أن نفي الأبوة الصورية عن رسول الله ﷺ لا يستلزم نفي الأبوة المعنوية بل هو أقرب من الآباء في هذه المرتبة فقال: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الخ [الأحزاب:٦].

---

(١) من الهامش .

ثم لما كان للنبي ﷺ ولاية مع جميع المؤمنين صار المؤمنون كلهم أولياء بعضهم ببعض فأورثت شبهة التوارث بين كلهم فدفعها الله تعالى بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾ الخ[الأحزاب:٦]. أي مدار التوارث الرحم لا هذه الولاية المعنوية.

ثم أكد الله تعالى ما أمره به من اتباع ما يوحي بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ الخ[الأحزاب:٧]. ببيان وقوع السوال عن التبليغ فوجب الاتباع وعدم الخوف من الطاعنين.

ثم شرع الله تعالى في حكاية غزوة الأحزاب بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ﴾ الخ[الأحزاب:٩].

ثم ذكر بني قريظة الذين أعانوا الأحزاب في قوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ الخ[الأحزاب:٢٦].

ثم ذكر طلب الأزواج الزيادة في الإنفاق والجواب عنه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ الخ[الأحزاب:٢٨].

ثم شرع في قصة زينب بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ الخ[الأحزاب:٣٦].

ثم ذكر الله تعالى حقوقه وحقوق نبيه على المؤمنين ليزدادوا تعظيمًا له وإجلالًا ولا يؤذوه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ إلى قوله: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٦] ثم أمر نبيه ببشارة المؤمنين المعظمين له وإنذار المنكرين المؤذين له بقوله: وبشر المؤمنين الخ.

ثم أراد الله أن يذكر بعض أحكام النكاح لنبيه ﷺ التي لها شأن خاص تشعر بإجلاله ومحبوبيته لله تعالى في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ﴾ الخ[الأحزاب:٥٠].

وذكر قبلها بعض الأحكام النكاحية المتعلقة بالمؤمنين ليظهر التفاوت بين النبي والأمة ليكون الأحكام المتعلقة بالأمة عامة وبالنبي خاصة فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ﴾ الخ[الأحزاب:٤٩].

ثم ذكر مسألة دخول بيوت النبي والحجاب بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ﴾ الخ [الأحزاب:٥٣].

ثم بين متمم مسألة الحجاب بقوله: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ ﴾ الخ[الأحزاب:٥٥].

ثم أمر بالصلاة على النبي ﷺ لإكمال احترامه فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾ الخ [الأحزاب:٥٦].

ثم ذكر الوعيد على إيذاء الرسول ونبه على أن إيذائه كإيذائه تعالى فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ ﴾ الخ [الأحزاب:٥٧].

ثم ذكر بعض أفعال المنافقين من التعرض للجواري الذي يتأذى به النبي ﷺ والمؤمنون وأرشد إلى سد بابه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ ﴾ الخ [الأحزاب:٥٩].

ثم ذكر سؤالهم عن الساعة الذي قصدوا به تكذيب النبي ﷺ وإيذائه فقال: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ الخ[الأحزاب:٦٣].

ثم ختم السورة بالتصريح بالنهي عن إيذائه عليه السلام بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ﴾ الخ[الأحزاب:٦٩].

ثم لما نهى الله تعالى عما يؤذي النبي ﷺ أمرهم بما ينبغي أن يصدر عنهم فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ الخ [الأحزاب:٧٠] .

ثم بين أن ما نكلفكم به إنما تحملتموه من أنفسكم لا إنا حملناكم فقال: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴾ [الأحزاب:٧٢].

ثم ذكر حال الذين أدوا حق الأمانة والذين لم يؤدوه فقال: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ الخ [الأحزاب:٧٣].

والحمد لله تعالى على ما ألقي في روعي من تقرير الارتباط فيما بين آيات هذه السورة.

***

سورة سبا

لما ذكر في خاتمة ما قبلها جزاء الحافظين للأمانة والمضيعين لها ذكر في أول هذه السورة وقت الجزاء وهو الساعة وأعظم الأمانات وهو التوحيد[١].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الخ [سبأ:١].

قال المسكين: صدر السورة بتقرير التوحيد الذي من الأصول العظيمة للدين.

قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الخ [سبأ:٣].

قال المسكين: ذكر أمر الساعة إثر التوحيد كما هو العادة الشائعة في القرآن ولذكر الساعة ههنا مناسبة خاصة لأمر التوحيد لأنه حكم في الآية الأولى بإثبات الحمد له تعالى في الآخرة وقد أنكر الآخرة قوم فتصدى لإثباتها.

قوله تعالى: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الخ [سبأ:٤].

قال أبو السعود: علة لقوله تعالى: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ:٣] وبيان لما يقتضي إثباتها[٢].

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ الخ [سبأ:٥].

لما بين حال المؤمنين يوم القيامة بين حال الكافرين[٣].

قوله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ الخ [سبأ:٦].

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) أبو سعود ٧/ ١٢١.

(٣) التفسير الكبير ٢٥/ ٢٤٢.

قال أبو السعود: مستأنف مسوق للاستشهاد بأولى العلم على الجهلة الساعين في الآيات[1].

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ الخ [سبأ:٧].

قال المسكين: حكاية لقول منكري الساعة.

قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الخ [سبأ:٨].

قال أبو السعود: جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام بالإضراب عن شقيه وإبطالها وإثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم[2].

قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ الخ [سبأ:٩].

قال أبو السعود: استيناف مسوق لتهويل ما اجترأوا عليه من تكذيب آيات الله تعالى واستعظام ما قالوا في حقه عليه الصلاة والسلام وإنه من العظائم الموجبة لنزول أشد العقاب وحلول أفظع العذاب من غير ريث وتأخير[3].

قوله تعالى: ﴿ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ ﴾ الخ [سبأ:٩].

قال أبو السعود: بيان لما ينبئ عنه ذكر إحاطتها بهم من المحذور المتوقع من جهتها[4].

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ ﴾ الخ [سبأ:١٠].

---

(١) أبو سعود ٧/ ١٢٢.

(٢) أبو سعود ٧/ ١٢٣.

(٣) أبو سعود ٧/ ١٢٣.

(٤) أبو سعود ٧/ ١٢٣.

لما ذكر الله تعالى من ينيب من عباده ذكر منهم من أناب وأصاب ومن جملتهم داؤد كما قال تعالى عنه: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩﴾ [ص:٢٤] وبين ما آتاه الله على إنابته ثم لما ذكر المنيب الواحد ذكر نبيًا آخر وهو سليمان كما قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص:٣٤] وذكر ما استفاد بالإنابة فقال: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ الخ [سبأ:١٢][١].

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ الخ [سبأ:١٥].

لما بين الله تعالى حال الشاكرين لنعمه بذكر داؤد وسليمان بين حال الكافرين بأنعمه بحكاية أهل سبا[٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ﴾ الخ [سبأ:٢٠].

قال المسكين: بيان لكونهم متبعين لإبليس في كفرهم وكون المؤمنين بمعزل عن ذلك والحكم في تسليطه عليه.

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ﴾ الخ [سبأ:٢٢].

قال المسكين: عود إلى التوحيد في هيئة المناظرة لا اعتساف فيها كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ الخ [سبأ:٢٤].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً﴾ الخ [سبأ:٢٨].

لما بين مسألة التوحيد شرع في الرسالة[٣].

---

(١) التفسير الكبير ٢٥/ ٢٤٥.

(٢) التفسير الكبير ٢٥/ ٢٥٠.

(٣) التفسير الكبير ٢٥/ ٢٥٨.

قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ الخ [سبأ:٢٩] .

لما ذكر الرسالة بين الحشر[١] .

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ ﴾ الخ [سبأ:٣٤] .

قال أبو السعود: تسلية لرسول الله ﷺ مما منى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الأموال والأولاد والمفاخرة بحظوظ الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك عن المؤمنين والاستهانة بهم من أجله[٢] .

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى ﴾ الخ [سبأ:٣٦] .

قال أبو السعود: رد عليهم وحسم لمادة طمعهم الفارغ وتحقيق للحق الذي عليه يدور أمر التكوين[٣] .

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ ﴾ الخ [سبأ:٣٧] .

قال أبو السعود: كلام مستأنف من جهته لأ وعلا خوطب به الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة في تحقيق وتقرير ما سبق[٤] .

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ ﴾ الخ [سبأ:٣٨] .

قال المسكين: بيان لأن الأموال لا تجدي نفعًا للكفار المحضرين.

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ ﴾ الخ [سبأ:٣٩] .

---

(١) التفسير الكبير ٢٥/ ٢٥٨ .

(٢) أبو سعود ٧/ ١٣٥ .

(٣) أبو سعود ٧/ ١٣٥ .

(٤) أبو سعود ٧/ ١٣٦ .

قال المسكين: بيان لنفع الأموال للمؤمنين خلاف ما عليه الكفار.

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ الخ [سبأ:٤٠].

قال المسكين: تتمة لمسألة الحشر.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ الخ [سبأ:٤٣].

قال المسكين: عود إلى مسألة الرسالة وتقرير دليل الرسالة من الآيات القرآنية وإثبات حقيقتها.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ ﴾ الخ [سبأ:٥١].

قال المسكين: بيان لوضوح خطأهم إذا كشف الغطاء وتحسرهم حيئذ حيث لا ينفع الندم.

***

سورة فاطر

كانت السورة المتقدمة قد ختمت بتقرير الرسالة والوعيد لمن أنكرها وهذه السورة بدأت بالتوحيد وتلاصقهما غنى عن البيان[(١)].

قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ الخ [الفاطر:١].

قال المسكين: بدأ بالتوحيد ببيان الخالقية والقدرة ونفوذ المشية ونفاذ الأمر والرزاقية.

قوله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ ﴾ الخ [الفاطر:٤].

لما بين الأصل الأول وهو التوحيد ذكر الأصل الثاني وهو الرسالة فقال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ ﴾ الخ، ثم بين الأصل الثالث وهو الحشر فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ ﴾ الخ [الفاطر:٥] [(٢)].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ ﴾ الخ [الفاطر:٦].

لما قال تعالى: ولا يغرنكم ذكر ما يمنع العاقل من الاغترار ثم بين الله تعالى حال حزبه وحال حزب الله فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [الفاطر:٧] [(٣)].

قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ﴾ الخ [الفاطر:٨].

قال أبو السعود: تقرير لما سبق من التباين البين بين عاقبتي الفريقين ببيان تبائن

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) التفسير الكبير ٢٦/ ٤.

(٣) التفسير الكبير ٢٦/ ٥.

حاليهما المؤديين إلى تينك العاقبتين[1] .

قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ﴾ الخ [الفاطر:٩] .

قال المسكين: دليل على صحة البعث كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ ﴾ الخ [الفاطر:١٠] .

قال المسكين: بيان لما يتعزز به العبد عند الله تعالى من التوحيد والعمل الصالح وما يتذلل به من المكر السيئ والكفر ولما كان ظهور هذه العزة والذلة يوم الحشر ناسب ذكره بعده.

قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ الخ [الفاطر:١١] .

قال المسكين: عود إلى التوحيد بحيث يتضمن الاستدلال على صحة البعث من كيفية بدء خلق الإنسان وإيلاج الليل في النهار وبالعكس وجريان كل من الشمس والقمر لأجل مسمى وبين في أثنائه مثلًا لعدم استواء المؤمن والكافر في قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ ﴾ [الفاطر:١٢] .

قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾ الخ [الفاطر:١٥] .

قال المسكين: بيان لما يحمل العبد على التوحيد من فقره إليه تعالى وقدرته تعالى عليه بالتبديل إن شاء وانحصار الفقر إلى الله تعالى ببيان أن أحدًا لا يجدي أحدًا يوم القيامة ولو كان ذا قربى ثم لما كان إصرار الكفرة مع هذه الدلائل يؤذي النبي ﷺ أشد الإيذاء بين الله تعالى لتسليته عليه الصلاة والسلام اختلاف أحوال الناس في

---

(١) أبو سعود ٧/ ١٤٤ .

استعدادهم لقبول الحق وأوضحه بقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [الفاطر:١٩]، وأرشده ﷺ بأن لا يهتم بهم فإن عليه الرسالة فقط وما هو باول من كذب من الرسل.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ الخ [الفاطر:٢٧].

قال أبو السعود: استيناف مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف أحوال الناس ببيان أن الاختلاف والتفاوت أمر مطرد في جميع المخلوقات من النبات والجماد والحيوان(١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ﴾ الخ [الفاطر:٢٨].

قال أبو السعود: تكملة لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ الخ [الفاطر:١٨](٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ﴾ الخ [الفاطر:٢٩].

قال المسكين: بيان لثمرات الخشية من الإيمان والأعمال الصالحة مع بيان جزائها من التجارة التي لن تبور ثم لتقرير قوله: ﴿يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الخ [الفاطر:٣١].

ولتفصيل قوله: ﴿تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [الفاطر:٢٩].

قال: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ الخ [الفاطر:٣٣].

ثم قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ الخ [الفاطر:٣٦].

عطف على قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ [الفاطر:٢٩] وما بينهما كلام

---

(١) أبو سعود ٧/ ١٥٠.

(٢) أبو سعود ٧/ ١٥١.

متعلق بالذين يتلون الكتاب[١].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ ﴾ الخ [الفاطر:٣٨].

قال المسكين: عود إلى التوحيد ببيان كمالاته العلمية كما في هـذه الآيـة وكمالاتـه العملية كما في قوله الآتي هو الذي جعلكم.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ﴾ الخ [الفاطر:٤٠].

تقرير للتوحيد وإبطال للإشراك[٢].

قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ﴾ الخ [الفاطر:٤١].

لما بين أنه لا خلق للأصنام ولا قدرة لها على جزء من الأجزاء بين الله قدرته بقوله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ﴾ الخ ويحتمل أن يقال لما بين شركهم قال مقتضى شركهم زوال السموات والأرض كما قال تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ ﴾ الخ [مريم:٩٠] ويدل على هذا قوله في آخر الآية: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الفاطر:٤١][٣].

قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ ﴾ الخ [الفاطر:٤٢].

قال المسكين: بيان لقبح كفرهم إن كفروا بعد أن أقسموا الخ.

ثم أوعدهم بسنة الأولين على الكفر في قوله فهل ينظرون الخ.

ثم بين في قوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ﴾ الخ [الفاطر:٤٥].

أن لا يغتروا بالإمهال بل ينتظروا الأجل المسمى.

---

(١) التفسير الكبير ٢٦/ ٢٨.

(٢) التفسير الكبير ٢٦/ ٣٢.

(٣) التفسير الكبير ٢٦/ ٣٢.

سورة يس

كان الله تعالى في خاتمة فاطر قد أخبر عن قولهم: ﴿لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ [فاطر:٤٢] وقد قرر في أول ﴿يسٓ﴾ كونه عليه الصلاة والسلام نذيرًا[١].

قوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ الخ [يس:١،٢].

قال المسكين: مدار الكلام على إثبات الرسالة بالقسم، والغرض من الرسالة من الإنذار، والإشارة إلى الدليل عليها من القرآن وبيان ما على الرسول من الإنذار فقط لا الجبر على الهداية وإنما أمرها إلى الله تعالى وقد حق القول على أكثرهم أنهم لا يؤمنون، وبيان ما منعهم عن الإيمان، وبيان أن المنتفعون بالإنذار من هم وهذا كله مذكور إلى قوله: أجر كريم كما يظهر بالتأمل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الخ [يس:١٢].

قال أبو السعود: بيان لشأن عظيم ينطوي على الإنذار والتبشير انطواءً إجماليًا[٢].

قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ الخ [يس:١٣].

لما قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس:٣] وقال: ﴿لِتُنذِرَ﴾ [يس:٦] قال: قل لهم ما كنت بدعًا من الرسل بل قبلي بقليل جاء أصحاب القرية مرسلون[٣].

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب .

(٢) أبو سعود ٧/ ١٦١ .

(٣) التفسير الكبير ٢٦/ ٥٠ .

قوله تعالى: ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ﴾ الخ [يس:٣٠].

قال المسكين: تلهف على التكذيب إثر اقتصاص حال المكذبين.

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا ﴾ الخ [يس:٣١].

لما بين الله تعالى حال الأولين قال للحاضرين: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ ﴾ الخ[١].

قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ ﴾ الخ [يس:٣٢].

قال أبو السعود: بيان لرجوع الكل إلى المحشر بعد بيان عدم الرجوع إلى الدنيا[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ﴾ الخ [يس:٣٣].

مناسب لما قبله من وجهين أحدهما أنه لما قال: ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ [يس:٣٢] كان ذلك إشارة إلى الحشر فذكر ما يدل على إمكانه وثانيهما أنه لما ذكر حال المرسلين وكان شغلهم التوحيد ذكر ما يدل عليه[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ ﴾ الخ [يس:٤٥].

قال أبو السعود: بيان لإعراضهم عن الآيات التنزيلية بعد بيان إعراضهم عن الآيات الآفاقية التي كانوا يشاهدونها[٤].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ ﴾ الخ [يس:٤٧].

---

(١) التفسير الكبير ٢٦/ ٦٤.

(٢) أبو سعود ٧/ ١٦٦.

(٣) التفسير الكبير ٢٦/ ٦٥.

(٤) أبو سعود ٧/ ١٦٩.

قال المسكين: بيان لشناعتهم الأخرى أشد من الأولى فإن الإنكار لقدرة الله - الذي هو الغرض من كلامهم لا الامتناع من الإنفاق - أشد من الإعراض عن آيات الله فكأنه دليل لمضمون الآية السابقة أي إذا أتوا بالإنكار فأي استبعاد في الإعراض.

قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ الخ [يس:٤٨].

قال المسكين: عود إلى مسألة الحشر فهو مرتبط بقوله: وإن كل لما جميع لدينا محضرون وامتد هذا إلى قوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ الآية [يس:٦٥].

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا ﴾ الخ [يس:٦٦].

قال المسكين: هذا تقريب لوقوع الختم يوم القيامة أي لو نشاء لأوقعنا الطمس والمسخ في الدنيا جزاء على كفرهم لكنا لم نشأ ونشاء الختم يوم القيامة فيقع ثم استدل على تقريب الطمس والمسخ بقوله: ومن نعمره ننكسه فإن هذا التغيير قريب من تغيير المسخ والطمس فالقادر على واحد قادر على آخر.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ ﴾ الخ [يس:٦٩].

لما ذكر الأصلين الوحدانية والحشر ذكر الأصل الثالث وهو الرسالة ثم إنه تعالى أعاد الوحدانية ودلائل دالة عليها فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا ﴾ الخ [يس:٧١].

وقوله تعالى: ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ الخ [يس:٧٦].

إشارة إلى الرسالة لأن الخطاب معه بما يوجب تسلية قلبه ودليل اجتبائه واختياره إياه(١).

---

(١) التفسير الكبير ٢٦/ ١٠٤-١٠٧.

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ ﴾ الخ [يس:٧٧] .

قال أبو السعود: كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان إنكارهم البعث بعد ما شاهدوا في أنفسهم أوضح دلائله وأعدل شواهده كما أن ما سبق لبيان بطلان إشراكهم بالله تعالى بعد ما عاينوا فيها بأيديهم ما يوجب التوحيد والإسلام[١] .

***

---

(١) أبو سعود ٧/ ١٨٠ .

سورة الصافات

قد ذكر في خاتمة السورة المارة أمر البعث متضمنًا لتقرير الوحدانية والرسالة وذكر في فاتحة هذه دليل الوحدانية ثم عقبها بالبعث فالمناسبة ظاهرة[١].

قال المسكين: افتتح الله تعالى هذه السورة بإثبات التوحيد بعد القسم كما يدل عليه قوله تعالى: إن إلهكم لواحد ثم استدل عليه بربوبيته تعالى للسموات والأرض وغيرهما ثم بتزيين السماء بالكواكب بحيث يتضمن إثبات الرسالة ببيان امتناع الشياطين من الاستراق ثم شرع في إثبات المعاد بقوله: فاستفتهم أهم أشد خلقًا الخ وامتد هذا إلى قوله: ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ﴾ الخ [الصافات:٦٩].

قال أبو السعود: تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد الآباء في الدين من غير أن يكون لهم ولآبائهم شيئ يتمسك به أصلًا[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ ﴾ الخ [الصافات:٧١].

ذكر لرسوله ما يوجب التسلية له في كفرهم وتكذيبهم فبين تعالى أن إرساله المرسل قد تقدم والتكذيب لهم قد سلف[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ ﴾ الخ [الصافات:٧٥].

اعلم أنه تعالى لما قال من قبل: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الصافات:٧١]

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) أبو سعود ٧/ ١٩٤.

(٣) التفسير الكبير ٢٦/ ١٤٣.

وقـال: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [الـصافات:٧١] اتبعـه بـشرح وقـائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فالقصة الأولى حكاية نـوح عليه الـصلاة والتسليم قوله: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا ﴾ [1].

القصة الثانية قصة إبراهيم عليه السلام قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ الخ [الصافات:٧٣] [2].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ ﴾ الخ [الصافات:١١٤].

اعلم أن هذا هو القصة الثالثة من القصص المذكورة في هذه السورة [3].

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ ﴾ الخ [الصافات:١٢٣].

اعلم أنه هذه القصة الرابعة من القصص المذكورة في هذه السورة [4].

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ الخ [الصافات:١٣٣].

هذا هو القصة الخامسة [5].

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ الخ [الصافات:١٣٩].

اعلم أن هذا هو القصة السادسة وهو آخر القصص المذكورة في هذه السورة [6].

قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ ﴾ الخ [الصافات:١٤٩].

---

(١) التفسير الكبير ٢٦/ ١٤٤، والصافات:٨٣.

(٢) التفسير الكبير٢٦/ ١٤٥.

(٣) التفسير الكبير ٢٦/ ١٥٩.

(٤) التفسير الكبير ٢٦/ ١٦١.

(٥) التفسير الكبير ٢٦/ ١٦٣.

(٦) التفسير الكبير ٢٦/ ١٦٣.

قال أبو السعود: أمر الله لأ في صدر السورة الكريمة رسوله ﷺ بتبكيت قريش وإبطال مذهبهم في إنكار البعث بطريق الاستفتاء وساق البراهين القاطعة الناطقة بتحققه لا محالة وبين وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب واستثنى منهم عباده المخلصين وفصل مالهم من النعيم المقيم ثم ذكر أنه قد ضل من قبلهم أكثر الأولين وأنه تعالى أرسل إليهم منذرين على وجه الإجمال ثم أورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل منبهًا في كل قصة منها أنهم من عباده تعالى واصفًا لهم تارة بالإخلاص والأخرى بالإيمان ثم أمره عليه الصلاة والسلام ههنا بتبكيتهم بطريق الاستفتاء عن وجه أمر منكر خارج عن العقول بالكلية وهي القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد الزائغ حيث كانوا يقولون كبعض أجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح: الملائكة بنات الله والفاء لترتيب الأمر على ما سبق من قوله أولئك الرسل – الذين هم أعلام الحق عليهم الصلاة والسلام – عباده تعالى فإن ذلك مما يؤكد التبكيت ويظهر بطلان مذاهبهم الفاسدة ثم تبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملائكة بجعلهم إناثًا ثم أبطل أصل كفرهم المنطوي على هذين الكفرين وهو نسبة الولد إليه سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا ولم ينظمه في سلك التبكيت لمشاركتهم النصارى في ذلك[1].

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ ﴾ الخ [الصافات:١٥٨].

قال أبو السعود: التفات إلى الغيبة للإيذان بانقطاعهم عن الجواب وسقوطهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم أن يعرض عنهم وتحكي جناياتهم لآخرين والمراد بالجنة الملائكة وإنما أعيد ذكره تمهيدًا لما يعقبه من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ الخ.

(١) أبو سعود ٧/ ٢٠٦.

والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان أن الذين يدعي هؤلاء لهم تلك النسبة ويعلمون أنهم أعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم في ذلك ويحكمون بأنهم معذبون لأجله حكمًا مؤكدًا(١).

قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ الخ [الصافات:١٥٩].

حكاية لتنزيه الملائكة إياه تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم في ذلك(٢).

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ الخ [الصافات:١٦٠].

شهادة منهم ببراءة المخلصين من أن يصفوه تعالى بذلك وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الصافات:١٦١] تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين مما ذكر ببيان عجزهم عن إغوائهم وإضلالهم(٣).

قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ ﴾ الخ [الصافات:١٦٤].

تبيين لجلية أمرهم وتعيين لحيزهم في موقف العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا وتنزيه الله تعالى عن ذلك وبراءة المخلصين عنه وإظهار لقصور شأنهم وقمائتهم هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل. انتهى مقال أبي السعود(٤).

قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴾ الخ [الصافات:١٦٧].

قال المسكين: تعيير للكفار في كفرياتهم المذكورة وغير المذكورة بأنهم في

---

(١) أبو سعود ٧/ ٢٠٨.

(٢) أبو سعود ٧/ ٢٠٩.

(٣) أبو سعود ٧/ ٢٠٩.

(٤) أبو سعود ٧/ ٢٠٩-٢١٠.

هذياناتهم كلها ناقضون للعهد ناكثون للوعد، فيالها من عار وشنار مع أهليتهم للنار.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا ﴾ الخ [الصافات:١٧١] .

قال أبو السعود: استيناف مقرر للوعيد[١] .

قوله تعالى: ﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ الخ [الصافات:١٧٨] .

قال أبو السعود: تسلية لرسول الله ﷺ إثر تسلية وتاكيد لوقوع الميعاد غب تاكيد[٢] .

قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ ﴾ الخ [الصافات:١٨٠] .

قال أبو السعود: تنزيه الله سبحانه عن كل ما يصفه المشركون به مما لا يليق بجناب كبريائه وجبروته مما ذكر في السورة الكريمة وما لم يذكر[٣] .

وقوله تعالى: ﴿ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ الخ [الصافات:١٨١] .

تشريف لهم عليهم السلام بعد تنزيهه تعالى عما ذكر وتنويه بشأنهم وإيذان بأنهم سالمون عن كل المكاره فائزون بجميع المآرب[٤] .

وقوله تعالى: ﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات:١٨٢] .

إشارة إلى وصفه لأ بصفاته الكريمة الثبوتية بعد التنبيه على اتصافه بجميع صفاته السلبية[٥] .

---

(١) أبو سعود ٧/ ٢١٠ .

(٢) أبو سعود ٧/ ٢١١ .

(٣) أبو سعود ٧/ ٢١٢ .

(٤) أبو سعود ٧/ ٢١٢ .

(٥) أبو سعود ٧/ ٢١٢ .

سورة ص

كان المذكور في خاتمة ما سبق أمر التوحيد في قوله: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ﴾ الخ [الصافات:١٨٠] والرسالة في قوله: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الخ [الصافات:١٨١] وهذا هو المذكور في خاتمة هذه السورة فتأمل تستنبط(١).

قوله تعالى: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ الخ [ص:١].

قال المسكين: افتتح السورة بتنويه شان القرآن وجواب القسم محذوف أي إنه لحق أو نحوه.

قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الخ [ص:٢].

قال أبو السعود: إضراب كأنه قيل لا ريب فيه قطعًا وليس عدم إذعان الكفرة له لشائبة ريب ما فيه بل هم في استكبار وحمية شديدة وشقاق بعيد لله تعالى ولرسوله ولذلك لا يذعنون له(٢).

قوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ الخ [ص:٣].

قال أبو السعود: وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما أصاب من قبلهم من المستكبرين(٣).

قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم﴾ الخ [ص:٤].

قال أبو السعود: حكاية لأباطيلهم المتفرعة على ما حكى من استكبارهم

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) أبو سعود ٧/ ٢١٣.

(٣) أبو سعود ٧/ ٢١٤.

وشقاقهم[١].

قال المسكين: وملخص أباطيلهم هذه إنكار النبوة ثم ذكر الجواب عنها بقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾ – إلى قوله: ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ [ص:٨-١٠].

قوله تعالى: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ﴾ الخ [ص:١١].

قال المسكين: هو تسلية لرسول الله ﷺ بأنهم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما يهددون.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ الخ [ص:١٢].

قال أبو السعود: استيناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان أحوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند ما من جنودهم مما فعلوا من التكذيب وما فعل بهم من العقاب[٢].

قوله تعالى: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ﴾ الخ [ص:١٤].

قال أبو السعود: استيناف جيئ به تقريرًا لتكذيبهم وبيانًا لكيفيته وتمهيدًا لما يعقبه[٣].

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ﴾ الخ [ص:١٥].

قال أبو السعود: شروع في عقاب كفار مكة إثر بيان عقاب أضرابهم من الأحزاب[٤].

---

(١) أبو سعود ٧/ ٢١٤.

(٢) أبو سعود ٧/ ٢١٧.

(٣) أبو سعود ٧/ ٢١٧.

(٤) أبو سعود ٧/ ٢١٨.

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا ﴾ الخ [ص:١٦] .

قال أبو السعود: حكاية لما قالوه عند سماعهم بتأخير عقابهم إلى الآخرة(١) .

قوله تعالى: ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ الخ [ص:١٧] .

قال المسكين: هذا تسلية لرسوله ﷺ بتعليمه الصبر وتذكيره قصص الرسل الذين كانوا صابرين أوّابين أولى الأيدي والأبصار متحملين للشدائد في دين الله وانجر هذا إلى قوله: كل من الأخيار وأورد في مطاوي القصص لتقرير البعث والحساب والجزاء الذي ذكر في قوله: ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ الخ [ص:١٥] كلاما مستانفا هو.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ ﴾ الخ [ص:٢٧] .

أي خلقنا هما بالحكمة البالغة المقتضية لأن لا يهمل أمر الخلق سدى ثم أشار إلى مآل المؤمنين والفجار في

قوله تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ الخ [ص:٢٨] .

ثم لما كان الهادي إلى هذه الأسرار والحكم هو القرآن أثنى عليه

بقوله: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ ﴾ [ص:٢٩] .

ثم بعد تمام القصص عاد إلى ذكر الحساب والجزاء بقوله: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ - إلى قوله : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴾ [ص:٤٩-٦٤].

ثم عاد إلى ما ذكر في أول السورة من أمر التوحيد والرسالة فقال: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠

---

(١) أبو سعود ٧/ ٢١٨ .

مُنذِرٌ﴾ [ص:٦٦] فيه تصريح بالرسالة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ الخ [ص:٦٥] . فيه تصريح بالتوحيد.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾ الخ [ص:٦٧] .

قال المسكين: عود إلى تنويه شأن القرآن الذي أشير إليه في صدر السورة وهو المراد بضمير هو كما يدل عليه آخر السورة من قوله: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ الخ [ص:٦٨] .

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾ الخ [ص:٦٩] .

قال أبو السعود: استيناف مسوق لتحقيق أنه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبأ من أنبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من أسبابها المعتادة فإن ذلك حجة بينة دالة على أن ذلك بطريق الوحي من عند الله تعالى وأن سائر أنبائه كذلك(١) .

قوله تعالى: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ الخ [ص:٧٠] .

قال أبو السعود: اعتراض وسط بين إجمال اختصامهم وتفصيله تقريرًا لثبوت علمه عليه الصلاة والسلام وتعيينًا لسببه(٢) .

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الخ [ص:٧١] .

قال أبو السعود: شروع في تفصيل ما أجمل من الاختصام الذي هو ما جرى

---

(١) أبو سعود ٧/ ٢٣٤ .

(٢) أبو سعود ٧/ ٢٣٥ .

بينهم من التقاول[١].

قال المسكين: وأيضًا المقصود من ذكر هذه القصة ههنا – كما في الكبير – المنع من الحسد والكبر وذلك لأن إبليس إنما وقع فيما وقع فيه بسبب الحسد والكبر، والكفار إنما نازعوا محمدًا عليه الصلاة والسلام بسبب الحسد والكبر (كما قال تعالى: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴾ [ص:٢])[٢].

قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ ﴾ الخ [ص:٨٦].

قال المسكين: عود إلى كون القرآن من عند الله تعالى وكون ما فيه حقًا واقعًا ولو بعد حين كما ذكرنا في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴾ [ص:٦٧] فتذكر.

***

(١) أبو سعود ٧/ ٢٣٥ .

(٢) التفسير الكبير ٢٦/ ٢٢٧ وما بين القوسين من الهامش .

سورة الزمر

المذكور في فاتحتها وخاتمة ما قبلها كون القرآن حقًا منزلًا من الله تعالى[١].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الخ [الزمر:٢].

قال أبو السعود: شروع في بيان شأن المنزل إليه وما يجب عليه (من العبادة الخالصة المأمور بها في قوله: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ﴾ [الزمر:٢]) إثر بيان شأن المنزل وكونه من عند الله تعالى (أما ترتيب الأمر بالعبادة على إنزال الكتب لأن الكتاب يأمر به)[٢].

قوله تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ الخ [الزمر:٣].

قال أبو السعود: استيناف مقرر لما قبله من الأمر بإخلاص الدين له تعالى ووجوب الامتثال به[٣].

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ الخ [الزمر:٣].

قال أبو السعود: تحقيق لحقية ما ذكر من إخلاص الدين الذي هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذي هو عبارة عن ترك إخلاصه[٤].

قوله تعالى: ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ ﴾ الخ [الزمر:٤].

قال المسكين: إبطال لنوع آخر من الشرك من اتخاذ الولد له تعالى عن ذلك علوا

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) أبو سعود ٧/ ٢٤٠ وما بين القوسين من الهامش.

(٣) أبو سعود ٧/ ٢٤١.

(٤) أبو سعود ٧/ ٢٤١.

كبيرا.

قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ الخ [الزمر:٦].

اعلم أن الآية المتقدمة دلت على أنه تعالى بين كونه منزها عن الولد بكونه إلهًا واحدًا وقهارًا غالبًا أي كامل القدرة فلما بنى تلك المسألة على هذه الأصول ذكر عقيبها ما يدل على كمال القدرة وعلى كمال الاستغناء وأيضًا فإنه تعالى طعن في إلهية الأصنام فذكر عقيبها الصفات التي باعتبارها تحصيل الإلهية(١).

قوله تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُوا ﴾ الخ [الزمر:٧].

قال المسكين: قطع للحجة وفصل للقول بعد ذكر فنون نعمائه وتعريف شؤونه العظيمة الموجبة للإيمان والشكر.

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ الخ [الزمر:٧].

اعلم أن الله تعالى لما بين فساد القول بالشرك وبين أن الله تعالى هو الذي يجب أن يعبد بين في هذه الآية أن طريقة هؤلاء الكفار الذين يعبدون الأصنام متناقضة(٢).

قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَمَتَّعْ ﴾ الخ [الزمر:٨].

قال أبو السعود: تهديد لذلك الضال والمضل وبيان لحاله ومآله(٣).

قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ﴾ الخ [الزمر:٩].

قال أبو السعود: من تمام الكلام المأمور به كأنه قيل له تاكيدًا للتهديد وتهكما به

---

(١) التفسير الكبير ٢٦/ ٢٤٣.

(٢) التفسير الكبير ٢٦/ ٢٤٨.

(٣) أبو سعود ٧/ ٢٤٥.

أأنت أحسن حالا ومالا أم من هو قائم بمواجب الطاعات ودائم على أداء وظائف العبادات حالتي السراء والضراء لا عند مساس الضر فقط كدأبك[(١)].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ﴾ الخ [الزمر:٩].

قال أبو السعود: بيان للحق وتنبيه على شرف العلم والعمل[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِ ﴾ الخ [الزمر:١٠].

قال أبو السعود: أمر رسول الله ﷺ بتذكير المؤمنين وحملهم على التقوى والطاعة إثر تخصيص التذكير بأولى الألباب إيذانًا بأنهم هم كما سيصرح به[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ ﴾ الخ [الزمر:١١].

قال أبو السعود: أمر رسول الله ﷺ ببيان ما أمر به نفسه من الإخلاص في عبادة الله الذي هو عبارة عما أمر به المؤمنون من التقوى مبالغة في حثهم على الإتيان بما كلفوه وتمهيدًا لما يعقبه مما خوطب به المشركون[(٤)].

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ﴾ الخ [الزمر:١٨].

اعلم أن الله تعالى لما ذكر وعيد عبدة الأصنام والأوثان ذكر وعد من اجتنب عبادتها واحترز عن الشرك ليكون الوعد مقرونًا بالوعيد أبدًا فيحصل كمال الترغيب والترهيب[(٥)].

---

(١) أبو سعود ٧/ ٢٤٥.

(٢) أبو سعود ٧/ ٢٤٥.

(٣) أبو سعود ٧/ ٢٤٦.

(٤) أبو سعود٧/ ٢٤٦.

(٥) التفسير الكبير ٢٦/ ٢٥٧.

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ ﴾ الخ [الزمر:٢١] .

اعلم أنه تعالى لما وصف الآخرة بصفات توجب الرغبة العظيمة لأولى الألباب فيها، وصف الدنيا بصفة توجب اشتداد النفرة عنها[١] .

قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ ﴾ الخ [الزمر:٢٢] .

اعلم أنه تعالى لما بالغ في تقرير البيانات الدالة على وجوب الإقبال على طاعة الله ووجوب الإعراض عن الدنيا بين بعد ذلك أن الانتفاع بهذه البيانات لا يكمل إلا إذا شرح الله الصدر ونور القلب[٢] .

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ الخ [الزمر:٢٣] .

لما بين تعالى ذلك أردفه بما يدل على أن القرآن سبب لحصول النور والشفاء والهداية وزيادة الاطمئنان[٣] .

قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ ﴾ الخ [الزمر:٢٤] .

قال أبو السعود: استيناف جار مجرى التعليل لما قبله من تباين حالي المهتدي والضال[٤] .

قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ الخ [الزمر:٢٥] .

لما بين الله تعالى كيفية عذاب القاسية قلوبهم في الآخرة بين أيضًا كيفية وقوعهم

---

(١) التفسير الكبير ٢٦/ ٢٦٤ .

(٢) التفسير الكبير ٢٦/ ٢٦٥ .

(٣) التفسير الكبير ٢٦/ ٢٦٧ .

(٤) أبو سعود ٧/ ٢٥٢ .

في العذاب في الدنيا[١].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ ﴾ الخ [الزمر:٢٧].

لما ذكر الله تعالى هذه الفوائد المتكاثرة والنفائس المتوافرة في هذه المطالب بين تعالى أنه بلغت هذه البيانات إلى حد الكمال والتمام[٢].

قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ﴾ الخ [الزمر:٢٩].

اعلم أنه تعالى لما بالغ في شرح وعيد الكفار أردفه بذكر مثل ما يدل على فساد مذهبهم وقبح طريقتهم[٣].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ ﴾ الخ [الزمر:٣٠].

قال أبو السعود: تمهيد لما يعقبه من الاختصام يوم القيامة[٤].

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ﴾ الخ [الزمر:٣١].

قال المسكين: هذا هو المقصود وهو مرتبط بقوله: ضرب الله مثلًا الذي كان تقريرًا للتوحيد وهذا اختصام فيه.

قوله تعالى: ﴿ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ الخ [الزمر:٣٢].

قال أبو السعود: مسوق لبيان كل من طرفي الاختصام الجاري في شأن الكفر والإيمان[٥].

---

(١) التفسير الكبير ٢٦/ ٢٧٥.

(٢) التفسير الكبير ٢٦/ ٢٧٥.

(٣) التفسير الكبير ٢٦/ ٢٧٦.

(٤) أبو سعود ٧/ ٢٥٣.

(٥) أبو سعود ٧/ ٢٥٤.

قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ ﴾ الخ [الزمر:٣٦] .

قال المسكين: كان ما سبق بيانًا لحال المحقين والمبطلين وهذا جواب عما كان المبطلون يخوفون المحقين به حيث قالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون.

قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم ﴾ الخ [الزمر:٣٨] .

اعلم أنه تعالى لما أطنب في وعيد المشركين وفي وعد الموحدين عاد إلى إقامة الدليل على تزييف طريقة عبدة الأصنام(١) .

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ ﴾ الخ [الزمر:٣٩] .

لما أورد الله تعالى عليهم هذه الحجة التي لا دافع لها قال بعده على وجه التهديد: قل الخ(٢) .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ﴾ الخ [الزمر:٤١] .

قال المسكين: هذا تسلية لقلب النبي ﷺ عن حزنه بإصرار المشركين على قبائحهم ثم عاد إلى إقامة الدليل على التوحيد.

فقال: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ ﴾ الخ [الزمر:٤٢] .

ثم أبطل عقيدتهم الشركية، فقال: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الخ [الزمر:٤٣] .

ثم لزيادة قوة قلبه ﵇ أمره بالدعاء بقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ الخ [الزمر:٤٩] .

---

(١) التفسير الكبير ٢٦/ ٢٨٢ .

(٢) التفسير الكبير ٢٦/ ٢٨٣ .

إذا تحير في أمر الدعوة وضجر من شدة شكيمتهم في المكابرة والعناد.

ثم بين آثار الحكم الذي استدعاه النبي ﷺ وغاية شدته وفظاعته بقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ الخ [الزمر:٤٧].

ثم بين تناقضهم القبيح في إنكارهم للتوحيد بأنهم لا يدومون على حال بل ينسبون الكل في حال العجز والحاجة إلى الله تعالى ويقطعون عن الله في حال السلامة والصحة.

فقال تعالى: ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ ﴾ الخ [الزمر:٤٩].

والتناقض دليل القطع عن الحجة فعلم أن حجتهم على دعواهم الشرك داحضة فثبت التوحيد[١].

قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ﴾ الخ [الزمر:٥٣].

اعلم أنه تعالى لما أطنب في الوعيد أردفه بشرح كمال رحمته وفضله وإحسانه في حق العبيد[٢].

قال المسكين: وهو أيضًا إزاحة لما عسى أن يختلج في صدر من أمر بالتوحيد أن الشرك الذي مضى منا كيف يغفر فذكر الله تعالى رحمته العامة ومغفرته التامة ثم ذكر شرطها من التوبة والإنابة وأشار في تضاعيفه إلى أهوال يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ الخ [الزمر:٦٢].

اعلم أنه تعالى لما أطال الكلام في شرح الوعد والوعيد عاد إلى دلائل الإلهية

---

(١) التفسير الكبير ٢٦/ ٢٨٧، ٢٨٨.

(٢) التفسير الكبير ٢٧/ ٢.

والتوحيد[1].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ الخ [الزمر:٦٨].

قال المسكين: تتميم للتوحيد ببيان عظمة الله تعالى وتفصيل لأحوال القيامة الذي كان نبذ منها قد ذكر في آيات الإنابة ثم كيفية أحوال أهل العقاب ثم كيفية أحوال أهل الثواب وختم السورة.

***

(١) التفسير الكبير ٢٧/ ١٠.

سورة المؤمن

لما ختم السورة المتقدمة بذكر أحوال المؤمنين والكافرين في الآخرة بين في أول هذه أحوال الفريقين في الدنيا من كون الكفار على شرف الهلاك وكون المؤمنين محبوبين عند الملائكة حيث يدعون لهم(١).

قوله تعالى: ﴿ مَا يُجَادِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ الخ [المؤمن:٤].

اعلم أنه تعالى لما قرر أن القرآن كتاب أنزله ليهتدي به في الدنيا ذكر أحوال من يجادل لغرض إبطاله وإخفاء أمره(٢).

قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ ﴾ الخ [المؤمن:٥].

قال المسكين: كشف عن معنى قوله فلا يغررك الخ.

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ ﴾ الخ [المؤمن:٧].

اعلم أنه تعالى لما بين أن الكفار يبالغون في إظهار العداوة مع المؤمنين بين أن أشرف طبقات المخلوقات هم الملائكة الذين هم حملة العرش والحافون حول العرش بالغون في إظهار المحبة والنصرة للمؤمنين كأنه تعالى يقول: إن كل هؤلاء الأرزال يبالغون في العداوة فلا تبال بهم ولا تلتفت إليهم ولا تقم لهم وزنًا فإن حملة العرش معك والحافون من حول العرش معك وينصرونك(٣).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ ﴾ الخ [المؤمن:١٠].

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٩.

(٣) التفسير الكبير ٢٧/ ٣١.

اعلم أنه تعالى لما عاد إلى شرح أحوال الكافرين المجادلين في آيات الله وهم الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بين أنهم في القيامة يعترفون بذنوبهم واستحقاقهم العذاب الذي ينزل بهم ويسئلون الرجوع إلى الدنيا ليتلافوا ما فرط منهم[1].

قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ﴾ الخ [المؤمن:١٢] .

قال أبو السعود: جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من أعمالهم السيئة[2].

قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ الخ [المؤمن:١٣] .

قال المسكين: لما علل في الآية السابقة عذابهم بإشراكهم أشار إلى دلائل التوحيد وبين في تضاعيفه أحوال القيامة تتميمًا لما مر من بعض أحوالها وامتد هذا إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [المؤمن:٢٠].

قوله تعالى: ﴿ ۞أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الخ [المؤمن:٢١] .

لما بالغ في تخويف الكفار بعذاب الآخرة أردفه ببيان تخويفهم بأحوال الدنيا[3].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ﴾ الخ [المؤمن:٢٣] .

اعلم أنه تعالى لما سلى رسوله بذكر الكفار الذين كذبوا الأنبياء قبله وبمشاهدة آثارهم سلاه أيضًا بذكر قصة موسى عليه الصلاة والسلام وأنه مع قوة معجزاته

---

(١) التفسير الكبير ٢٧/ ٣٨ .

(٢) أبو سعود ٧/ ٢٦٩ .

(٣) التفسير الكبير ٢٧/ ٥٢ .

بعثه إلى فرعون وهامان وقارون فكذبوه وكابروه وقالوا: ﴿سَٰحِرٞ كَذَّابٞ﴾ [المؤمن:٢٤] (١).

قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ ﴾ الخ [المؤمن:٤٧].

اعلم أن الكلام في تلك القصة لما انجر إلى شرح أحوال النار لا جرم ذكر الله عقيبها قصة المناظرات التي تجري بين الرؤساء والاتباع من أهل النار(٢).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا ﴾ الخ [المؤمن:٥١].

إن الكلام في أول السورة إنما وقع من قوله: ما يجادل في آيات الله الخ. وامتد الكلام في الرد على أولئك المجادلين وعلى أن المحقين كانوا مشغولين بدفع كيد المبطلين وكل ذلك إنما ذكره الله تعالى تسلية للرسول ﷺ وتصبيرًا له على تحمل أذى قومه ولما بلغ الكلام في تقرير المطلوب إلى الغاية القصوى وعد تعالى رسوله بأن ينصر على أعدائه في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولما بين الله تعالى أنه ينصر الأنبياء والمؤمنين في الدنيا والآخرة ذكر نوعًا من أنواع تلك النصرة في الدنيا(٣).

فقال: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ ﴾ الخ [المؤمن:٥٣].

ولما بين أن الله تعالى ينصر رسله وينصر المؤمنين في الدنيا والآخرة وضرب الأمثال في ذلك بحال موسى خاطب بعد ذلك محمدًا ﷺ(٤).

فقال: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ ﴾ الخ [المؤمن:٥٥].

---

(١) التفسير الكبير ٢٧/ ٥٤.

(٢) التفسير الكبير ٢٧/ ٧٤.

(٣) التفسير الكبير ٢٧/ ٧٥، ٧٦.

(٤) التفسير الكبير ٢٧/ ٧٧.

فالله ناصرك ثم أمره بأن يقبل على طاعة الله(١).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ ﴾ الخ [المؤمن:٥٦].

اعلم أنا بينا أن الكلام في أول هذه السورة إنما ابتدئ ردًا على الذين يجادلون في آيات الله تعالى واتصل البعض بالبعض وامتد على الترتيب الذي لخصناه والنسق الذي كشفنا عنه إلى هذا الموضع ثم أنه تعالى نبه في هذه الآية على الداعية التي تحمل أولئك على تلك المجادلة(٢).

قوله تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ الخ [المؤمن:٥٧].

قال أبو السعود: تحقيق للحق وتبيين لأشهر ما يجادلون منه من أمر البعث على منهاج(٣).

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾ الخ [يس:٨١].

قال المسكين: لما أقام الدليل على صحة البعث فقبل بعض وأنكر بعض بين الفرق بينهما بمثال.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ﴾ الخ [المؤمن:٥٩].

لما قرر الدليل على إمكان وجود يوم القيامة أردفه بأن أخبر عن وقوعها ودخولها في الوجود(٤).

---

(١) التفسير الكبير ٢٧/ ٧٧.

(٢) التفسير الكبير ٢٧/ ٧٨ و٧٩.

(٣) أبو سعود ٧/ ٢٨١.

(٤) التفسير الكبير ٢٧/ ٨٠.

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ ﴾ الخ [المؤمن:٦٠] .

اعلم أنه تعالى لما بين أن القول بالقيامة حق وصدق وكان من المعلوم بالضرورة أن الإنسان لا ينتفع يوم القيامة إلا بطاعة الله وكان أشرف أنواع الطاعات الدعاء والتضرع لا جرم أمر الله تعالى به في هذه الآية(١) .

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ ﴾ الخ [المؤمن:٦١] .

قال المسكين: لما أمر الله تعالى في الآية السابقة بالعبادة وأصل العبادة التوحيد فأقام الدلائل على التوحيد إلى قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [المؤمن:٦٨].

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ ﴾ الخ [المؤمن:٦٩] .

اعلم أنه تعالى عاد إلى ذم الذين يجادلون في آيات الله(٢) .

قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ الخ [المؤمن:٧٧] .

اعلم أنه تعالى لما تكلم من أول السورة إلى هذا الموضع في تزييف طريقة المجادلين أمر في هذه الآية رسوله بأن يصبر على إيذائهم بتلك المجادلات(٣) .

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ ﴾ الخ [المؤمن:٧٩] إلى آخر السورة .

اعلم أنه تعالى راعى ترتيبًا لطيفًا في آخر هذه السورة وذلك أنه ذكر فصلًا في دلائل الإلهية (مناسبة لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ ﴾ الخ [المؤمن:٦٧]) ثم أردفه بفصل في التهديد والوعيد (مناسبة لقوله: ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ ﴾ [المؤمن:٧٧])(٤) .

---

(١) التفسير الكبير ٢٧/ ٨٠ .

(٢) التفسير الكبير ٢٧/ ٨٧ .

(٣) التفسير الكبير ٢٧/ ٨٨ .

(٤) التفسير الكبير ٢٧/ ٩٠ وما بين القوسين من الهامش .

سورة حم السجدة

ختم السورة المتقدمة على التوحيد والتهديد وكذا افتتح هذه بالتوحيد كما قال: ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ ﴾ الخ [حم السجدة:٩] وبالتهديد كما قال: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا ﴾ الخ [حم السجدة:١٣](١).

قال المسكين: الأقرب أن المقصود ههنا إثبات التوحيد الذي صرح به في قوله: ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ ﴾ الخ [حم السجدة:٩] والذي قبله من كون القرآن منزلا من الرحمن الرحيم كالتمهيد له لاشتمال القرآن على التوحيد وذكر معه إعراض الكفار والجواب عنه والأمر بالاستقامة والاستغفار والوعيد على الشرك والوعد للمؤمنين استطرادًا وذكر أيضًا في تضاعيفه ما هو المقصود من قوله: إنما إلهكم إله واحد.

قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ ﴾ الخ [حم السجدة:٩].

اعلم أنه تعالى لما أمر محمدًا ﷺ في الآية الأولى أن يقول: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [حم السجدة:٦] أردفه بما يدل على أنه لا يجوز إثبات الشركة بينه تعالى وبين هذه الأصنام في الإلهية والمعبودية(٢).

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا ﴾ الخ [حم السجدة:١٣].

اعلم أن الكلام إنما ابتدئ من قوله: ﴿أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [حم السجدة:٦]

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) التفسير الكبير ٢٧/ ١٠١.

واحتج عليه بقوله: ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ ﴾ [حم السجدة:٩] وحاصله أن الإله الموصوف بهذه القدرة القاهرة كيف يجوز الكفر به وكيف يجوز جعل هذه الأجسام الخسيسة شركاء له في الإلهية ولما تمم تلك الحجة(١).

قال: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ الخ [حم السجدة:١٣].

وبيان ذلك أن وظيفة الحجة قد تمت على أكمل الوجوه فإن بقوا مصرين على الجهل لم يبق علاج في حقهم إلا إنزال العذاب عليهم(٢).

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ ﴾ الخ [حم السجدة:١٩].

اعلم أنه تعالى لما بين كيفية عقوبة أولئك الكفار في الدنيا أردفه بكيفية عقوبتهم في الآخرة ليحصل منه تمام الاعتبار في الزجر والتحذير(٣).

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ ﴾ الخ [حم السجدة:٢٥].

اعلم أنه تعالى لما ذكر الوعيد الشديد في الدنيا والآخرة على كفر أولئك الكفار أردفه بذكر السبب الذي لأجله وقعوا في ذلك الكفر(٤).

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا ﴾ الخ [حم السجدة:٢٦].

قال المسكين: بيان لتزئين كفرهم بحيث لا يودون سماع الهداية ثم بين وعيدهم بالعذاب ثم عين ذلك العذاب أنه النار.

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا ﴾ الخ [حم السجدة:٢٩].

---

(١) التفسير الكبير ٢٧/ ١١٠.

(٢) التفسير الكبير ٢٧/ ١١٠.

(٣) التفسير الكبير ٢٧/ ١١٥.

(٤) التفسير الكبير ٢٧/ ١١٨.

اعلم أنه تعالى لما بين أن الذي حملهم على الكفر الموجب للعقاب الشديد مجالسة قرناء السوء بين أن الكفار عند الوقوع في العذاب الشديد يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا﴾[1].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ الخ [حم السجدة:٣٠].

اعلم أنه تعالى لما أطنب في الوعيد أردفه بهذا الوعد الشريف وهذا ترتيب لطيف مدار كل القرآن عليه[2].

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ الخ [حم السجدة:٣٣].

قال المسكين آخذًا من الكبير وأبي السعود: لما ذكر الله تعالى في أول السورة ما قالوه للنبي ﷺ من أن قلوبنا في أكنة وفي وسطها من قولهم: ﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ الخ [حم السجدة:٢٦] وكان عليه الصلاة والسلام يتأذى بهذه الأقوال أمره تعالى في هذه الآيات بالصبر على الدعوة وعلى إيذائهم ومقابلة إساءتهم بالإحسان[3].

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ الخ [حم السجدة:٣٧].

قال المسكين: عود إلى التوحيد وإقامة الدلائل عليه وأشار في آخر الدلائل إلى صحة البعث بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ الخ [حم السجدة:٣٩].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ الخ [حم السجدة:٤٠].

قال المسكين: لما أقام الله تعالى الدلائل هدد من ينازع في هذه الدلائل ويلحد فيها.

---

(١) التفسير الكبير ٢٧/ ١٢٠.

(٢) التفسير الكبير ٢٧/ ١٢٢.

(٣) التفسير الكبير ٢٧/ ١٢٤ أبو سعود ٨/ ١٤.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ ﴾ الخ [حم السجدة:٤١] .

قال المسكين: كان ما قبلها بيانًا للآيات التكونية وهذا بيان للآيات التنزيلية وشرفها مع التسلية لرسوله عليه الصلاة والسلام في قوله: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ ﴾ الخ[حم السجدة:٤٣] .

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا ﴾ الخ [حم السجدة:٤٤] .

هذا الكلام متعلق بقوله: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ ﴾ [حم السجدة:٥] (ولا يلزم منه قطعه عما اتصل به لأن الجامع بينهما البحث عن شأن القرآن) وجواب له والتقدير إنا لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم أن يقولوا كيف أرسلت الكلام العجمي إلى القوم العرب ويصح لهم أن يقولوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه أي من هذا الكلام وفي آذاننا وقر منه لا نفهمه ولا نحيط بمعناه. أما لما أنزلنا هذا الكتاب بلغة العرب وبألفاظهم وأنتم من أهل هذه اللغة فكيف يمكنكم ادعاء أن قلوبكم في أكنة منها وفي آذانكم وقر منها(١) .

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ﴾ الخ [حم السجدة:٤٥] .

قال أبو السعود: كلام مستأنف مسوق لبيان أن الاختلاف في شأن الكتاب عادة قديمة غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى: ما يقال لك إلا ما قد قيل الخ(٢) .

قوله تعالى: ﴿ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ الخ [حم السجدة:٤٧] .

اعلم أنه تعالى لما هدد الكفار بقوله: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ الخ [حم السجدة:٤٦]

---

(١) التفسير الكبير ٢٧/ ١٣٣ وما بين القوسين من هامش الكتاب .

(٢) أبو سعود ٨/ ١٧ .

ومعناه أن جزاء كل أحد يصل إليه في يوم القيامة وكأن سائلًا قال: ومتى يكون ذلك اليوم فقال تعالى: إنه لا سبيل للخلق إلى معرفة ذلك اليوم ولا يعلمه إلا الله ولما بين الله تعالى من حال هؤلاء الكفار أنهم بعد أن كانوا مصرين على القول بإثبات الشركاء والأضداد لله تعالى في الدنيا وتبرؤوا عن تلك الشركاء في الآخرة بين أن الإنسان في جميع الأوقات متبدل الأحوال متغير المنهج فإن أحس بخير وقدرة انتفخ وتعظم وإن أحسن ببلاء ومحنة ذبل(١).

فقال: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ الخ [حم السجدة:٤٩].

واعلم أنه تعالى لما ذكر الوعيد العظيم على الشرك وبين أن المشركين يرجعون عن القول بالشرك في يوم القيامة ذكر عقيبه كلامًا آخر يوجب على هؤلاء الكفار أن لا يبالغوا في إظهار النفرة من قبول التوحيد وأن لا يفرطوا في إظهار العداوة مع الرسول ﷺ(٢).

فقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ الخ [حم السجدة:٥٢].

ولما ذكر هذه الوجوه الكثيرة في تقرير التوحيد والنبوة وأجاب عن شبهات المشركين وتمويهات الضالين(٣).

قال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا﴾ الخ ثم قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ الخ [حم السجدة:٥٣].

والمعنى ألم تكفهم هذه الدلائل الكثيرة التي أوضحها الله تعالى وقررها في هذه

---

(١) التفسير الكبير ٢٧/ ١٣٦ و١٣٧.

(٢) التفسير الكبير ٢٧/ ١٣٨.

(٣) التفسير الكبير ٢٧/ ١٣٨، ١٣٩.

السورة وفي كل سور القرآن، الدالة على التوحيد والنبوة والمعاد.

ثم ختم السورة بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ﴾ الخ [حم السجدة:٥٤] .

يعني أن القوم في شك عظيم وشبهة شديدة من البعث والقيامة[1] (فهو مرتبط بقوله: ﴿۞ إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ﴾ [حم السجدة:٤٧]) .

***

(١) التفسير الكبير ٢٧/ ١٤٠ :وما بين القوسين من الهامش .

سورة الشورى

لما ختم السورة المتقدمة بذكر البعث في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ﴾ [حم السجدة:٥٤] افتتح هذه السورة بذكر التوحيد وتلازمهما ظاهر(١).

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ﴾ الخ [الشورى:٣].

هذه المماثلة المراد منها المماثلة في الدعوة إلى التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وتقبيح أحوال الدنيا والترغيب في التوجه إلى الآخرة ولما ذكر أن هذا الكتاب حصل بالوحي بين أن الموحي من هو فقال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [العنكبوت:٢٦] والصفة الثالثة قوله: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ والصفة الرابعة والخامسة قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ الخ[الشورى:٤](٢).

قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ﴾ الخ [الشورى:٥].

لما بين أن الموحي لهذا الكتاب هو الله العزيز الحكيم بين وصف جلاله وكبريائه فقال: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾ أي من هيبته وجلاله(٣).

ثم قال: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ الخ [الشورى:٥].

اعلم أن مخلوقات الله تعالى نوعان عالم الجسمانيات وأعظمها السموات وعالم

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) التفسير الكبير ٢٧/ ١٤٢.

(٣) التفسير الكبير ٢٧/ ١٤٤.

الروحانيات وأعظمها الملائكة والله تعالى يقرر كمال عظمته لأجل نفاذ قدرته وهيبته في الجسميات ثم يردفه بنفاذ قدرته واستيلاء هيبته على الروحانيات وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ إشارة إلى الوجه الذي لهم إلى عالم الجلال والكبرياء وقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ إشارة إلى الوجه الذي لهم إلى عالم الأجسام(١).

ثم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ الخ [الشورى:٦].

أي جعلوا له شركاء وأندادًا وهو محاسبهم عليها إنما أنت منذر(٢).

قال المسكين: ثم بين الله تعالى كونه ﷺ منذرًا.

بقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الخ [الشورى:٧].

ثم بين شأن اليوم الذي أمر عليه الصلاة والسلام بالإنذار منه فقال: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ هذه صفته الأولى وقال: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ وهذه صفته الثانية أي هو يوم الفصل(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ﴾ الخ [الشورى:٨].

المراد تقرير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ – إلى قوله: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾[الشورى:٦](٤).

ثم قال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ الخ [الشورى:٩].

---

(١) التفسير الكبير ٢٧/ ١٤٤.

(٢) التفسير الكبير ٢٧/ ١٤٦.

(٣) التفسير الكبير ٢٧/ ١٤٨.

(٤) التفسير الكبير ٢٧/ ١٤٨.

أعاد ذلك الكلام على سبيل الاستنكار(١).

ثم قال: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ ﴾ الخ [الشورى:١٠].

وجه النظم أنه تعالى كما منع الرسول ﷺ أن يحمل الكفار على الإيمان قهرًا فكذلك منع المؤمنين أن يشرعوا معهم في الخصومات والمنازعات(٢).

قال المسكين: ثم وصف الحاكم نفسه بأنه هو الرب الذي يحق التوكل عليه والإنابة إليه: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ - إلى قوله: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [الشورى:١١، ١٢].

قوله تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾ الخ [الشورى:١٣].

اعلم أنه تعالى لما عظم وحيه إلى محمد ﷺ بقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ﴾ الخ [الشورى:٣] ذكر في هذه الآية تفصيل ذلك(٣).

قوله تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ الخ [الشورى:١٣].

قال أبو السعود: شروع في بيان أحوال بعض من شرع لهم ما شرع من الدين القويم(٤).

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ ﴾ الخ [الشورى:١٣].

قال أبو السعود: استيناف وارد لتحقيق الحق وفيه إشعار بأن منهم من يجيب

---

(١) التفسير الكبير ٢٧/ ١٤٨.

(٢) التفسير الكبير ٢٧/ ١٤٩.

(٣) التفسير الكبير ٢٧/ ١٥٥.

(٤) أبو سعود ٨/ ٢٦.

إلى الدعوة[(١)].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ ﴾ الخ [الشورى:١٤].

قال أبو السعود: شروع في بيان أحوال أهل الكتاب عقيب الإشارة الإجمالية إلى أحوال أهل الشرك[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الخ [الشورى:١٤].

قال أبو السعود: بيان لكيفية كفر المشركين بالقرآن إثر كيفية كفر أهل الكتاب[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ﴾ الخ [الشورى:١٥].

قال المسكين: تفريع على الاختلاف أي لما وقع الاختلاف وجب الدعوة إلى الإنفاق مع الاستقامة والإعراض عن أهوائهم والإيمان والعدل وإتمام الحجة.

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ ﴾ الخ [الشورى:١٦].

قال المسكين: لما تمم الله الحجة هدد من يعاند فيها بغير حق.

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الخ [الشورى:١٧].

لما قرر الله هذه الدلائل خوف المنكرين بعذاب القيامة والمعنى على ما قال أبو السعود: إنها على جناح الإتيان فاتبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل قبل أن يفاجئك اليوم الذي يوزن فيه الأعمال ويوفي جزائها[(٤)].

---

(١) أبو سعود ٨/ ٢٦.

(٢) أبو سعود ٨/ ٢٦.

(٣) أبو سعود ٨/ ٢٧.

(٤) أبو سعود ٨/ ٢٨.

قوله تعالى: ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ ﴾ الخ [الشورى:١٨].

قال المسكين: لما قرر أمر الساعة ذكر أن لها منكرين ومصدقين.

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ ﴾ الخ [الشورى:١٩].

قال المسكين: لعله جواب عن استعجالهم أي لا تغتروا بالإمهال الذي منشأه اللطف والربوبية وهذا الإمهال لا يدوم لأنه القوي العزيز.

قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ﴾ الخ [الشورى:٢٠].

قال المسكين: تقرير لعدم الاغترار بالعاجلة وترغيب في الآجلة.

قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ ﴾ الخ [الشورى:٢١].

قال المسكين: ذم على ردهم الشرع الذي وصى به نوحًا الخ وإنكارهم للبعث ووعيد لهم بالعذاب إذا ارتفع المانع.

قوله تعالى: ﴿ تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ الخ [الشورى:٢٢].

قال المسكين: بيان لوقوع العذاب بالظالمين وحصول الثواب لمقابليهم وانجر هذا إلى قوله: غفور شكور وأورد في أثناء الكلام في صورة الجملة المعترضة ما يبرئ رسول الله ﷺ عن طلب الأجر على التبليغ ليدل على خلوصه وصدقه ووقوع ما أخبر به حتمًا.

قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ ﴾ الخ [الشورى:٢٤].

اعلم أن الكلام في أول هذه السورة إنما ابتدأ في تقرير أن هذا الكتاب إنما حصل بوحي الله وهو قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ ﴾ [الشورى:٣] واتصل الكلام في تقرير هذا المعنى وتعلق البعض بالبعض حتى وصل إلى ههنا ثم حكى ههنا

شبهة القوم وهي قولهم أن هذا ليس وحيًا من الله تعالى[(١)].

قوله تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ﴾ الخ [الشورى:٢٤].

قال أبو السعود: استشهاد على بطلان ما قالوا ببيان أنه ﷺ لو افترى على الله لمنعه من ذلك قطعًا. وقيل المعنى إن يشأ يجعلك من المختوم على قلوبهم فإنه لا يجترئ على الافتراء عليه تعالى إلا من كان كذلك ومؤداه استبعاد الافتراء من مثله ﷺ[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ﴾ الخ [الشورى:٢٤].

قال أبو السعود: استيناف مقرر لنفي الافتراء ومن عادته تعالى أنه يمحو الباطل فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه ودمغه أو عدة لرسول الله ﷺ بأنه تعالى يمحو الباطل الذي هم عليه بنصرته عليهم[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ﴾ الخ [الشورى:٢٥].

اعلم أنه تعالى لما قال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ﴾ الخ [الشورى:٢٤] ثم برأ رسوله ما أضافوه إليه من هذا وكان من المعلوم أنهم قد استحقوا بهذه الفرية عقابًا عظيمًا لا جرم ندبهم الله تعالى إلى التوبة وعرفهم أنه يقبلها من كل مسيئ وإن عظمت إساءته[(٤)].

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ﴾ الخ [الشورى:٢٧].

اعلم أنه تعالى لما قال في الآية الأولى أنه يجيب دعاء المؤمنين ورد عليه سوال

---

(١) التفسير الكبير ٢٧/ ١٦٧.

(٢) أبو سعود ٨/ ٣٠.

(٣) أبو سعود ٨/ ٣١.

(٤) التفسير الكبير ٢٧/ ١٦٨.

وهو أن المؤمن قد يكون في شدة وبلية وفقر ثم يدعوا فلا يشاهد إثر الإجابة فكيف الحال فيه مع ما تقدم من قوله: ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الشورى:٢٦] فأجاب الله تعالى عنه بقوله: ﴿ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الشورى:٢٧] ولأقدموا على المعاصي ولما كان ذلك محذورًا وجب أن لا يعطيهم ما طلبوه ولما بين تعالى أنه لا يعطيهم ما زاد على قدر حاجتهم لأجل أنه علم أن تلك الزيادة تضرهم في دينهم بين أنهم إذا احتاجوا إلى الرزق فإنه لا يمنعهم منه[1].

فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ الخ [الشورى:٢٨].

ثم ذكر آية آخر تدل على إلهيته[2].

فقال: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الخ [الشورى:٢٩].

قال المسكين: ثم أشار إلى صحة البعث إثر بيان الألوهية كما هو الشائع في القرآن فقال: وهو على جمعهم أي حشرهم بعد البعث للمحاسبة إذا يشاء قدير ثم أشار إلى أنموذج المحاسبة الواقع في الدنيا دفعًا لاستبعاد المحاسبة في الآخرة.

فقال: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ﴾ الخ [الشورى:٣٠].

ثم بين عدم قدرتهم على الهرب عن المحاسبة فقال: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ الخ [الشورى:٣١].

ثم عاد إلى ذكر دليل الألوهية.

فقال: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ الخ [الشورى:٣٢].

في الكبير: اعلم أن المقصود من ذكره أمران أحدهما أن يستدل به على وجود

---

(١) التفسير الكبير ٢٧/ ١٧٠.

(٢) التفسير الكبير ٢٧/ ١٧٠.

القادر الحكيم والثاني أن يعرف ما فيه من النعم العظيمة لله تعالى على العباد الخ[(١)].

ثم قال تعالى: ﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ ﴾ الخ [الشورى:٣٣].

والمقصود التنبيه على أن المؤمن يجب أن لا يكون غافلًا عن دلائل معرفة الله تعالى البتة.

واعلم أنه تعالى لما ذكر دلائل التوحيد أردفها بالتنفير عن الدنيا وتحقير شأنها لأن الذي يمنع من قبول الدليل إنما هو الرغبة في الدنيا بسبب الرياسة وطلب الجاه فإذا صغرت الدنيا في عين الرجل لم يلتفت إليها فحينئذ ينتفع بذكر الدلائل فقال: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ ﴾ الخ [الشورى:٣٦][(٢)]. ثم قال: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ الخ [الشورى:٣٦].

ثم بين أن هذه الخيرية إنما تحصل لمن كان موصوفًا بصفات أن يكون من المؤمنين[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ ﴾ الخ [الشورى:٤٤].

قال المسكين: لما ذكر في الآيات السابقة حال المهتدين واستحقاقهم لما عند الله من الثواب ذكر في هذه الآية حال الضالين واستحقاقهم للعذاب والحسرة.

قوله تعالى: ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم ﴾ الخ [الشورى:٤٧].

اعلم أنه تعالى لما أطنب في الوعد والوعيد ذكر بعده ما هو المقصود[(٤)].

---

(١) التفسير الكبير ٢٧/ ١٧٤.

(٢) التفسير الكبير ٢٧/ ١٧٦.

(٣) التفسير الكبير ٢٧/ ١٧٦.

(٤) التفسير الكبير ٢٧/ ١٨٣.

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا ﴾ الخ [الشورى:٤٨] .

وذلك تسلية من الله تعالى ثم أنه تعالى بين السبب في إصرارهم على مذاهبهم الباطلة(١) .

فقال: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ الخ [الشورى:٤٨] .

ولما ذكر الله تعالى إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بضدها اتبع ذلك(٢)

بقوله تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ الخ [الشورى:٤٩] .

المقصود منه أن لا يغتر الإنسان بما ملكه من المال والجاه بل إذا علم أن الكل ملك الله وملكه وإنما حصل ذلك القدر تحت يده لأن الله أنعم عليه به فحينئذ يصير ذلك حاملًا له على مزيد الطاعة والخدمة ثم ذكر من أقسام تصرف الله في العالم(٣) .

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾ الخ [الشورى:٥١] .

اعلم أنه تعالى لما بين كمال قدرته وعلمه وحكمته اتبعه ببيان أنه كيف يخص أنبيائه بوحيه وكلامه(٤) .

قال المسكين: وفي هذا جواب عن قول اليهود للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيًا وكان مقصودهم القدح في النبوة فأزاح الله هذه الشبهة تقريرًا للنبوة بعد تقرير التوحيد.

***

---

(١) التفسير الكبير ٢٧/ ١٨٣ .

(٢) التفسير الكبير ٢٧/ ١٨٣ .

(٣) التفسير الكبير ٢٧/ ١٨٤ .

(٤) التفسير الكبير ٢٧/ ١٨٦ .

سورة الزخرف

كان خاتمة السورة التي قبلها في إثبات التوحيد والنبوة فكذا فاتحة هذه السورة في إثبات الأمرين[(١)].

قال المسكين: افتتح الله هذه السورة بإثبات النبوة وبإثبات كون القرآن منزلًا من الله تعالى مع الوعيد للمنكرين.

قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم ﴾ الخ [الزخرف:٩] .

قال المسكين: إثبات للتوحيد مع الإشارة إلى البعث إثر إثبات النبوة.

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ الخ [الزخرف:١٥] .

توبيخ على إشراكهم بإثبات الجزء له تعالى وإثبات البنات له تعالى لا سيما جعل الملائكة بنات له[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ ﴾ الخ [الزخرف:٢٠] .

اعلم أنه تعالى حكى نوعًا آخر من كفرهم وشبهاتهم[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ﴾ الخ [الزخرف:٢٦] .

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية المتقدمة أنه ليس لأولئك الكفار داع يدعوهم إلى تلك الأقاويل الباطلة إلا تقليد الآباء والأسلاف ثم بين أنه طريق باطل ومنهج

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب .

(٢) هذا أيضًا لم أجده في الكبير ولا في أبي السعود والله أعلم به .

(٣) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٠٤ .

فاسد وأن الرجوع إلى الدليل أولى من الاعتماد على التقليد أردفه بهذه الآية والمقصود منها ذكر وجه آخر يدل على فساد القول بالتقليد وتقريره أنه تعالى حكى عن إبراهيم عليه السلام أنه تبرأ عن دين آبائه بناء على الدليل(١).

ثم قال تعالى: ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ الخ [الزخرف:٢٩].

وجه النظم أنه لما عولوا على تقليد الآباء ولم يتفكروا في الحجة اغتروا بطول الإمهال وامتاع الله إياهم بنعيم الدنيا فأعرضوا عن الحق(٢).

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ ﴾ الخ [الزخرف:٣١].

اعلم أن هذا من كفرياتهم التي حكاها الله تعالى عنهم في هذه السورة ثم أبطل الله تعالى هذه الشبهة(٣).

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ﴾ الخ [الزخرف:٣٣].

اعلم أنه تعالى أجاب عن الشبهة التي ذكروها بناءً على تفضيل الغني على الفقير وهو أنه تعالى بين أن منافع الدنيا وطيباتها حقيرة خسيسة عند الله(٤).

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ الخ [الزخرف:٣٦].

المراد منه التنبيه على آفات الدنيا وذلك أن من فاز بالمال والجاه صار كالأعشى عن ذكر الله ومن صار كذلك صار من جلساء الشياطين الضالين المضلين(٥).

---

(١) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٠٧.

(٢) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٠٨.

(٣) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٠٩.

(٤) التفسير الكبير ٢٧/ ٢١١.

(٥) التفسير الكبير ٢٧/ ٢١٢.

قوله تعالى: ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ﴾ الخ [الزخرف:٤٠].

اعلم أنه تعالى لما وصفهم في الآية المتقدمة بالعشي وصفهم في هذه الآية بالصم والعمي[(١)].

قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ ﴾ الخ [الزخرف:٤١].

اعلم أن هذا الكلام يفيد كمال التسلية للرسول عليه السلام لأنه تعالى بين أنهم لا تؤثر فيهم دعوته واليأس إحدى الراحتين ثم بين أنه لا بد وأن ينتقم لأجله منهم إما حال حيوته أو بعد وفاته وذلك أيضًا يوجب التسلية فبعد هذا أمره أن يتمسك بما أمره الله تعالى[(٢)].

فقال: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ﴾ الخ [الزخرف:٤٣].

ولما بين تأثير التمسك بهذا الدين في منافع الدين بين أيضًا تأثيره في منافع الدنيا[(٣)].

فقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ ﴾ الخ [الزخرف:٤٤].

واعلم أن السبب الأقوى في إنكار الكفار لرسالة محمد ﷺ ولبغضهم له أنه كان ينكر عبادة الأصنام فبين تعالى أن إنكار عبادة الأصنام ليس من خواص دين محمد ﷺ بل كل الأنبياء والرسل كانوا مطبقين على إنكاره[(٤)].

فقال: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا ﴾ الخ [الزخرف:٤٥].

---

(١) التفسير الكبير ٢٧/ ٢١٤، ٢١٥.

(٢) التفسير الكبير ٢٧/ ٢١٥.

(٣) التفسير الكبير ٢٧/ ٢١٥.

(٤) التفسير الكبير ٢٧/ ٢١٥.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ ﴾ الخ [الزخرف:٤٦] .

اعلم أن المقصود من إعادة قصة موسى عليه السلام وفرعون في هذا المقام تقرير الكلام الذي تقدم وذلك لأن كفار قريش طعنوا في نبوة محمد ﷺ بسبب كونه فقيرًا عديم المال والجاه فبين الله تعالى أن موسى عليه السلام بعد أن أورد المعجزات الباهرة التي لايشك على صحتها عاقل أورد فرعون عليه هذه الشبهة التي ذكرها كفار قريش(١) .

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ الخ [الزخرف:٥٧] .

قال المسكين: حكاية لقصة عيسى عليه السلام إثر قصة موسى عليه السلام والمقصود تقرير أمر التوحيد ببيان كونه عليه السلام عبدا والجواب عن الشبهة التي تمسك بها النصارى من كون خلقه أبدع ببيان كون الملائكة في خلقهم أبدع وكونهم مع ذلك عبادًا له تعالى مقهورين مسخرين قابلين لتصرفه تعالى فيهم مع الإشارة في أثناء الكلام إلى صحة البعث بكونه عليه السلام علامة لها إما بنزوله شرطًا من أشراطها أو بحدوثه بغير أب أو بإحيائه الموتى والتصريح بمجيئه عليه السلام بالبينات والتوحيد ووعيد المنكرين لعذاب اليوم الأليم ووقوع الساعة بهم بغتة.

قوله تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ ﴾ الخ [الزخرف:٦٧] .

اعلم أنه تعالى لما قال: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ الخ [الزخرف:٦٦] ذكر عقيبه بعض ما يتعلق بأحوال القيامة(٢) .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ ﴾ الخ [الزخرف:٧٤] .

---

(١) التفسير الكبير ٢٧/ ٢١٧ .

(٢) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٢٤ .

اعلم أنه تعالى لما ذكر الوعد أردفه بالوعيد على الترتيب المستمر في القرآن[1].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ ﴾ الخ [الزخرف:٨١].

قال المسكين: عود إلى تقرير التوحيد مع الوعيد للمشركين وتسليته ﷺ إلى آخر السورة.

***

(١) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٢٦.

سورة الدخان

لما ختم السورة السابقة بتقرير التوحيد بدئ هذه بتعظيم القرآن الدال على النبوة ولا يخفى تعانق التوحيد والنبوة[1].

قوله تعالى: ﴿ حمٓ ۞ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ الخ [الدخان:١، ٢].

اعلم أن المقصود منها تعظيم القرآن من ثلاثة أوجه أحدها بيان تعظيم القرآن بحسب ذاته، الثاني تعظيمه بسبب شرف الوقت الذي نزل فيه، الثالث بيان تعظيمه بحسب شرف منزله[2].

ثم إنه تعالى ردّ أن يكونوا موقنين، بقوله: ﴿ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ﴾ الخ [الدخان:٤].

وإن إقرارهم غير صادر عن يقين[3].

قوله تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ ﴾ الخ [الدخان:١٠].

قال المسكين: بيان لوعيد المصرين على الكفر.

قوله تعالى: ﴿ ۞وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ ﴾ الخ [الدخان:١٧].

اعلم أنه تعالى لما بين أن كفار مكة مصرون على كفرهم بين أن كثيرًا من المتقدمين كانوا كذلك فبين حصول هذه الصفة في أكثر قوم فرعون[4].

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٣٩.

(٣) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٤١.

(٤) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٤٥.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا ﴾ الخ [الدخان:٣٠] .

اعلم أنه تعالى لما بين كيفية إهلاك فرعون وقومه بين كيفية إحسانه إلى موسى وقومه[١] .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴾ الخ [الدخان:٣٤] .

رجع إلى الحديث الأول وهو كون كفار مكة منكرين للبعث ولما حكى الله عنهم ذلك[٢]

قال: ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ الخ [الدخان:٣٧] .

والمعنى أن كفار مكة لم يذكروا في نفي الحشر والنشر شبهة حتى يحتاج إلى الجواب عنها ولكنهم أصروا على الجهل فلهذا السبب اقتصر الله تعالى على الوعيد فقال: إن سائر الكفار كانوا أقوى من هؤلاء ثم إن الله تعالى أهلكهم فكذلك يهلك هؤلاء ثم إنه تعالى ذكر الدليل القاطع على صحة القول بالبعث والقيامة[٣] .

فقال: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ الخ [الدخان:٣٨] .

ولو لم يحصل البعث لكان هذا الخلق لعبًا وعبثًا[٤] .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ ﴾ الخ [الدخان:٤٠] .

اعلم أن المقصود من قوله: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ الخ إثبات القول بالبعث

---

(١) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٤٨ .

(٢) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٤٩ .

(٣) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٤٩ .

(٤) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٥٠ .

والقيامة لا جرم ذكر عقيبه قوله: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾[(١)].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾ الخ [الدخان:٥١] .

اعلم أنه تعالى لما ذكر الوعيد في الآيات المتقدمة ذكر الوعد في هذه الآيات ولما بين الله تعالى الدلائل وشرح الوعد والوعيد[(٢)]

قال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ الخ [الدخان:٥٨] .

والمعنى أنه وصف القرآن في أول هذه السورة بكونه كتابًا مبينًا أي كثير البيان والفائدة وذكر في خاتمتها ما يؤكد ذلك[(٣)].

قوله تعالى: ﴿ فَارْتَقِبْ﴾ الخ [الدخان:٥٩] .

قال المسكين: هو تسلية له ﷺ أي ليس عليك إلا البلاغ لما نزل عليك وأمر الانتقام إلينا فليس لك إلا الانتظار.

***

(١) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٥٠ .

(٢) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٥٢ .

(٣) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٥٥ .

سورة الجاثية

كان المذكور في آخر الأولى أمر التبليغ فذكر في أول هذه الأخرى ما يبلغه من الآيات[١].

قال المسكين: افتتح الله السورة بسرد الآيات التكوينية وشرف الآيات التنزيلية إلى قوله: فبأي حديث بعد الله الخ.

قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ ﴾ الخ [الجاثية:٧].

اعلم أنه تعالى لما بين الآيات للكفار وبين أنهم بأي حديث بعده يؤمنون إذا لم يؤمنوا بها مع ظهورها اتبعه بوعيد عظيم لهم[٢].

قوله تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ ﴾ الخ [الجاثية:١٢].

قال المسكين: عود إلى ذكر بعض الآيات التكوينية.

قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ الخ [الجاثية:١٤].

اعلم أنه تعالى لما علم دلائل التوحيد والقدرة والحكمة اتبع ذلك بتعليم الأخلاق الفاضلة والأفعال الحميدة[٣].

قال المسكين: لما أصر الكفار على الكفر بعد إقامة الدلائل القاطعة غاظ المؤمنون عليهم فأمر الله تعالى بالمغفرة وتوكيل أمورهم إلى الله تعالى.

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٦١.

(٣) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٦٣.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ الخ [الجاثية:١٦].

اعلم أنه تعالى بين أنه أنعم بنعم كثيرة على بني إسرائيل مع أنه حصل بينهم الاختلاف على سبيل البغي والحسد والمقصود أن يبين أن طريقة قومه كطريقة من تقدم ولما بين تعالى أنهم أعرضوا عن الحق لأجل البغي والحسد أمر رسوله ﷺ بأن يعدل عن تلك الطريقة وأن يتمسك بالحق وأن لا يكون له غرض سوى إظهار الحق وتقرير الصدق(١).

فقال: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ ﴾ الخ [الجاثية:١٨].

ولما بين الله تعالى هذه البيانات الباقية النافعة(٢).

قال: ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ ﴾ الخ [الجاثية:٢٠].

ولما بين الله تعالى الفرق بين الظالمين وبين المتقين من الوجه الذي تقدم بين الفرق بينهما من وجه آخر(٣).

فقال: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ﴾ الخ [الجاثية:٢١].

قوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ الخ [الجاثية:٢٢].

اعلم أنه تعالى لما أفتى بأن المؤمن لا يساوي الكافر في درجات السعادات اتبعه بالدلائل الظاهرة على صحة هذه الفتوى فقال: وخلق الله السموات والأرض بالحق ولو لم يوجد البعث لما كان بالحق بل كان بالباطل لأنه تعالى لما خلق الظالم

---

(١) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٦٥، ٢٦٦.

(٢) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٦٦.

(٣) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٦٦.

وسلطه على المظلوم الضعيف، ثم لا ينتقم للمظلوم من الظالم كان ظالمًا ولو كان ظالمًا لبطل أنه خلق السموات والأرض بالحق ثم عاد تعالى إلى شرح أحوال الكفار وقبائح طرائقهم[(١)].

فقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ﴾ الخ [الجاثية:٢٣].

واعلم أنه تعالى حكى عنهم بعد ذلك شبهتهم في إنكار القيامة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ الخ [الجاثية:٢٤][(٢)].

واعلم أنه تعالى لما احتج بكونه قادرًا على الإحياء في المرة الأولى وعلى كونه قادرًا على الإحياء في المرة الثانية في الآيات المتقدمة عمّم الدليل[(٣)].

فقال: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الخ [الجاثية:٢٧].

ولما بين تعالى إمكان القول بالحشر والنشر بهذين الطريقين ذكر تفاصيل أحوال القيامة ولما تم الكلام في هذه المباحث الشريفة الروحانية ختم السورة بتحميد الله تعالى فقال: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الخ [الجاثية:٣٦][(٤)].

***

---

(١) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٦٨.

(٢) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٦٩.

(٣) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٧١.

(٤) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٨٢.

سورة الأحقاف

كـان خاتمـة الجاثيـة في إثبـات المعـاد وفاتحـة الأحقـاف في إثبـات التوحيـد وهمـا متقارنان في القرآن[١].

قوله تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ الخ [الأحقاف:١، ٢].

اعلم أن نظم هذه السورة كنظم أول سورة الجاثية[٢].

قوله تعالى: ﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ الخ [الأحقاف:٣].

هذا يدل على إثبات الإله لهذا العالم ويدل على أن القيامة حق[٣].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ ﴾ الخ [الأحقاف:٤].

قال المسكين: إبطال لمذهب عبدة الأصنام إثر إثبات التوحيد.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ الخ [الأحقاف:٧].

اعلم أنـه تعـالى لمـا تكلـم في تقريـر التوحيـد ونفـي الأضـداد والأنـداد تكلـم في النبوة[٤].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ الخ [الأحقاف:٩].

حكى عنهم نوعًا آخر من الشبهات وهـم أنهـم كـانوا يقترحـون منه معجـزات

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) التفسير الكبير ٢٨/ ٢.

(٣) التفسير الكبير ٢٨/ ٢.

(٤) التفسير الكبير ٢٨/ ٦.

عجيبة قاهرة ويطالبونه بأن يخبرهم عن المغيبات فأجاب الله تعالى عنه[(١)] .

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الخ [الأحقاف:١١] .

هذه شبهة أخرى للقوم في إنكار نبوة محمد ﷺ[(٢)] .

قوله تعالى: ﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾ الخ [الأحقاف:١٢] .

قال أبو السعود: هو لرد قولهم: هذا إفك قديم وإبطاله بأن كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر لحقيته قطعًا[(٣)] .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ﴾ الخ [الأحقاف:١٣] .

اعلم أنه تعالى لما قرر دلائل التوحيد والنبوة وذكر شبهات المنكرين وأجاب عنها ذكر بعد ذلك طريقة المحقين والمحققين، وأعظم أنواع هذا النوع الإحسان إلى الوالدين لا جرم أردفه بهذا المعنى فقال تعالى ووصينا الإنسان الخ[(٤)] .

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ ﴾ الخ [الأحقاف:١٧] .

اعلم أنه تعالى لما وصف الولد البار بوالديه في الآية المتقدمة وصف الولد العاق بوالديه في هذه الآية وذكر من صفات ذلك الولد أنه بلغ في العقوق إلى حيث لما دعاه أبواه إلى الدين الحق وهو الإقرار بالبعث والقيامة أصر على الإنكار وأبى واستكبر وعول في ذلك الإنكار على شبهات خسيسة وكلمات واهية[(٥)] .

---

(١) التفسير الكبير ٢٨/ ٧ .

(٢) التفسير الكبير ٢٨/ ١١ .

(٣) أبو سعود ٨/ ٨٢ .

(٤) التفسير الكبير ٢٨/ ١٣ و١٤ .

(٥) التفسير الكبير ٢٨/ ٢٣ .

قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ ﴾ الخ [الأحقاف:١٩].

عائد إلى الفريقين والمعنى ولكل واحد من الفريقين درجات في الإيمان والكفر والطاعة والمعصية(١).

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ الخ [الأحقاف:٢٠].

لما بين الله تعالى أن يوصل حق كل أحد إليه بين أحوال أهل العقاب(٢).

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ ﴾ الخ [الأحقاف:٢١].

اعلم أنه تعالى لما أورد أنواع الدلائل في إثبات التوحيد والنبوة وكان أهل مكة بسبب استغراقهم في لذات الدنيا واشتغالهم بطلبها أعرضوا عنها ولم يلتفتوا إليها ولهذا السبب قال تعالى في حقهم: اذهبتم طيباتكم في الحياة الدنيا فلما كان الأمر كذلك بين أن قوم عاد كانوا أكثر أموالا وقوة وجاها منهم ثم إن الله تعالى سلط العذاب عليهم بسبب شوم كفرهم فذكر هذه القصة ههنا ليعتبر بها أهل مكة(٣).

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم ﴾ الخ [الأحقاف:٢٧].

قال المسكين آخذا من الكبير: إشارة إلى قصة أخرى من قرى عاد وثمود باليمن والشام(٤).

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ ﴾ الخ [الأحقاف:٢٩].

اعلم أنه تعالى لما بين أن في الإنس من آمن وفيهم من كفر بين أيضًا أن الجن

---

(١) التفسير الكبير ٢٨/ ٢٤.

(٢) التفسير الكبير ٢٨/ ٢٥.

(٣) التفسير الكبير ٢٨/ ٢٦، ٢٧.

(٤) التفسير الكبير ٢٨/ ٣٠.

فيهم من آمن وفيهم من كفر وأن مؤمنهم معرض للثواب وكافرهم معرض للعقاب(١).

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ الخ [الأحقاف:٣٣].

إلى ههنا قد تم الكلام في التوحيد وفي النبوة ثم ذكر عقيبهما تقرير مسألة المعاد ومن تأمل في هذا البيان علم أن المقصود من كل القرآن تقرير التوحيد والنبوة والمعاد وأما القصص فالمراد من ذكرها ما يجري مجرى ضرب الأمثال في تقرير هذه الأصول(٢).

قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ ﴾ الخ [الأحقاف:٣٥].

اعلم أنه تعالى لما قرر المطالب الثلاثة وهي التوحيد والنبوة والمعاد وأجاب عن الشبهات أردفه بما يجري مجرى الوعظ والنصيحة للرسول ﷺ(٣).

***

---

(١) التفسير الكبير ٢٨/ ٣١.

(٢) التفسير الكبير ٢٨/ ٣٤.

(٣) التفسير الكبير ٢٨/ ٣٥.

سورة محمد (ﷺ)

تناسب السورتين مذكور في المتن[1].

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الخ [محمد:١].

أول هذه السورة مناسب لآخر السورة المتقدمة فإن آخرها قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ يُهۡلَكُ﴾ الخ [الأحقاف:٣٥] فإن قال قائل كيف يهلك الفاسق وله أعمال صالحة كإطعام الطعام وصلة الأرحام وغير ذلك قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الخ أي لم يبق لهم عمل ولم يوجد فلم يمتنع الإهلاك[2].

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الخ [محمد:٢].

لما بين الله تعالى حال الكفار بين حال المؤمنين[3].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الخ [محمد:٣].

قال المسكين: تعليل للحكمين.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الخ [محمد:٤].

لما بين أن الذين كفروا أضل الله أعمالهم واعتبار الإنسان بالعمل ومن لم يكن له عمل فهو همج فإن صار مع ذلك يؤذي حسن إعدامه فإذا لقيتم بعد ظهور أن لا

---

(١) في الأصل بهامش الكتاب.

(٢) التفسير الكبير ٢٨/ ٣٦.

(٣) التفسير الكبير ٢٨/ ٣٨.

حرمة لهم وبعد إبطال عملهم فاضربوا أعناقهم[(١)].

قال المسكين: ثم رغب بقوله: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ في القتال [محمد:٧].

ثم علل إباحة القتال بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا﴾ الخ [محمد:٩].

ثم ذكر للعبرة عقوبة الكفار السابقين بقوله: ﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الخ [محمد:١٠].

(وذلك) لدفع استبعاد مشروعية عقوبتهم بالقتال.

ثم علل بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخ [محمد:١١].

كون المؤمنين غالبين وكون الكفار مغلوبين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ﴾ الخ [محمد:١٢].

لما بين الله تعالى حال المؤمنين والكافرين في الدنيا بين حالهم في الآخرة[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ الخ [محمد:١٣].

لما ضرب الله تعالى لهم مثلًا بقوله: ﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ [محمد:١٠] ضرب للنبي ﷺ مثلًا تسلية له[(٣)].

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ الخ [محمد:١٤].

قال أبو السعود: تقرير لتباين حالي فريقي المؤمنين والكافرين وكون الأولين في

---

(١) التفسير الكبير ٢٨/ ٤٣.

(٢) التفسير الكبير ٢٨/ ٥١.

(٣) التفسير الكبير ٢٨/ ٥٢.

أعلى عليين والآخرين في أسفل سافلين وبيان لعلة ما لكل منهما من الحال(١).

قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي ﴾ الخ [محمد:١٥].

لما بين الفرق بين الفريقين في الاهتداء والضلال بين الفرق بينهما في مرجعهما ومآلهما(٢).

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ ﴾ الخ [محمد:١٦].

لما بين الله تعالى حال الكافر ذكر حال المنافق بأنه من الكفار(٣).

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا ﴾ الخ [محمد:١٧].

لما بين الله تعالى ان المنافق يستمع ولا ينتفع ويستعيذ ولا يستفيد بين أن حال المؤمن المهتدي بخلافه(٤).

قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ ﴾ الخ [محمد:١٨].

قال المسكين: وعيد للكفار والمنافقين.

قوله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ الخ [محمد:١٩].

قال أبو السعود: أي إذا علمت أن مدار السعادة هو التوحيد والطاعة، ومناط الشقاوة هو الإشراك والعصيان فأثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه(٥).

---

(١) أبو سعود ٨/ ٩٥.

(٢) التفسير الكبير ٢٨/ ٥٣.

(٣) التفسير الكبير ٢٨/ ٥٧.

(٤) التفسير الكبير ٢٨/ ٥٨.

(٥) أبو سعود ٨/ ٩٧.

قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الخ [محمد:٢٠] .

لما بين حال المنافق والكافر والمهتدي المؤمن عن استماع الآيات العلمية من التوحيد والحشر وغيرهما بقوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ [محمد:١٦] وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ [محمد:١٧] بين حالهم في الآيات العملية فإن المؤمن كان ينتظر ورودها ويطلب تنزيلها وإذا تأخر عنه التكليف كان يقول هلا أمر بشيء من العبادة خوفًا من أن لا يؤهل بها والمنافق إذا أنزلت السورة أو الآية وفيها تكليف شق عليه(١) .

قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ ﴾ الخ [محمد:٢٢] .

قال المسكين آخذًا من أبي السعود: تفريع على إعراضهم وتقاعدهم عن الجهاد ضعفًا في الدين وحرصًا على الدنيا وتقريره أن الجهاد إحراز كل خير وإصلاح ودفع كل شر وفساد فلما أعرضتم عنه وأنتم مأمورون وشأنكم الطاعة والقول المعروف فالمتوقع منكم إذا أطلقت أعنتكم وصرتم آمرين الإفساد وقطع الأرحام(٢) .

قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ الخ [محمد:٢٣] .

قال المسكين: وعيد المتصفين بالأوصاف المذكورة ثم المنافقين إلى قوله تعالى: ﴿ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد:٣١] .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الخ [محمد:٣٢] .

قال المسكين: ذم الكفار أهل الكتاب إثر ذم المشركين والمنافقين أو عود إلى ذم المشركين هما قولان.

---

(١) التفسير الكبير ٢٨/ ٦٢ .

(٢) أبو سعود ٨/ ٩٨ .

قوله تعالى: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ الخ [محمد:٣٣].

قال المسكين: نهى للمؤمنين عن أن يكونوا مثل هؤلاء المذكورين.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ ﴾ الخ [محمد:٣٤].

قال المسكين: من تتمة حال الكفار.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُواْ ﴾ الخ [محمد:٣٥].

قال أبو السعود: الفاء لترتيب النهي على ما سبق من الأمر بالطاعة[١].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ الخ [محمد:٣٦].

قال المسكين: ترغيب في بذل الأموال إثر الترغيب في بذل النفوس فبين حقارة الدنيا وأنه تعالى لا يسألكم جميع أموالكم لتبخلوا وإنما يقتصر على نذر يسير منها وتدعون إلى إنفاقه فإن بخلتم فإنما تضرون أنفسكم ثم ختم السورة ببيان استغنائه تعالى عن الأموال والأنفس بقوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ ﴾ الخ [محمد:٣٨].

***

(١) أبو سعود ٨/ ١٠٢.

سورة الفتح

لا يخفى التناسب بين الترغيب في بذل الأموال والنفوس الذي ختمت عليه السورة الأولى وبين قصة الحديبية التي هي من مواقع ذلك البذل(١).

قال المسكين: ذكر الله تعالى في هذه السورة قصة الحديبية وما روعي فيها من الحكم والمصالح مع البشارات للمؤمنين والتهديد للكافرين والمنافقين وهذه خلاصة السورة كلها متعانقة بعضها ببعض ولما كان وجه الارتباط جليًا غير خفي لم يحتج إلى التفصيل فما ذكرنا من الإجمال كاف لمن يتدبر أدنى تدبر إن شاء الله تعالى وكذا أكثر السور من ههنا إلى آخر القرآن فافهم وتفكر ولا تهتم ولا تتحير والعون من الله تعالى.

***

سورة الحجرات

لا يخفى وجه المناسبة بين إصلاح الآفاق بالجهاد وإصلاح الأنفس بالإرشاد فالسورة الأولى في الأول والأخرى في الآخر(٢).

قال المسكين: هذه السورة فيها إرشاد للمؤمنين إلى مكارم الأخلاق وحسن الأدب والمعاشرة مع الرسول ﷺ ومع إخوانهم المؤمنين فالنصف الأول في أدب الرسول والنصف في أدب الإخوان فتفكر.

***

(١) في الأصل بهامش الكتاب .

(٢) في الأصل بهامش الكتاب .

سورة ق

كان خاتمة الحجرات قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحجرات:١٨] وفيه إشارة إلى وقوع الجزاء وفي هذه التفصيل لأحواله[١].

قال المسكين: هذه السورة كلها فيها تقرير مسألة المعاد وإقامة الدليل عليها وبيان ما يتعلق بها فتدبر.

***

سورة الذاريات

لما كانت السورتان مشتملين على تقرير المعاد فالمناسبة ظاهرة[٢].

قال المسكين: هذه السورة أيضًا فيها تقرير المعاد وما يعود إليه حال الكافرين والمؤمنين ولتهديد المكذبين ذكر بعض القصص وختم السورة بالتوحيد ووعيد المنكرين له وللحشر وغيره.

***

(١) من الهامش .

(٢) من الهامش .

سورة الطور

وجه المناسبة بين السورتين مذكور في المتن[١] .

هذه السورة مناسبة للسورة المتقدمة من حيث الافتتاح بالقسم وبيان الحشر وأول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها لأن في آخرها قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [الذاريات:٦٠] وهذه السورة في أولها: ﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [الذاريات:١١] وفي آخر تلك السورة قال: ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا ﴾ [الذاريات:٥٩] إشارة إلى العذاب وقال ههنا: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾ [الطور:٧][٢] .

قال المسكين: إن نصف السورة في بيان الحشر ونصفها في رفع شبهات الكفار في صدق ما جاء به النبي ﷺ من النبوة والمعاد لأن رفع الشبهات يؤيد وقوع الحشر ثم ختم السورة بالإخبار عن يوم الحشر حيث قال: ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا ﴾ الخ [الطور:٤٥]

***

(١) من الهامش .

(٢) التفسير الكبير ٢٨/ ٢٣٩ .

سورة النجم

إن آخر الأول وأول الآخر كلاهما يشتمل على تحقيق النبوة[(١)].

قال المسكين: هذه السورة لها أجزاء، في الجزء الأول وهو من أولها إلى قوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٨] إثبات النبوة وفي الجزء الثاني إلى قوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النجم:٣٠] بيان التوحيد والإعراض عن أهل الشرك وتوكيل أمرهم إلى الله تعالى وفي الجزء الثالث إلى آخر السورة بيان جزاء الأعمال وقيام الساعة فاشتملت السورة الأصول الثلاثة التي هي أم مقاصد القرآن التوحيد والرسالة والحشر فتبصر.

***

سورة القمر

أول الآخر وآخر الأول يشترك في بيان مسألة المعاد[(٢)].

قال المسكين: مقصود السورة الإخبار عن وقوع الساعة وعلامتها وذم المكذبين بها وبعض قصص المكذبين للاعتبار فتدبر.

***

---

(١) من الهامش.

(٢) من الهامش.

سورة الرحمن

وجه المناسبة بين السورتين مذكور في المتن بوجهين[(١)].

اعلم أولًا أن مناسبة هذه السورة لما قبلها بوجهين أحدهما أن الله تعالى افتتح السورة المتقدمة بذكر معجزة تدل على العزة والجبروت والهيبة وهو انشقاق القمر فإن من يقدر على شق القمر يقدر على هد الجبال وقد الرجال.

وافتتح هذه السورة بذكر معجزة تدل على الرحمة والرحموت وهو القرآن الكريم فإنه شفاء القلوب بالصفاء عن الذنوب.

ثانيهما أنه تعالى ذكر في السورة المتقدمة: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر:١٦] غير مرة وذكر في هذه السورة: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ[الرحمن:١٣] مرة بعد مرة لما بينا أن تلك السورة سورة إظهار الهيبة وهذه السورة سورة إظهار الرحمة ثم إن أول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها حيث قال في آخر تلك السورة: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٥] الاقتدار إشارة إلى الهيبة والعظمة وقال ههنا: الرحمن أي عزيز شديد منتقم بالنسبة إلى الكفار والفجار رحمن منعم غافر للأبرار[(٢)].

قال المسكين: جزء الله تعالى هذه السورة ثلاثة أجزاء.

الجزء الأول في تعداد النعم الدنيوية إلى قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ [الرحمن:٢٤].

---

(١) من الهامش .

(٢) التفسير الكبير ٢٩/ ٨٢ .

الجزء الثاني في النقم الأخروية للكفار وهي نعم باعتبار التنبيه على ما سيلقونه يوم القيامة للتحذير عما يؤدي إلى سوء الحساب.

الجزء الثالث وهو من قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ [الرحمن:٤٦] إلى آخر السورة في بيان النعم الأخروية للمؤمنين فطرفا السورة في ذكر النعم ووسطها في بيان النقم ولما كان للأكثر حكم الكل سيما إذا كان ذكر النقم فيه لطف ونعمة ببيان عاقبة ما هم عليه كانت السورة كلها مظهرًا لحضرة الجمال ومن ثم سماها رسول الله ﷺ عروس القرآن فتأمل ولا تتعطل.

***

سورة الواقعة

وجه المناسبة بين السورتين مذكور في المتن بوجوه[(١)].

أما تعلق هذه السورة بما قبلها فذلك من وجوه أحدها أن تلك السورة مشتملة على تعديد النعم على الإنسان بالشكر ومنعه عن التكذيب كما مر، وهذه السورة مشتملة على ذكر الجزاء بالخير لمن شكر وبالشر لمن كذب وكفر.

ثانيها أن تلك السورة متضمنة للتنبيهات بذكر الآلاء في حق العباد وهذه السورة كذلك لذكر الجزاء في حقهم يوم التناد.

وثالثها أن تلك السورة سورة إظهار الرحمة وهذه السورة سورة إظهار الهيبة على عكس تلك السورة مع ما قبلها.

وأما تعلق الأول بالآخر ففي آخر تلك السورة إشارة إلى الصفات من باب النفي والإثبات وفي أول هذه السورة إلى القيامة وإلى ما فيها من المثوبات والعقوبات وكل واحد منهما يدل على علو اسمه وعظمة شأنه وكمال قدرته وعز شأنه[(٢)].

قال المسكين: هذه السورة أيضًا لها أجزاء أحدها في بيان أحوال أهل الجنة إلى قوله: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ [الواقعة:٣٩، ٤٠] ثانيها في بيان أحوال النار إلى قوله: ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الواقعة:٥٦].

ثالثها في بعض النعم الدنيوية التي هي دلالات على صحة البعث والحشر إلى قوله: ﴿ وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ [الواقعة:٧٣].

رابعها وهي خاتمتها الجواب من إنكارهم الحشر وما سيلقونه بعد من مؤمن ومكذب فتعقل ولا تغفل.

---

(١) في الأصل بالهامش.

(٢) التفسير الكبير ٢٩/ ١٣٩.

سورة الحديد

ختم السورة المتقدمة بذكر مسألة المعاد وافتتح هذه بمسألة التوحيد وتناسبها ظاهر[(١)].

قال المسكين: أول هذه السورة في التوحيد إلى قوله: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحديد:٦] وأوسطها في ترغيب أعمال الخير الأصلية والفرعية من الإيمان والإنفاق وما للعاملين من صنف من البشارات والإنذار وتحقير الدنيا نعمها ونقمها وتعظيم حال الآخرة ليسهل السعي في الآخرة، وآخرها في إثبات مسألة الرسالة وذكر بعض الرسل المتقدمين وأممهم وهو من قوله: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا﴾ [الحديد:٢٦] إلى خاتمة السورة.

***

سورة المجادلة

ختم السورة المتقدمة بمسألة الرسالة وذكر في هذه إحاطة علمه تعالى التي هي من مسائل التوحيد والارتباط بين التوحيد والرسالة مما لا يخفى[(٢)].

قال المسكين: كأن مقصود السورة بيان إحاطة علمه تعالى بأحوال المنافقين فإن أكثرها يشمل عليها وذكر سماع المجادلة تمهيد له أي لا يخفى على الله تعالى نجوى موافق ولا منافق فتدبر ولا تتحير.

***

(١) من الهامش .

(٢) من الهامش .

سورة الحشر

كان في السورة المتقدمة ذكر أحوال المنافقين وفي هذه ذكر إخوانهم[١].

قال المسكين: خلاصة السورة ذكر قصة بني النضير وإخوانهم من المنافقين وختم السورة بإرشاد المؤمنين إلى أن لا يكونوا أمثالهم للتفاوت بين المطيع والعاصي بل ليتقوا الله الذي هو متصف بصفات الجلال والجمال.

***

سورة الممتحنة

وجه المناسبة يفهم من تقرير المتن[٢].

قال المسكين: حاصل السورة النهي عن الاختلاط مع المشركين بالتوقع والتناكح فتناسب ما قبلها لأن فيه التقاطع عن أهل الكتاب.

***

سورة الصف

أيضًا يفهم وجه التناسب من المتن[٣].

قال المسكين: كان المذكور في السورة السابقة الأمر بمخالفة الكفار وفي هذه الأمر بمقاتلتهم والوعد بالثواب عليها.

***

(١) من الهامش.

(٢) من الهامش.

(٣) من الهامش.

سورة الجمعة

أيضًا يفهم وجه المناسبة بين السورتين من المتن[١].

قال المسكين: أول السورة في إثبات التوحيد والرسالة والإلزام على بعض منكري الرسالة وآخرها في النهي عن الانهماك في الدنيا لأنه الموجب لاختلاط الكفار وهو المانع عن المخالفة والمقاتلة، والإعراض عن الدنيا هو المكمل لاعتقاد التوحيد والنبوة.

***

(١) من الهامش.

سورة المنافقون

وجه المناسبة مذكور في المتن[1].

وجه تعلق أول هذه السورة بما قبلها هو أن تلك السورة مشتملة على ذكر الرسول ﷺ وذكر من كان يكذبه قلبا ولسانًا بضرب المثل كما قال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ [الجمعة:٥] وهذه السورة على ذكر من كان يكذبه قلبًا دون اللسان ويصدقه لسانًا دون القلب.

أما (تعلق) الأول بالآخر فذلك أن في آخر تلك السورة تنبيهًا لأهل الإيمان على تعظيم الرسول ﷺ ورعاية حقه بعد النداء لصلاة الجمعة وتقديم متابعته في الأداء على غيره وأن ترك التعظيم والمتابعة من شيم المنافقين، والمنافقون هم الكاذبون كما قال في أول هذه السورة[2].

قال المسكين: وختم السورة بالنهي للمؤمنين عن أن يكونوا كالمنافقين في إلهاء أموالهم وأولادهم عن ذكر الله والإخلاص له.

***

---

(١) من الهامش.

(٢) التفسير الكبير ٣٠/ ١٢.

سورة التغابن

يفهم وجه المناسبة من المتن[١].

قال المسكين: خلاصة السورة التوحيد والرسالة والبعث والتوجه إلى الله تعالى بالتوكل والإعراض عما يلهي كآخر ما قبلها.

***

سورة الطلاق

أيضًا يفهم التناسب من المتن[٢].

قال المسكين: لما ذكر فيما قبل من عداوة الأزواج ذكر ههنا حقوقهن لئلا يفرط فيها ثم نبه في الركوع الثاني أن الله تعالى في المعاملات الدنيوية أيضًا واجب الامتثال لا كزعم بعض الجهلة.

***

سورة التحريم

فيه أيضًا ما في قبلها[٣].

أما التعلق بما قبلها فذلك لاشتراكهما في الأحكام المخصوصة بالنساء[٤].

قال المسكين: أمر الأزواج المطهرات - أن لا يكن كالعامة عداوات البعل أيّ بعل وليخفن الطلاق إن فعلن ذلك - فناسبت السورة سورة التغابن والطلاق.

---

(١) من الهامش.

(٢) من الهامش.

(٣) من الهامش.

(٤) التفسير الكبير ٣٠/ ٤١.

سورة الملك

كان المذكور في ما قبلها حقوق الرسالة وفي هذه حقوق التوحيد والجزاء عليها وعلى مقابلها وكذا في النون ذكر حقوق الرسالة مع بيان الجزاء وفي الحاقة بيان وقت الجزاء وفي المعارج بيان موجبات الجزاء والتعانق بين هذه المضامين ظاهر غني عن البيان(١).

***

سورة النون

قال المسكين: السورة في إثبات الرسالة والجزاء على التصديق والتكذيب.

***

سورة الحاقة

قال المسكين: خلاصة السورة بيان يوم القيامة وحقية القرآن الجاءي به.

***

سورة المعارج

قال المسكين: فيها ذكر الحشر وموجبات الثواب والعذاب.

***

(١) من الهامش.

سورة نوح (عليه السلام)

لما كان المذكور في المعارج بيان موجبات الجزاء ذكر في هذه أعظم الموجبات له من تكذيب الرسول ثم حض في الجن على تصديق الرسول بذكر إيمان الجن ثم علم في المزمل صفاء الباطن بعد تحصيل العقائد الحقة ثم أمر بتكميل غيره بعد كمال نفسه في المدثر ثم في القيامة تتم أمر التكميل بالإخبار عن البعث ثم أخبر في الدهر عن جزاء الأعمال بعد البحث ثم في المرسلات أكد بيان أحوال يوم القيامة وكذا في النبأ وكذا في النازعات وعبس والتكوير والانفطار وكذا في التطفيف مع الإشارة إلى بعض حقوق العباد وكذا في الانشقاق وهذه الأمور كلها متعانقة متناسبة بعضها ببعض[1].

قال المسكين: خلاصة السورة بيان جزاء من يكذب الرسل في ضمن قصة نوح عليه السلام.

***

سورة الجن

قال المسكين: خلاصة السورة التنبيه على أن الجن الناريين المستكبرين قد آمنوا فما بال البشر الترابيين المستصغرين لا يؤمنون وختم السورة بإثبات التوحيد الذي هو أصل الإيمان.

***

---

(١) من الهامش .

سورة المزمل

قال المسكين: خلاصة السورة تعليم تصفية الباطن بعد إصلاح الظاهر والأمر بالابتهال إلى الله تعالى والإعراض من المنكرين وتوكيل أمرهم إلى الله تعالى فإنه يجازيهم كيف يشاء فإن شغل القلب بغير الله تعالى مما يخل بالذكر وصفاء الجوهر الروحاني.

***

سورة المدثر

قال المسكين: ملخص السورة الإنذار

***

سورة القيامة

قال المسكين: ملخص السورة إثبات البعث ولعله اتفق للرسول ﷺ عند نزول هذه الآيات استعجال بالقراءة فنهي عنه.

وعلى قول القفال: قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ﴾ الخ [القيامة:٦] خطاب مع الإنسان يوم القيامة وقت قراءة كتاب أعماله فيكون من متعلقات البعث(١).

***

سورة الدهر

قال المسكين: ملخصها إثبات جزاء الأعمال فكأنه مناسب لقوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦] لا يجزي على الأعمال.

---

(١) التفسير الكبير ٣٠/ ٢٢٢ .

سورة المرسلات

قال المسكين: خلاصتها بيان ما يقع يوم القيامة وما يتبعها.

***

سورة النبأ

قال المسكين: فيها أيضًا أحوال القيامة.

***

سورة النازعات

قال المسكين: فيها أيضًا إثبات البعث.

أما وجه المناسبة بين قصة موسى عليه السلام وبين ما قبلها فعلى ما في الكبير: من وجهين: الأول أنه تعالى حكى عن الكفار إصرارهم على إنكار البعث حتى انتهوا في ذلك الإنكار إلى حد الاستهزاء في قولهم: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات:١٢] وكان ذلك يشق على محمد ﷺ فذكر قصة موسى عليه السلام وبين أنه تحمل المشقة الكثيرة في دعوة فرعون ليكون ذلك كالتسلية للرسول ﷺ.

الثاني أن فرعون كان أقوى من كفار قريش وأكثر جمعا وأشد شوكة فلما تمرد على موسى عليه السلام أخذه الله نكال الآخرة والأولى فكذلك هؤلاء المشركين في تمردهم عليك إن أصروا أخذهم الله تعالى وجعلهم نكالًا[١].

***

سورة عبس

قال المسكين: فيها بيان أحوال القيامة والأمر بتذكير من يتذكر.

---

(١) التفسير الكبير ٣١/ ٣٨.

سورة التكوير

قال المسكين: فيها إثبات البعث وحقية القرآن ليخافوا ويستعدوا لذلك اليوم.

***

سورة الانفطار

قال المسكين: فيها إثبات البعث وبيان جزاء الأعمال والتقريع على الغفلة.

***

سورة التطفيف

قال المسكين: كان فيما قبل بيان حقوق الله تعالى وفي هذه بيان حقوق الناس من أموالهم وأعراضهم وبين تعظيم يوم مكافات الحقوق.

***

سورة الانشقاق

قال المسكين: فيها بيان لجزاء الأعمال يوم القيامة.

***

سورة البروج

كان المذكور في السور قبلها وقوع المحنة والتعب على الكفار يوم القيامة وذكر في هذه وقوعها على المؤمنين في هذه الدار الدنيا، ثم بين في الطارق أن الأعمال محفوظة عند الله ويقع الجزاء عليها لا محالة، وفي الأعلى أن الأهم أمر الآخرة والجزاء لا حطام الدنيا وفي الغاشية بيان وقت الجزاء وكذا في الفجر من جزاء المكذبين في الدنيا والآخرة وعدم الاغترار بالدنيا.

ثم في البلد ذم صرف القوى إلى الدنيا التي لا ينبغي الاغترار بها، ثم في الشمس الترغيب في الطاعات والتحذير عن المعاصي وكذا في الليل مع اختلاف الأعمال وجزاءها ثم في والضحى أذهب الحزن عن نبيه ﷺ ببعض أعمال الأمة من التكذيب وغيره ولا يخفى ما في هذه المذكورات من التلاصق وسيأتي ما بين الضحى وبين ما بعدها إلى آخر القرآن من وجه الارتباط[1].

هذه السورة وردت في المؤمنين وتصبيرهم على أذى أهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان حتى يقتدوا بهم ويصبروا على أذى قومهم ويعلموا أن كفار مكة عند الله بمنزل أولئك[2].

***

(١) من الهامش.

(٢) التفسير الكبير ٣١/ ١١٦.

سورة الطارق

قال المسكين: فيها بيان حفظ الأعمال والجزاء بعد البعث وكونه حقًا غير هزل.

***

سورة الأعلى

قال المسكين: فيها بيان فناء الدنيا وبقاء الآخرة والأمر بالتذكير به بالقرآن وبيان النعم الباعثة على الطاعة فتأمل.

***

سورة الغاشية

قال المسكين: فيها بيان القيامة والجنة والنار والآيات الدالة على وجود الصانع المنجي اعتقاده والمردي عناده.

***

سورة الفجر

قال المسكين: فيها ذكر جزاء المكذبين وعدم الاغترار بالدنيا الحاملة على التكذيب وإتيان يوم الجزاء.

***

سورة البلد

قال المسكين: فيها ذم صرف القوى إلى الدنيا والأمر بصرفها في العقبى.

***

سورة الشمس

المقصود من هذه السورة الترغيب في الطاعات والتحذير من المعاصي[1].

قال المسكين: لأن جواب القسم على ما قال أبو السعود: قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ الخ[الشمس:٩] [2].

***

سورة الليل

أقسم تعالى أن أعمال عباده لشتى أي مختلفة في الجزاء ثم بين معنى اختلاف الأعمال فيما قلناه من العاقبة المحمودة والمذمومة والثواب والعقاب[3].

***

---

(١) التفسير الكبير ٣١/ ١٨٨ .

(٢) أبو سعود ٩/ ١٦٤ .

(٣) التفسير الكبير ٣١/ ١٩٨ .

سورة الضحى

اعلم أن الرازي رحمه الله تعالى أورد في تفسير الكوثر تقريرًا يوخذ منه الارتباط بين سورة الضحى إلى آخر القرآن المجيد فلنورده بعينه وهو هذا:

إن هذه السورة كالتتمة لما قبلها من السور وكالأصل لما بعدها من السور أما إنها كالتتمة لما قبلها من السور فلأن الله تعالى جعل سورة والضحى في مدح محمد ﷺ وتفصيل أحواله فذكر في أول السورة ثلاثة أشياء تتعلق بنبوته.

أولها قوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى:٣]، (وثانيها) قوله: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى:٤] وثالثها ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى:٥].

ثم ختم هذه السورة بذكر ثلاثة أحواله عليه السلام فيما يتعلق بالدنيا وهو قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى:٦-٨].

ثم ذكر في سورة ألم نشرح أنه شرفه بثلاثة أشياء (أولها) ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب[الشرح: ١] (ثانيها) ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ٢، ٣] (وثالثها) ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤].

ثم أنه تعالى شرفه في سورة التين بثلاثة أنواع من التشريف.

(أولها) أنه أقسم ببلده وهو قوله: ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [الشرح: ٣] (ثانيها) أنه أخبر عن خلاص أمته عن النار وهو قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الشرح: ٦] (ثالثها) وصولهم إلى الثواب وهو قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الشرح: ٦].

ثم شرفه في سورة إقرأ بثلاثة أنواع من التشريفات (أولها) ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] أي إقرأ القرآن، على الخلق مستعينًا باسم ربك (ثانيها) أنه قهر خصمه بقوله: ﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ﴾ [العلق: ١٧] ، (ثالثها) أنه خصمه بالقربة التامة وهو ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩﴾ [العلق: ١٩] .

وشرفه في سورة القدر بليلة القدر التي لها ثلاثة أنواع من الفضيلة (أولها) كونها من ألف شهر (ثانيها) نزول الملائكة والروح فيها (ثالثها) كونها سلامًا حتى مطلع الفجر.

وشرفه في سورة لم يكن بأن شرف أمته بثلاثة تشريفات أولها أنهم خير البرية وثانيها أن جزائهم عند ربهم جنات وثالثها رضي الله تعالى عنهم.

وشرفه في سورة إذا زلزلت بثلاث تشريفات أولها قوله: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] وذلك يقتضي أن الأرض تشهد يوم القيامة لأمته بالطاعة والعبودية والثاني قوله: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [الزلزلة: ٦]وذلك يدل على أنه تعرض عليهم طاعاتهم فيحصل لهم الفرح والسرور وثالثها قوله: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧] ومعرفة الله لا شك أنها أعظم من كل عظيم فلا بد وأن يصلوا إلى ثوابها.

ثم شرفه في سورة العاديات بأن أقسم بخيل الغزاة من أمته فوصف تلك الخيل بصفات ثلاثة ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا﴾ [العاديات: ١-٣].

ثم شرف أمته في سورة القارعة بأمور ثلاثة أولها ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة: ٦] وثانيها أنهم في عيشة الراضية وثالثها أنهم يرون أعدائهم في نار حامية.

ثم شرفه في سورة الهكم بأن بين أن المعرضين عن دينه وشرعه يصيرون معذبين من ثلاثة أوجه أولها أنهم يرون الجحيم وثانيها أنهم يرونها عين اليقين وثالثها أنهم يسألون عن النعيم.

ثم شرف أمته في سورة العصر بأمور ثلاثة أولها الإيمان ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [العصر: ٣] وثانيها ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: ٣] وثالثها إرشاد الخلق إلى الأعمال الصالحات وهو التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

ثم شرفه في سورة الهمزة بأن ذكر أن من همز ولمز فله ثلاثة أنواع من العذاب أولها أنه لا ينتفع بدنياه البتة وهو قوله: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا﴾ [الهمزة: ٣، ٤] وثانيها أنه ينبذ في الحطمة وثالثها أنه يغلق عليه تلك الأبواب حتى لا يبقى له رجاء الخروج وهو قوله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة:٨] .

ثم شرفه في سورة الفيل بأن رد كيد أعدائه في نحرهم من ثلاثة أوجه أولها ﴿يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل:٢] ، وثانيها ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ [الفيل:٣] ، وثالثها ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ [الفيل:٥].

تم شرفه في سورة قريش بأنه راعى مصلحة أسلافه من ثلاثة أوجه: أولها جعلهم مؤتلفين متوافقين ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش:١] وثانيها ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ [قريش:٤] وثالثها أنه ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قريش:٤] .

وشرفه في سورة الماعون بأن وصف المكذبين بدينه بثلاثة أنواع من الصفات المذمومة أولها الدنائة واللؤم وهو قوله: ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ٢، ٣] وثانيها ترك تعظيم الخالق وهو قوله: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ [الماعون: ٥، ٦] وثالثها ترك انتفاع الخلق وهو قوله:

﴿ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴾ [الماعون: ٧] .

ثم إنه سبحانه وتعالى لما شرف في هذه السورة من هذه الوجوه العظيمة قال بعدها: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١] أي أعطيناك هذه المناقب المتكاثرة المذكورة في السور المتقدمة التي كل واحدة منها أعظم من ملك الدنيا بحذافيرها فاشتغل أنت بعبادة هذا الرب وبإرشاد عباده إلى ما هو الأصلح لهم أما عبادة الرب فإما بالنفس وهو قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ [الكوثر: ٢] وإما بالمال وهو قوله: ﴿وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر: ٢] وأما إرشاد عباده إلى ما هو الإصلاح لهم في دينهم ودنياهم فهو قوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١، ٢] فثبت أن هذه السورة كالتتمة لما قبلها من السور.

وأما أنها كالأصل لما بعدها فهو أنه تعالى يأمره بعد هذه السورة بأن يُكفِّر جميع أهل الدنيا بقوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١، ٢] ومعلوم أن عسف الناس على مذاهبهم وأديانهم أشد من عسفهم على أرواحهم وأموالهم وذلك أنهم يبذلون أموالهم وأرواحهم في نصرة أديانهم فلا جرم كان الطعن في مذاهب الناس يثير من العداوة والغضب ما لا يثير سائر المطاعن فلما أمره بأن يُكفِّر جميع أهل الدنيا ويبطل أديانهم لزم أن يصير جميع أهل الدنيا في غاية العداوة له وذلك مما يحترز عنه كل أحد من الخلق فلا يكاد يقدم عليه.

وانظر إلى موسى عليه السلام كيف كان يخاف من فرعون وعسكره وأما ههنا فإن محمدًا (ﷺ) لما كان مبعوثًا إلى جميع أهل الدنيا كان كل واحد من الخلق كفرعون بالنسبة إليه فدبر تعالى في إزالة هذا الخوف الشديد تدبيرًا لطيفًا وهو أنه قدم على تلك السورة هذه السورة فإن قوله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١] أي الخير الكثير في الدنيا والدين فيكون ذلك وعدًا من الله بالنصرة والحفظ وهو كقوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٤] وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧] وقوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠] ومن كان الله ضامنًا لحفظه فإنه لا يخشى أحدًا.

وثانيها أنه تعالى لما قال: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١] وهذا اللفظ يتناول خيرات الدنيا وخيرات الآخرة وأن خيرات الدنيا ما كانت واصلة إليه حين كان بمكة والخلف في كلام الله تعالى محال فوجب في حكمة الله تعالى إبقائه في دار الدنيا إلى حيث يصل إليه تلك الخيرات فكان ذلك كالبشارة له والوعد بأنهم لا يقتلونه ولا يقهرونه ولا يصل إليه مكرهم بل يصير أمره كل يوم في الازدياد والقوة.

وثالثها أن ﷺ لما كفَّرهم وزيَّف أديانهم ودعاهم إلى الإيمان اجتمعوا عنده وقالوا: إن كنت تفعل هذا طلبًا للمال فنعطيك من المال ما تصير به من أغنى الناس وإن كان مطلوبك الزوجة نزوجك أكرم نسائنا وإن كان مطلوبك الرياسة فنحن نجعلك رئيسًا على أنفسنا فقال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١] أي لما أعطاك خالق السموات والأرض خيرات الدنيا والآخرة فلا تغتر بمالهم ومراعاتهم.

ورابعها أن قوله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١] تفيد أن الله تعالى تكلم معه بلا واسطة فهذا يقوم مقام قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] بل هذا أشرف لأن المولى إذا شافه عبده بالتزام التربية والإحسان كان ذلك أعلى مما إذا شافهه في غير هذا المعنى بل يفيد قوة في القلب ويزيل الجبن من النفس فثبت أن مخاطبة الله إياه بقوله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١] مما يزيل الخوف عن القلب والجبن عن النفس فقدم هذه السورة على سورة ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] حتى يمكنه الاشتغال بذلك التكليف الشاق والإقدام على تكفير جميع العالم وإظهار البراءة عن معبودهم.

فلما امتثلت بأمري فانظر كيف أنجزت لك الوعد وأعطيتك كثرة الاتباع والأشياع إن أهل الدنيا يدخلون في دين الله أفواجًا.

ثم إنه تعالى لم أتم أمر الدعوة وإظهار الشريعة شرع في بيان ما يتعلق بأحوال القلب والباطن وذلك لأن الطالب إما أن يكون طلبه مقصورًا على الدنيا أو يكون طالبًا للآخرة، أما طلب الدنيا فليس له إلا الخسار والذل والهوان ثم مصيره إلى النار، وهو المراد من سورة تبت وأما طلب الآخرة فأعظم أحواله أن تصير نفسه كالمرآة التي ينتقش فيها صور الموجودات.

وقد ثبت في العلوم العقلية أن طريق الخلق في معرفة الصانع على وجهين منهم من عرف الصانع ثم توصل بمعرفته إلى معرفة مخلوقاته وهذا هو الطريق الأشرف الأعلى ومنهم من عكس وهو طريق الجمهور.

ثم إنه سبحانه ختم كتابه الكريم بتلك الطريقة التي هي أشرف الطريقتين فبدأ بذكر صفات الله وشرح جلاله وهو سورة قل هو الله أحد ثم اتبعه بذكر مراتب مخلوقاته في سورة قل أعوذ برب الفلق ثم ختم الأمر بذكر مراتب النفس الإنسانية وعند ذلك ختم الكتاب.

قال صاحب المنهيات عفا الله عنه جميع السيئات: هذا آخر ما أردنا إيراده في الارتباط بين السور القرآنية.

وقع الفراغ ثلاث جمادى الأخرى ١٣١٦ من الهجرة النبوية على صاحبها ألف ألف سلام وتحية[١].

قال المسكين: فيها بيان النعم على نبيه ﷺ ليذهب حزنه بالتكذيب والأمر بأداء الشكر عليها.

---

(١) هذا كله في الهامش وهو في التفسير الكبير ٣٢/ ١١٨-١٢٠ .

سورة الانشراح

قال المسكين: فيها أيضًا ما في الأولى مع الأمر بالاجتهاد في العبادة أداءً لشكر النعم.

***

سورة التين

قال المسكين: فيها بيان النعم على الإنسان وشكر بعضهم عليها وكفر بعضهم بها وبيان جزاء الفريقين.

***

سورة العلق

قال المسكين: فيها حث على الطاعة والذكر شكرا للنعم وذم وردع لمن كفر بها بطغيانه.

***

سورة القدر

قال المسكين: فيها تعظيم القرآن بتعظيم زمانه وهو أحد وجوه التعظيم.

***

سورة البينة

قال المسكين: فيها تعظيم الرسول وجزاء المصدقين والمطيعين له والمكذبين والعصاة.

***

سورة الزلزال

إنه تعالى لما قال: جزاء عند ربهم فكأن المكلف قال: ومتى يكون ذلك يا رب؟ فقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ [الزلزلة:١] (١).

قال المسكين: ففيها بيان الجزاء ووقته.

***

سورة العاديات

قال المسكين: فيها بيان لكون الإنسان معترفًا بالقال وبالحال على نفسه باستحقاقه للجزاء لاعترافه بكونه كنودًا كفورًا فلا تحكم فيه.

***

سورة القارعة

اعلم أنه تعالى لما ختم السورة المتقدمة بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات:١١] فكأنه قيل: وما ذلك اليوم؟ فقيل: «هي القارعة» (٢).

قال المسكين: في هذه السورة قانون الجزاء.

***

سورة التكاثر

قال المسكين: فيها بيان ذم الغفلة عن الآخرة.

---

(١) التفسير الكبير ٣٢/ ٥٧ .

(٢) التفسير الكبير ٣٢/ ٧٠ .

سورة العصر

قال المسكين: فيها بيان أسباب الخسران والربح في الآخرة.

***

سورة الهمزة

قال المسكين: فيها بيان خصال العذاب.

***

سورة الفيل

قال المسكين: هذه السورة كالدليل على أن الهمزة اللمزة الطاعن في النبي ﷺ مستحق للعذاب فإن الذي عذب من أهان بيته كيف يترك من أهان نبيه - وهذا مأخوذ من الكبير[١].

***

سورة قريش

قال المسكين: فيها بيان النعمة العظيمة على قريش حيث جعلهم أهل بيت عظيم وأهلك الله تعالى من أهانهم وألقى حرمته في قلوب الناس.

***

سورة الماعون

قال المسكين: فيها ذم خصال الكفار والمنافقين.

---

(١) التفسير الكبير ٣٢/ ٩٨ .

سورة الكوثر

قال المسكين: فيها تنويه لشأن الرسول ﷺ وتفضيح لعدوه.

***

سورة الكافرون

قال المسكين: فيها النبذ على السواء في الدين لقطع الطمع عن التوافق فيه.

***

سورة النصر وأبي لهب

اعلم انه تعالى قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] ثم بين في سورة قل يا أيها الكافرون أن محمدًا ﷺ أطاع ربه وصرح بنفي عبادة الشركاء والأضداد وأن الكافر عصى ربه واشتغل بعبادة الأضداد والأنداد فكأنه قيل: ما ثواب المطيع وما عقاب العاصي؟ فقال: ثواب المطيع حصول النصر والفتح والاستعلاء في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى كما دل عليه سورة إذا جاء نصر الله وأما عقاب العاصي فهو الخسار في الدنيا والعقاب العظيم في العقبى كما دلت عليه سورة تبت يدا[1].

***

سورة الإخلاص

قال المسكين: فيها بيان التوحيد وهو أصل الدين.

***

(١) التفسير الكبير ٣٢/ ١٦٥ .

سورة الفلق

قال المسكين: فيها الأمر بالتوكل في الحسيات.

***

سورة الناس

قال المسكين: فيها الأمر بالتوكل في العقليات والتوكل هو أصل الأعمال ومدارها.

فسبحانه ما أعظم شأنه كيف ختم كتابه بذكر الأصول العظيمة لأن الدين كله هو الاعتقاد والعمل لا غير، والأعمال يتوقف صدورها على سلامة البدن وسلامة النفس فوجب التوكل على الله تعالى في حفظمها عن الشرور والبوائق فجمع الله تعالى العقائد الصحيحة الحقة كلها في سورة الإخلاص، وأمر بالتوكل في سلامة البدن في سورة الفلق، وفي سلامة النفس في سورة الناس.

وبما ذكرتم أمر الدين والحمد لله رب العالمين.

ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث لجوامع الكلم ومنابع الحكم وعلى جميع الأنبياء والرسل وآلهم وصحبهم سراج السبل أبد الأبدين ودهر الداهرين.

* * * *

خاتمة

قد تم الكتاب والحمد لله الوهاب على يد هذا التراب في نحو مدة شهرين وأسبوعين وقد فرغ منه في يوم الخميس ثالث عشر من شهر ربيع الآخر ١٣١٦هـ في كورة تهانه بهون من مضافات مظفر نغر لا زالت مصونة من الفتن ومأمونة من الشر ومقرونة بالخير والظفر بحرمة سيد البشر ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم وما سارت الشمس والقمر.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

اللهم اجعلنا من خدام دينك المتين ومن الذين يسعون في إحياء علوم السلف المتقين المتقنين من عبادك المخلصين واجعلنا من أحبائهم واحشرنا في زمرتهم يوم الدين.

وأنا العبد

محمد عبيد الله الأسعدي

٢٧/ جمادى الأخرى ١٤٣٠هـ

المحتويات

*****